

مجلة دراسات تاريخية

دورية علمية محكمة

ISSN 2710 - 2998

العدد الثاني عشر 2025 12

في هذا العدد:

هل القلم العربي الشموذي أقدم قلم في التاريخ؟ أ.د. قصي منصور التركي/ د. عيد حمد اليحيى
الأزمة الاقتصادية ببلاد عيلام في ضوء الرسائل الملكية للملك نابو - بيل - شوماتي أ.م.د. زيار صديق رمضان
أحوال اليهود في بلاد فارس دراسة تاريخية من (224 - 651م) م. د خديجة حسن علي القصير
النظم والمعاملات الزراعية والمالية ببلاد المغرب الأدنى في عصر بني زيري من خلال كتب الفقه والنوازل (4 - 6 هـ/ 10 - 12 م) د. ماجدة مولود رمضان الشرع
الرحلات الأوربية إلى حضرموت "الرحلة الهولندية إلى حضرموت عام 1931م أنموذجاً" د. نجلاء سعود مبارك بن عقيل/ د. عبدالعزيز سعيد سالم بازرعة
مدن الحجاز من خلال كتب الرحلات الحجية المغربية إبان ثلاثينيات القرن العشرين نورالدين أحميان
حادثة القصر السلطاني بمدينة المكلا (1946 - 1951م) د. عبد الخالق عمر عفيف
الوجود الحضرمي في سنغافورة وأثره د. أبوبكر حسين محمد مقبيل
علاقات دول الجوار مع دول الإقليم (العلاقات السورية - التركية أنموذجاً) د.حنان أحمد أبوبكر المرقشي



المدبر العام
أ.د. محمود علي السالمي

رئيس مجلس الإدارة
أ. محمد سالم علي جابر

رئيس التحرير
أ. د. طه حسين هديل

هيئة التحرير
أ. د. محمد عبد الله باوزير
أ. د. علي صالح الخلاقي
أ. مشارك. د. أحمد باطايع
أ. د. عبد الحكيم العراشي
د. نادر سعد العمري

الهيئة الاستشارية الروحية للهيئة

أ. د. ناصر صالح حبتور	(جامعة عدن)
أ. د. عبد الله سعيد الجعدي	(جامعة حضرموت)
أ. د. محمد سعيد داود	(جامعة حضرموت)
أ. د. حسين عبدالله العمري	(جامعة صنعاء)
أ. د. جمال محمود حجر	(جامعة الإسكندرية)
أ. د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس	(جامعة عين شمس)
أ. د. عبد العزيز بن راشد السنيدي	(جامعة القصيم)
أ. د. سعيد بن عمر بن محمد آل عمر	(مدير جامعة الحدود الشمالية)
أ. د. عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد العبدالجبار	(جامعة الملك سعود)
أ. د. محمد كريم إبراهيم الشمري	(جامعة بابل)
أ. د. سحر السيد محمود عبدالعزيز سالم	(جامعة الإسكندرية)
أ. د. أسهمان سعيد أبوبكر الجرو	(جامعة السلطان قابوس)



ISSN 2710 – 2998

مجلة دورية علمية محكمة يصدرها مركز عدن للدراسات التاريخية
بترخيص من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

العدد الثاني عشر يونيو 2025م

توجه المراسلات والبحوث المقترحة للنشر، باسم رئيس التحرير على البريد
الإلكتروني للمجلة: hsj@aden.center
أو على عنوان مركز عدن للدراسات التاريخية، عدن، الشيخ عثمان، شمسان مول،
مكتب: 6 إيميل: info@aden.center

المواد المنشورة في المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو رأي القائمين عليها

المجلة صادرة بقرار ترخيص رقم (1) من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
لعام 2019م وبرقم إيداع وطني: 1109 لعام 2019م

حقوق الطبع محفوظة

لا يجوز إعادة نشر البحوث المنشور في المجلة أو أجزاء منها،
في أي وسيلة نشر، إلا بإذن كتابي من رئيس التحرير

قواعد النشر في المجلة

- 1 - أن يكون البحث في مجال التاريخ وعلومه، وأن يتسق عنوانه مع محتواه.
- 2 - أن يكون متمسكاً بالأصالة والابتكار، والمنهجية العلمية، وأن يمثل إضافة نوعية في مجال المعرفة.
- 3 - أن يكتب بلغة سليمة خالية من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية.
- 4 - أن يكون ملتزماً بدقة التوثيق، وأن توثق قائمة المصادر والمراجع وترتب ترتيباً هجائياً في آخر البحث بطريقة التوثيق المتعارف عليها: اسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الجزء، اسم المحقق أو المترجم، رقم الطبعة، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر.
- 5 - أن تذكر الهوامش في أسفل الصفحات، وأن ترقم في كل صفحة ترقيماً تسلسلياً.
- 6 - ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قُدم للنشر في أي جهة أخرى.
- 7 - ألا تقل صفحات البحث الواحد عن 15 صفحة، وألا تزيد عن 30 صفحة، بما فيها الجداول والرسوم الخرائط والصور، إن وجدت.
- 8 - أن يستخدم الباحث الخط الأسود Simplified Arabic بحجم 14 Normal، وبحجم 16 Bold في العناوين الداخلية.
- 9 - أن يقوم الباحث بإجراء التعديلات المنصوص عليها في تقارير المحكمين والأخذ بها، مع تعليل ما لم يتم الأخذ به.
- 10 - قرار هيئة التحرير بشأن البحوث المقدمة للنشر نهائي، وتحفظ الهيئة بحقوقها في عدم إبداء مبررات قراراتها بعدم النشر.
- 11 - لا يعاد البحث إلى صاحبه سواء نشر أم لم ينشر.

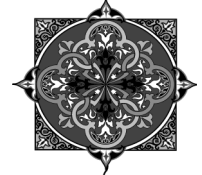
مرفقات النشر

عند تقديم البحث للنشر يشترط الآتي:

- 1 - أن يقدم الباحث طلباً كتابياً بنشر بحثه إلى رئيس تحرير المجلة. وأن يتعهد فيه بأن بحثه لم يسبق نشره، ولم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أو جزءاً من كتاب أو رسالة علمية.
- 2 - أن يقدم الباحث ملخصاً لسيرته العلمية، وأهم إنتاجه العلمي.
- 3 - أن يقدم الباحث نسختين ورقيتين من بحثه، ونسخة إلكترونية.
- 4 - أن يرفق مع البحث ملخصاً باللغة العربية، وآخر باللغة الإنجليزية، بحيث لا تزيد كلمات الملخصين عن 300 كلمة.
- 5 - أن يقدم الباحث نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها)، في حال استخدامها في البحث، إلا إذا وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.

محتويات العدد

الصفحة	المحتوى
5	هل القلم العربي الثمودي أقدم قلم في التاريخ؟ أ.د. قصي منصور التركي/ د. عيد حمد اليحي
67	الأزمة الاقتصادية ببلاد عيلام في ضوء الرسائل الملكية للملك نابو - بيل - شوماتي (911 - 639 ق.م) أ.م. د. زيار صديق رمضان
101	أحوال اليهود في بلاد فارس دراسة تاريخية من (224 - 651م) م. د خديجة حسن علي القصير
123	النظم والمعاملات الزراعية والمالية ببلاد المغرب الأدنى في عصر بني زيري من خلال كتب الفقه والنوازل (4 - 6هـ / 10 - 12م) د. ماجدة مولود رمضان الشرع
145	الرحلات الأوربية إلى حضرموت "الرحلة الهولندية إلى حضرموت عام 1931م أنموذجاً" د. نجلاء سعود مبارك بن عقيل/ د. عبدالعزيز سعيد سالم بازرة
193	مدن الحجاز من خلال كتب الرحلات الحجية المغربية إبان ثلاثينيات القرن العشرين نورالدين أحميان
217	حادثة القصر السلطاني بمدينة المكلا (1946 - 1951م) د. عبد الخالق عمر عفيف
271	الوجود الحضرمي في سنغافورة وأثره د. أبوبكر حسين محمد مقبيل
295	علاقات دول الجوار مع دول الإقليم (العلاقات السورية - التركية أنموذجاً) د.حنان أحمد أبوبكر المرقشي



هل القلم العربي الثمودي أقدم قلم في التاريخ؟ دراسة في ضوء النقوش الثمودية المرافقة لحيوانات منقرضة في المملكة العربية السعودية

أ.د. قصي منصور التركي⁽¹⁾

د. عيد حمد اليحي⁽²⁾

الملخص العربي:

تأتي دراستنا هذه لتضع حدا للجدل الذي يكتنف تاريخ الثموديين، على الأقل من ناحية القلم الذي كتبوا به، الذي من المرجح لدينا أنه يتعد زمنا كثيرا عما تناقلته الأبحاث الغربية، وأيضا العربية ربما بعشرات القرون، وذلك من خلال ما سنقدمه من أدلة مادية أثرية لها ارتباط بعلم الآثار والجيرموفولوجيا وحياة الإنسان وعلم الحيوان في الجزيرة العربية، لاسيما تلك الحيوانات المنقرضة التي شغلت رسومها مساحات واسعة من الواجهات الصخرية في أرجاء المملكة

(1) (جامعة القصيم - كلية اللغات والعلوم الانسانية - قسم السياحة والآثار)
qus.gaalturki@uoh.edu.sa

<https://orcid.org/0009-0004-2870-8542>

(2) (الهيئة الملكية للعلا - المملكة العربية السعودية)

e.alyahya@rcu.gov.sa

<https://orcid.org/0009-0007-2689-0004>

العربية السعودية كافة، إضافة إلى أدلة كتابية لها ارتباط وثيق بعضها ببعض وبالقلم الثمودي، الذي اخترنا له دراستنا هذه لعدّه أقدم قلم عربي، وسنسعى جاهدين لتكون تلك الأدلة قوية يعضد بعضها بعضاً، واخترنا المكان المتمثل في الأرض المباركة في المملكة العربية السعودية، وهي التي تشهد ثورة علمية وبحثية ثقافية، على جميع الأصعدة التي منها مجال البحث في الآثار والتراث العربي القديم.

ومع إيماننا العميق، انه ليس من السهل إقناع عدد من الباحثين الذين درسوا أو تأثروا بما كُتب عن موضوع القلم الثمودي، سواء من الباحثين الغربيين أو العرب على حد سواء، لكننا سوف نعرض في هذه الأسطر ما يمكن أن يواجه نظريتنا من حيث النقد أو الإنكار، من خلال تقديم أدلة - نجدها مقنعة - ومعالجتها، وذلك إذا ما أخضعنا الموضوع إلى التحقيق التاريخي المستند على الأدلة المادية والكتابية الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية.

الكلمات المفتاحية: الكتابة الثمودية، النقوش، الحيوانات المنقرضة، المملكة العربية السعودية، الجزيرة العربية.

المخلص الانجليزي:

**Is the Thamudic Arabic Script the Oldest Script in History?
"A Study in Light of the Thamudic Inscriptions Accompanied by
Extinct Animals in KSA"**

Our study comes to put an end to the controversy surrounding the history of the Thamudis, at least in terms of the script in which they wrote, which we are likely to be far away from what Western

and even Arab has been conveying, perhaps by decades. This can be through what we will present of archaeological physical evidence related to archaeology, geomorphology, human life and zoology in the Arabian Peninsula, especially those extinct animals whose drawings occupied large areas of rock facades throughout the Kingdom of Saudi Arabia.

In addition to written evidence that is closely related to each other and the Thamudi script, for which we chose the title of our study as the oldest Arabic script, and we will strive to be those evidence, supporting each other, and we chose the spatial circumstance represented by the blessed land in the Kingdom of Saudi Arabia, which is witnessing a scientific revolution and cultural research, at all levels, including the field of research in antiquities and ancient Arab heritage.

It seems clear that it is not easy to convince a number of researchers who have studied or been influenced by what has been written on the subject of the Thamudic script, whether Western or Arab researchers alike. We will present in these lines what our theory may face in terms of criticism or denial, by presenting and processing evidence that we find convincing if we subject the topic to historical investigation based on physical, scriptural, archaeological, anthropological and linguistic evidence.

Keywords: Thamudic writing, inscriptions, extinct animals, Saudi Arabia, Arabian Peninsula.

مقدمة:

تتملك الحيرة والحذر الشديد كل باحث يروم البحث في واحد من أهم أقوام شبه الجزيرة العربية، وهم الثموديون، ولعل سبب ذلك يعود إلى التفاوت الكبير في الرؤية الحضارية والتاريخية لهؤلاء القوم، الذين يشكلون في ثقافتنا العربية والإسلامية الشيء الكثير، لذلك أشبعتهم الدراسات التاريخية العربية والإسلامية ذكرا مطولا، لاسيما تلك الدراسات المتعلقة بأهم كتاب عرفته البشرية، وهو القرآن الكريم، واللافت للنظر أن كتاب التوراة لم يذكر الثموديين مع من ذكرهم من أقوام وقبائل عربية في الجزيرة، علما بأن انتشار الثموديين كان قد وصل إلى الشمال الغربي من الجزيرة العربية حيث الموطن الرئيس الذي أسهبت فيه الكتابات التوراتية في ذكر أقوام المنطقة، في الحين الذي ترد فيه إشارة عن كتابة الثموديين، الذين أثبتت أحدث الدراسات اللغوية للقلم الثمودي بناء على الأدلة الكتابية المكتشفة في فلسطين، أقدم نص مكتشف يشير إلى وجودهم عام 1300 ق.م (سيرد تفصيل ذلك لاحقا)، مع العلم بأن التوراة الأصلية نزلت على موسى ﷺ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد على رأي أغلب الباحثين، وفي القرآن الكريم أدلة كثيرة على أن موسى (عليه السلام) أخبر قومه عن قوم ثمود، كما قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ...﴾ [سورة إبراهيم: 8 - 9].

والشيء نفسه يقال في شأن المؤلفين الكلاسيكيين المبكرين - في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد، من اليونانيين والرومانيين الذين كتبوا عن العرب، وذكرهم في مؤلفاتهم مثل: هيرودوتس وثيوفراستوس وإيراتوستينس، لكنهم لم يذكروا الثموديين مع من ذكروا من أقوام الجزيرة العربية.

وهنا لابد من أن نسجل حقيقة تاريخية وبحثية تتعلق بمصادر دراسات الحضارات الشرقية القديمة، كمنهج تحقيق وتخصيص ومعرفة ترتبط بتاريخ الكتابات القديمة ومن بينها القلم الشمودي، فقد أشير الى موضوع مماثل يخص الكتابة المسمارية، بحيث يرى المتخصصون، أنه يجب أن يُتَّبَعَ الحديث وتأخذ المعلومة عن الأقوام والأنبياء والرسل ممن ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وتمت الإشارة إليهم في المصادر الكتابية المسمارية وحتى النصوص التوراتية: - عن طريق الإحالة إلى ما ورد في القرآن الكريم كنقطة انطلاق ومنهج بحث دقيق؛ لأنه - وبكل بساطة - قد طرأ تغيير أو تحريف أو حذف أو زيادة في أغلب المصادر المسمارية والتوراتية عبر العصور الطويلة إلى أن وجدت طريقها للتدوين، وفي هذا السياق، نعرض لرأي عالم الآثار والكتابات المسمارية "عامر سليمان"، على جهة الخصوص قوله حول المعلومات الواردة عن الروايات التاريخية في الكتابات المسمارية والتوراة، حيث يقول: "ابتعدت تدريجياً عن أصولها التاريخية وجاءت وقد اكتنفها الخيال والأسطورة، وتمحورت حول معتقدات القوم الدينية وقت تدوينها وكادت صلتها تنقطع عن أصولها الأولى، في حين حفظ لنا القرآن الكريم بإيجاز شديد الصورة الحقيقية لتلك القصص".⁽¹⁾

إن ما سنقدمه من أدلة مادية أثرية لها ارتباط بعلم الآثار والجير موفولوجيا وحياة الإنسان وعلم الحيوان في الجزيرة العربية، لاسيما تلك الحيوانات المنقرضة التي شغلت رسومها مساحات واسعة من الواجهات الصخرية في أرجاء المملكة العربية السعودية كافة، إضافة إلى أدلة كتابية لها ارتباط وثيق بعضها ببعض وبالقلم الشمودي، الذي اخترنا له دراستنا هذه لعدّه أقدم قلم في التاريخ.

(1) للطلاع على فكرة الموضوع حول الاقتباس من الكتابات المسمارية لما ورد في القرآن الكريم، ينظر: سليمان، عامر، من القرآن الكريم الى النصوص المسمارية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج 45، ج 1، بغداد، 1998.

وعلى أساس ما تقدم، فإن أهمية الدراسة تكمن في كونها أول دراسة من نوعها تربط بين الأدلة اللغوية الكتابية للغة الثمودية المدونة بالقلم الثمودي مع الرسوم الصخرية المتمثلة بالحيوانات المنقرضة التي رافقت الكتابات الثمودية والتي اشارت بكل وضوح الى الملكية الخاصة لمن كتب بالقلم الثمودي واصفاً ذلك الحيوان باعتباره ملك شخصي له، علماً وان تاريخ آخر فترة تواجدت فيها تلك الحيوانات في الجزيرة العربية أقدم بكثير من ما يشاع عن تاريخ اول الكتابات الثمودية.

اما ما يخص اهداف الدراسة، فانها ستقدم تاريخاً جديداً يرجح انه يعود الى تاريخ أقدم من التاريخ الذي اقترح انه لا يتعدى أواخر الالف الثاني قبل الميلاد (1300 ق.م) بموجب آخر الاكتشافات والابحاث والتي سنعرّج عليها لاحقاً.

ومن حيث منهجية الدراسة، فانها اتّبعَت منهج التحقيق التاريخي كمنهج تحقيق وتخصيص وتحليل ومقاربة، اعتمدت على وصف وتحليل وترجمه لعدد من الكتابات الثمودية المكتشفة في مناطق أثرية محددة في المملكة العربية السعودية، حيث تم ادراج رسوم صخرية لحيوانات ترافقها كتابات ثمودية غير منشورة.

وسيجد القاري ان عناصر الدراسة قد اشتملت على مقدمة وخاتمة واستنتاجات، اما مادة الدراسة المعروضة، فقد اشتملت على مبحثين مهمين وعناصر فرعية لكل مبحث، فكان عنوان المبحث الاول: معطيات لغوية وتاريخية، استهلّت بالتعريف بالقلم بالثمودي والظروف التي رافقت ظهور وانتشار القلم الثمودي في الجزيرة العربية، اما المبحث الثاني فكان لبّ الدراسة وعناصرها الجديدة والمتمثلة في دراسة عن تاريخ القلم الثمودي بموجب الأدلة الأثرية الكتابية، مع التركيز على معطيات جديدة تتمثل بتقديم تحليلات آثرية كتابية ورسوم صخرية لحيوانات برية كانت تنتشر في بيئة تختلف عن البيئة التي كانت عليها شبه الجزيرة العربية خلال ذروة التصحر الذي يعرف تاريخه مع نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد. وقد

ختمنا الدراسة بملحق هام استعرضنا فيه نماذج لكتابات ثمودية جديدة تنشر لأول مرة، مع تحليل وقراءة وترجمة لفحوى تلك الكتابات التي عادة ما ترتبط بحيوانات لم تعد تتواجد في بيئة الجزيرة العربية منذ الألف الرابع والخامس على أقل تقدير.

المبحث الاول - معطيات لغوية وتاريخية:

لا بد من التمهيد بشيء من المعلومات التي ترتبط بالقلم الثمودي، ومن بينها أنّ القلم الثمودي هو: ذلك الخط الذي استعمله قوم ثمود في كتاباتهم واخذ اسمه منهم، وعلى الرغم من ان الباحثين المختصين بالكتابات العربية القديمة، يقسمون القلم الثمودي الى قديم ومتطور بسبب الفارق المرتبط بالأشكال ورسم الحروف، او ما يذكره البعض الآخر من ان القلم الثمودي مشتق من خط آخر وصل الى الثمودين من جنوب الجزيرة العربية او من شمالها، إلا ان دراستنا هذه ستركز على نظرية جديدة تتعلق بقديم القلم الثمودي وتاريخ نشأته وارتباطه بحياة المجتمع الثمودي التي من المرجح انها لم تكن في الوصف الذي كانت عليه طبيعة المناخ في عموم الجزيرة العربية خلال الالف الثاني قبل الميلاد، حيث التصحّر والجفاف، بل يتعدى ذلك الى زمن أقدم بمودب ادلة جبر موفولوجية وآثارية وانثروبولوجية، سوف نسوقها للدلالة على ذلك الزمن الذي بدأ به القلم الثمودي في الاستخدام والانتشار، وحتى نعرف على بدايات القلم الثمودي ونشأته، لا بد من ان نقارن بين طبيعة ظهور القلم الثمودي، وظروف ومراحل نشأة أقدم الكتابات المعروفة لدى اوساط الباحثين في الشرق القديم، ونقصد بذلك الكتابات الرافدينية والمصرية القديمة، وهذا ما سنتناوله في ما يمكن ان نطلق عليه معضلة الدراسة.

أولاً - معضلة الدراسة:

يبدو واضحاً أنه ليس من السهل إقناع عدد من الباحثين الذين درسوا أو تأثروا بما كُتب عن موضوع القلم الثمودي، سواء من الباحثين الغربيين أو العرب على

حد سواء، وسوف نعرض في هذه الأسطر ما يمكن أن يواجه نظريتنا من حيث النقد أو الإنكار، من خلال تقديم أدلة - نجدها مقنعة - ومعالجتها، وذلك إذا ما أخضعنا الموضوع إلى التحقيق التاريخي المستند على الأدلة المادية والكتابية الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية.

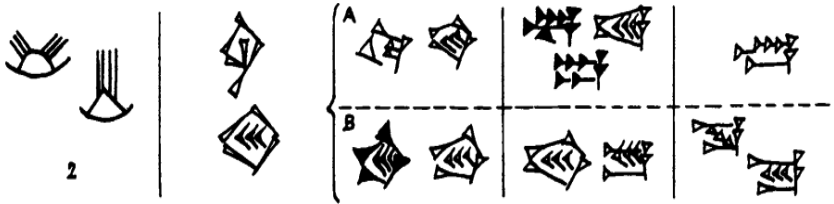
1 - مراحل تطور الكتابة من الصورية إلى الرمزية:

إنَّ أول ما يمكن أن نواجهه في نقد نظرية القلم العربي القديم (الشموذي) على وجه الخصوص، هو أن جميع اللغات القديمة التي أخذت طريقها للتدوين كانت قد تدرجت في التطور من مرحلة إلى أخرى، بناء على معطيات فرضتها طبيعة تلك المرحلة في الفكر البشري، والظروف المصاحبة لاختراع الكتابة وتطورها عبر الزمن. وخاصة أن أول مثال يساق على ذلك هو أن أقدم لغتين دونتا في حضارة الشرق الأدنى القديم، هما:

1. اللغة السومرية والكتابة في بلاد الرافدين، بَعْدَها أقدم لغة مكتشفة؛ بدليل ألواح المرحلة الأولى للكتابة وهي: (الصورية) في الطبقة الرابعة من معبد المعبودة من دون الله إينانا (Inanna) بمدينة الوركاء (Uruk / Unuk) جنوب العراق، حيث بدأت صورية بحتة، حيث تعبّر الصورة عن الشيء المراد التعبير عنه، وفي فترة لاحقة تحولت إلى (رمزية) لعلامة مسمارية من دون وجود صورة، وأخيرا التطور الأخير بكتابة علامة مسمارية تمثل مقطعاً صوتياً يمكن استخدامه في تركيب أي كلمة⁽¹⁾، ولتوضيح ذلك نسوق المثال الآتي: (ينظر الشكل - 1 -) حيث نجد من اليسار إلى اليمين تطوراً للصورة التي تعبّر عن لفظ المقطع الصوتي باللغة السومرية وبصيغة "إتي" (ITI) وباللغة الجزرية -

(1) سليمان، عامر، الكتابة المسمارية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 2000، ص ص

الأكدية بلفظ "أرخو" (arhu) التي تعني بداية الشهر (قمر جديد).⁽¹⁾ وربما يكون اللفظ قد أتى للدلالة على قدوم الشهر أو الإشارة إلى بدايته، أما (أرخو) فتعني التاريخ مع بدء الشهر، وبكل وضوح نجد أن الصورة الأولى عبارة عن شمس تغيب في الأفق، وهذه دلالة على أن بداية اليوم من مغيب شمس ذلك اليوم، وكذلك تُحدّد بداية الشهر برؤية الهلال عند مغيب الشمس، أما باقي الحقول فهو التطور الذي حصل للعلامة الصورية نحو المرحلة الرمزية ثم المقطعية



(الشكل رقم - 1 -) العلامة الصورية الخاصة باليوم وبداية الشهر وتطورها من الصورية إلى المقطعي بالخط المسماري، نقلا عن:

Labat R, Manuel D'Epigraphie Akkadienne, Paris, 6 édition, 2002.p.58 - 59, no. 51

إن نظرية اختراع الكتابة الصورية من قبل السومريين لا غبار عليها، وإنها اختراع له ظرفاه الزماني والمكاني المحددان والمعروفان، بيد أننا نرجح أن القلم العربي القديم هو الأقدم، وفي هذا السياق لابد من طرح سؤال بديهي مطوّل، مفاده:

لماذا لم يتبنّ السومريون القلم العربي القديم (الشمودي) بدلا من الكتابة الصورية المعقدة في الفهم والتعبير؟ ولماذا لم يكن للقلم العربي الشمودي وجود في بلاد الرافدين إثر هجرة الأقوام الجزرية الأولى؟

وللإجابة عن هذا السؤال يجب أن نذكر أن هجرة الأقوام الجزرية والمُستخدمة

(1) Labat R, Manuel D'Epigraphie Akkadienne, Paris, 6 édition, 2002, p.58 - 59, no. 51.

للقلم العربي القديم واللغة الثمودية إلى خارج حدود الجزيرة العربية، كان باتجاه مصادر المياه الوفيرة عند نهري دجلة والفرات، مع بدء التصحر والجفاف في الجزيرة العربية، وكانت تلك الهجرة، ضمن نطاق شعوب حضارات بلاد الرافدين التي كان يعمرها الإنسان الرافديني القديم، وتاريخها - كما أشار إليها بوضوح "طه باقر" - بحدود أواخر الألف الرابع قبل الميلاد،⁽¹⁾ حيث إن اللغة والكتابة كانتا قد بدأتا وسادتا في بلاد الرافدين، وهما اللغة السومرية والكتابة المسمارية في المرحلة الصورية، والأرجح على ما يبدو أن القادمين الجدد قد تبنوا الكتابة المسمارية لأقوام بلاد الرافدين، لكن ليس في مرحلتها الصورية، بل عندما تحولت الكتابة من المرحلة الصورية إلى الكتابة المسمارية الرمزية فالمقطعية،⁽²⁾ ودونوا بها لغتهم الجزرية كلغة ثانية كانت جنبا إلى جنب مع اللغة السومرية، وإن لغتهم هذه قد عرفت بفرعها الأكدي، الذي أسماه وألصقه بهم الباحثون نسبة إلى العاصمة الجديدة التي أسسوها في بلاد الرافدين وهي (أكد)، بينما وجدنا في الكتابات المسمارية أنهم سَمَّوْا لغتهم بمصطلح "اللسان الأكدي"، وباللفظ الآتي: "لشأنم أكديتم" (lišanum akkaditum) أي اللسان أو اللغة الأكديّة،⁽³⁾ وكان ذلك بعد أن تركوا خطهم العربي القديم (الثمودي) في موطنهم الأول مع الاحتفاظ بأفكارهم التي كانوا عليها في الجزيرة العربية، لاسيما تصميم رموز أهم معتقداتهم الدينية وارتباطها بعالم الموت وبمعبوداتهم ومظاهرهم الكونية، التي عبّرت عن أفكارهم

(1) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، ط1، دار البيان، بغداد، 1973، ص 72.

(2) لمزيد من المعلومات حول مراحل وتطور الكتابة المسمارية، ينظر: سليمان، عامر، الكتابة المسمارية، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 2000، ص 42 وما بعدها.

(3) The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, Chicago, (1956ff), pp.213, 272.

أصدق تعبير على أرض الواقع في مئات الآلاف من أشكال المدفن، ومنها المدفن المهم والواسع الانتشار، وهو المدفن المسماري الذي يتطابق تماماً مع فكرة التحول الذي حصل للكتابة الصورية عند السومريين مع نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد - وهي فترة قدوم الجزريين -، حيث التحول من المرحلة الصورية إلى الرمزية وباستخدام العلامات المسمارية.⁽¹⁾ وبذلك أصبح واضحاً لدينا الآن، أن السكان الجزريين قد اندمجوا مع العنصر السومري وكونوا حضارة تأثرت وأثرت في الحضارة السومرية، رغم الحدود الجغرافية الضيقة للعنصر السومري ضمن جنوب بلاد الرافدين، بينما أسس الجزريون أول إمبراطورية في التاريخ وأقدمها بقيادة الملك الجزري شاروكين (Šarru - kenu) الذي يتكون اسمه العربي الجزري من مقطعين الأول: ملك، والثاني: ثابت.⁽²⁾ وبذلك يكون معنى اسمه "الملك المكين أو الثابت". وكما هو واضح فإن اسم الملك جزري، أي من الجزيرة العربية ويتطابق مع اللغة العربية لفظاً ومعنى.

2. اللغة والكتابة المصرية القديمة، حيث تُعدّ الكتابة الهيروغليفية هي الكتابة الاقدم في حضارة مصر، والتي كانت في مرحلتها الاولى تصويرية (Ideogram)، من خلال رسم علامات للدلالة على الصورة المرسومة من دون صوت للأحرف، ومثال ذلك: رسم ثلاث رؤوس لبط في بركة مع صور أخرى، وبالشكل الآتي: (𐀀𐀁𐀂) وتلفظ "سش" وتعني: عُشاً أو بركة طيور، وكذلك رسم إناء للجنة (آنية

(1) Eaid Y and Qusay Alturkey, (2024), Archaeological Discoveries of Burials in KSA Shape and Symbolic Meaning to the Mismary burial pattern as a model, IJO - International Journal of Social Science and Humanities Research, Volume 07 Issue 03 || March, in: <https://ijoournals.com/>, p. 1 - 24.

(2) Labat R, op.cit, no.85,130

فخارية) مع رسومات أخرى مرافقة بالشكل الآتي: (𐩦𐩣𐩪𐩬)، لتعني الساقى أو الذي يقدم الشراب، وفي مرحلة عدّها المتخصصون تطوراً عن المرحلة الأولى، وهي مرحلة العلامات الصوتية (Phonogram)، من خلال استخدام علامات من البيئة للتعامل مع قيمها الصوتية وليست الصورية؛ حيث استعمل المصري القديم أربعة أنواع من العلامات الصوتية، أحادية وثنائية وثلاثية ورباعية الصوت، وكمثال على استخدام الصوت ليطلق على اسم معين باستخدام رمز نجد صوت الألف يمثل علامة النسر (𐩦𐩣𐩪𐩬) وصوت الباء يمثل علامة الساق (𐩦𐩣𐩪𐩬)... إلخ، وقد سميت تلك العلامات مجازاً بالأبجدية الهيروغليفية.⁽¹⁾ وهذا يعني أن الكتابة المصرية القديمة ولدت صورية، وحافظت على إطارها العام، رغم تطورها رمزياً ومقطعيًا، وحافظت على استقلالها على مر العصور؛ لتكون في آخر مراحل تطورها أصواتاً مرسومة، انتشرت في عموم مصر، ووجدت لها كتابات في شمال غرب المملكة العربية السعودية.

وفي السياق نفسه الخاص بانتشار الكتابة، فإن القلم الثمودي كانت بداية اختراعه في أرض الجزيرة العربية، وضمن الحدود الجغرافية للمملكة العربية السعودية، وبشكل شائع على الأقل خلال فترة الهولوسين الرطبة (Holocene Humid Period = HHP) (8000 - 4000 ق.م)، وانتقل مع الأقوام الثمودية التي هاجرت إلى أطراف الجزيرة العربية، بعد أن نشأ نشأة محلية في الجزيرة العربية على أرجح احتمال، لينتقل في مرحلة أولى مع بداية فترة الجفاف - الألف الرابع قبل الميلاد -، ومع تفاقم الجفاف والتصحر بحلول الألف الثاني قبل الميلاد، كانت الهجرة الثانية باتجاه شمال الجزيرة العربية وشمال شرقها، ناقلين معهم خطهم العربي القديم

(1) سامح، مقار، المعجم الوجيز، هيروغليفى - عربى، الطبعة الاولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2007، ص 10 - 11.

(الشمودي)، ودليل ذلك الحروف الشمودية الهجائية الخاصة بنقش تل "لخيش" (Lachish) بفلسطين، الذي أثبت "سليمان الذيب" أن تاريخها يعود إلى ما قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد (سليمان الذيب، 2022، ص 115 - 112)، وربما يصدق الحال مستقبلا في اكتشافات لقلم شمودي أقدم في شمال الجزيرة، وفي أقصى جنوبها وجنوب غربها. أما بالنسبة للأعداد القليلة التي لم تهاجر من الجزيرة العربية، فقد عاشت في ظروف قاسية إثر التصحر والجفاف المستمرين نسبيا إلى الوقت الحاضر، حيث كانت مناطق شاسعة من الجزيرة قاحلة بشكل عام، حيث بلغت ذروتها في الجفاف الكبير حوالي 2200 قبل الميلاد.⁽¹⁾ مما أدى إلى أفول أي مظهر من مظاهر الإبداع والتميز، ويبدو أن ضنك العيش وفرص الحصول على الغذاء كانت هي الشغل الشاغل للسكان من دون الالتفات إلى الفنون وغيرها من مظاهر الترف والغنى المادي والمعرفي، التي كانت سائدة قبل حلول التصحر مع بداية الألف الرابع قبل الميلاد كما أشرنا سالفًا.

ويجدر بنا أن نركّز على مسألة مهمة تتعلق بالقلم الشمودي على جهة الخصوص، فبينما كانت جميع الكتابات قد مرت بمراحل تطور منذ اختراعها إلى أن وصلت إلى ما انتهت إليه من رمزية ومقاطع صوتية - كما أشرنا في الكتابتين الرافدينية والمصرية القديمة - فإننا - وبكل تأكيد - لم نجد للكتابة الشمودية أية مراحل لتطورها مثلما حدث لغيرها من الكتابات. ولعلنا نحاول تفسير ذلك في خلال الأسطر القادمة.

ثانيًا - هل مَرَّ القلم الشمودي بمراحل تطور الكتابة؟

لقد بينا أعلاه، الصورة التي ظهرت عليها وبدأت فيها الكتابة، ومراحل تطورها خارج كتابة القلم العربي القديم، وسقنا مثالين لأقدم حضارات عرفت الكتابة،

(1) Matthew D et al; (2022), The Middle Holocene 'funerary avenues' of north - west Arabia, The Holocene, Vol. 32 (3), p. 193.

وحتى نبين لماذا لم نجد للقلم العربي الشموذي مراحل تطور، مثلما حدث في المثالين السابقين؟ فإن مرد ذلك ينبغي أن يبنى على معلومات عقلية وعقلية في آن واحد، فالقلم العربي القديم الذي نرجح أنه الشموذي في الجزيرة العربية، لم نكتشف له بدايات، بل إن حروفه التي ولد فيها كانت مكتملة الشكل والتعبير، وبمجرد ربط الحروف بعضها ببعض تظهر لدى القارئ كلمة ثم جملة مفيدة.

وحتى نعرف أكثر مع ما يرتبط بالأدلة العقلية والنقلية فيما يخص علاقة اللغة العربية وارتباطها بالقلم الشموذي، فإن من البديهيات المسلم بها في الكتب السماوية والسنة النبوية - وأهمها وأكملها القرآن الكريم - أن اللغة العربية كانت هي اللغة أو اللسان الذي ورد ذكره بشكل صريح في القرآن الكريم، وأنها اللغة المنطوقة لأول الخلق "آدم" - عليه السلام -، وكانت هبة من الله منحها إياه من خلال تعليمه إياها بنص القرآن الكريم، ففي التفاسير والإشارات ذات الاختصاص ما يؤكد تعلم آدم هبة ربانية، حيث حصل آدم - عليه السلام - على فيض من النعم، أهمها على جهة الخصوص ما أشار إليه "المطروذي"، في قوله - تعالى -: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، [سورة البقرة: 31] أنها تعني: "مسميات المخلوقات سماوية أو أرضية، مما يلزمه في حياته، وخصائصها، وكيفية الاستفادة منها، واستغلالها، بما وهب من قدرة على التمييز، وبهذا يحصل آدم - عليه السلام - على قدرات واستعدادات جديدة.... وأن لديه القدرة على التعامل مع الأشياء، والاستفادة منها، بفضل ما أعلمه الله به، وما أودعه فيه"⁽¹⁾. ولعل من المفيد أن نشير قبل أن نتوسع في المفهوم، إلى أن أرض الجزيرة العربية هي موطن آدم - عليه السلام -، وأن مئات الآلاف من النقوش والكتابات الشمودية موطنها الغالب في أرض الجزيرة العربية، والاحتمال

(1) المطروذي، عبد الرحمن بن إبراهيم، الإنسان - وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، ط2، دار عالم الكتب، الرياض، 1993، ص24.

المؤكد أنها انتشرت خارج حدود الجزيرة العربية، حيث اكتشفت كتابات قريبة خارج الجزيرة عند حوض البحر الأبيض المتوسط، وكتابات بعيدة وصلت إلى القارة الأمريكية الجنوبية، عند كهوف "أنوبيس" في كولورادو - أو كلاهما حيث وثق الباحث الأنثروبولوجي عيد اليحيى تلك النقوش والأحرف الثمودية في زيارة ميدانية للغرض، في برنامج (على خطى العرب).⁽¹⁾

لقد عرّج عالم اللغات والكتابات في الجزيرة العربية "سليمان الذيب" في أكثر من مناسبة على تلك الكتابات الثمودية المكتشفة في كولورادو من خلال تصريحات وتعليقات نشرت على اليوتيوب، وشدد على أن يحضى هذا الاكتشاف باهتمام خاص لمعرفة العلاقة بين القلم الثمودي وهذه الكتابات.⁽²⁾

وعودا إلى بدء فإنه مع ربط المعطيات الأثرية للاستيطان البشري في الجزيرة العربية من خلال الاكتشافات الحديثة للإنسان العاقل، التي لا تتعارض مع المستقر في المعتقد الديني الإسلامي، بل تتطابق مع ما عرف حديثا عن الزمن الذي وُجد فيه الإنسان العاقل، ربما خلال نهاية عصر (البلايستوسين)، حيث أكدت آخر الأبحاث وجود الإنسان العاقل في الجزيرة العربية بعد تحسن الظروف المناخية فيها، بحيث أصبحت أكثر ملائمة للحياة البشرية.⁽³⁾

(1) <https://www.youtube.com/watch?v=aA4fwTZPhT8&t=24s>.

(2) <https://youtu.be/WPoqMKghUsI?si=aTqrKDez8SDFkMfZ>.

(3) Breeze PS, et al; (2016) Palaeohydrological corridors for hominin dispersals in the Middle East ~ 250 – 70,000 years ago. Quatern Sci Rev, 11:155 – 185; – Rosenberg TM et al; (2013), Middle and Late Pleistocene humid periods recorded in palaeolake deposits in the Nafud desert, Saudi Arabia. Quatern Sci Rev. 2013;70, 109 – 123.

ثالثاً - إشكالية تاريخ القلم الشموذي في الدراسات الحديثة تعضد قَدَمُهُ:

تجدر الإشارة إلى أن ما يروج له من دراسات وأبحاث حول بداية الخط الشموذي، أنها غير محسومة من حيث تحديد التاريخ، وبالاطلاع على ما كتب عن بداية الأبجدية وما اكتشف حديثاً بشأنها، وله علاقة بالقلم الشموذي، وما وصلنا من معلومات عنها: - نشير إلى أنه ورغم توفر نماذج وأمثلة من الكتابة الأبجدية المبكرة، إلا أننا وجدنا عبارة متداولة على الدوام مفادها، "نفتقر إلى تواريخ واضحة ومحددة".⁽¹⁾ وبناء على ذلك فإن فهمنا لتاريخ القلم الشموذي قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهو التاريخ الأقدم الشائع والمعروف بين أوساط الباحثين، فإن الجديد بهذا الصدد، اكتشاف حروف ثمودية حديثة تؤكد ما ذهبنا إليه من أن التاريخ المتداول غير دقيق وغير محسوم لبداية الكتابة بالقلم الشموذي، حيث بدأت الأبحاث تشير إلى وجود أدلة لكتابة أبجدية مبكرة محتملة مستقلة وغير مرتبطة أو متأثرة بكتابة أخرى، من المرجح أنها تعود إلى أواخر العصر البرونزي (c. 1600) /Late Bronze Age) 1200 - 1550 BC والعصر الحديدي (c. 1200 - 586 BC Iron Age)، في حين أن الإشارات السابقة تذكر بأن الأبجدية المبكرة تطورت بالتعاون مع عمال المناجم (الكنعانيين) في سيناء (أو على الأقل، تم تبنيها من قبلهم) خلال عصر الدولة الوسطى المصرية القديمة في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، واليوم يتردد في الأوساط العلمية من ذوي الاختصاص ترجيحهم، بأن الكتابة الأبجدية المبكرة

(1) Haring, B, (2020), Ancient Egypt and the earliest known stages of alphabetic writing, in P.J. Boyes & P.M. Steele (ed.) Understanding relations between scripts II: early alphabets, Oxford Oxbow, p. 53 - 67.

تطورت بشكل مستقل عن الكتابة المصرية.⁽¹⁾

وفي اكتشاف جديد لحروف ثمودية، عثر عليه في تل "لخيش" (Lachish) جنوب غرب القدس، عبارة عن كسرة فخار عليها كتابة بالمداد الأسود بخلفية بيضاء مُصَفَّرَة (ينظر الشكل - 2 -)، تحمل كلمتين، بأسلوب الخط الدائري أحد أساليب الكتابة الثمودية،⁽²⁾ على حد تفسير "الذبيب" المتخصص بالقلم الثمودي، وهو الذي قدّم دراسة نقدية دقيقة للدراسة التي نشرت مؤخراً عن الكتابة المركبة من كلمتين مهمتين ونشرت في عام 2022،⁽³⁾ حيث أثبت "الذبيب" أن الكلمة الثانية والتي تقرأ "ش ت ل ن" كلمة ثمودية وتعني "الزرع" كاسم مفرد مذكر،⁽⁴⁾ وهنا يتبادر إلى الذهن أن مفردة "ش ت ل ن" لا بد من أنها أصل المفردة العربية "شتلة"، والتي تعني في معجم المعاني الجامع العربي "النَّبْتُ الصَّغِيرَة"، وبحروف هذه الكلمة، نكون قد حصلنا على حروف ثمودية للغة عربية أصيلة، كما أعطتنا هذه الدراسة نتيجة مبهرة عن الزمان (ما قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد) والمكان الذي يشير إلى قَدَم القلم الثمودي وانتشاره شمالاً، وإن نتائج هذا الاكتشاف تعطينا معلومات تصحح ما كان شائعاً على مدى عقود. ولعل الاكتشافات والدراسات

(1) Hoflmayer, F., et al. 2021, Early Alphabetic Writing in the Ancient Near East: The Missing Link from Tel Lachish., Cambridge: Cambridge University Press.

(2) الذبيب، سليمان بن عبد الرحمن، نقش تل لخيش قراءة جديدة، في: عبدالمالك سلاطينة، المصادر التاريخية والأثرية وأهميتها في البحث التاريخي والأثري، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2022، ص 117، 120.

(3) Höflmayer F, et al, op.cit, pp.705 - 719.

(4) الذبيب، سليمان، 2022، مصدر سابق، ص 118

الحالية والمستقبلية ستثبت أن القلم الشموذي يعود تاريخه إلى زمن أقدم كثيرا، وهذا ما سنحاول إثباته في دراستنا هذه.



(شكل رقم - 2 -) كسرة الفخار المدون عليها أحرف شموذية والمكتشفة في موقع "لخيش" (Lachish)، عن:

Höflmayer F, et al (2021), Early Alphabetic Writing in the Ancient Near East: The Missing Link from Tel Lachish, Cambridge: Cambridge University Press, fig.7

وحتى نعرف تاريخ القلم العربي القديم (الشموذي) بناء على الأدلة الأنثروبولوجية والجيرموفولوجية: - لا بد من معرفة حقيقة الإنسان العاقل الذي كان يعيش في ربوع الجزيرة العربية، والذي أثبتت الدراسات والكشوفات الحديثة أنه كان يعيش في مناخ ملائم جدا لتكوين حياة مناسبة للإبداع والتطور التدريجي في ربوع المملكة العربية السعودية. وبعد أن حلّ التصحر والجفاف اضطر انسان الجزيرة الى الهجرة بحثا عن اماكن استيطان أخرى في ظروف اكثر ملائمة للعيش، وحمل معه ثقافته وابداعه الفكري والمتمثل باهم خاصية ثقافية وهي الكتابة

الشمودية، ولعل انتشار القلم الثمودي خارج حدود الجزيرة العربية بموجب ادلة جديدة تم اكتشافها في مناطق بعيدة وبنفس النمط من الكتابة، اثبتها واجهات صخرية في الجنوب الغربي لليبيا (جنوب الصحراء)، من بينها كتابات وادي الحاج، حيث توجد مئات النقوش على الصخور، من بينها أحد الصخور التي تعرف محليا بـ "رشادة الكتبية" أي صخرة الكتابات، والاكثر وضوحا نجد كتابات ثمودية في واجهات صخرية عند "جبل الحساونه" 75 كلم شمال مدينة سبها، أثبتت ان القلم العربي الثمودي قد وصل الى هناك وبنفس نمط الخط الثمودي في الجزيرة العربية، وهذا الاكتشاف يعد الأول من نوعه، حيث لم يسبق ان نشر او اشير الى وجود كتابات ثمودية خارج حدود الجزيرة العربية في افريقيا، ولعرض هذا الاكتشاف الجديد، فقد تواصلنا مع أحد السكان المحليين من المستكشفين "خليفة على الحسناوي"، والذي امدنا بالكثير من النقوش الكتابية الثمودية، والتي ستخضع للدراسة والتحليل من قبل المختصين لاثبات ماهيتها وتبيان طبيعة المحتوى العام لهذه الكتابات الثمودية، في حين اشارت المقاربات والتحليلات الاولى لعدد من النقوش بانها تخص اسماء اعلام وادعية وبعض التمنيات بشكل فردي، وهي في الغالب تعتبر المحتوى الأعم الاغلب للنقوش والكتابات الثمودية في عموم الجزيرة العربية، وللوقوف على احد هذه النقوش نسوق المثال التالي والخاص باحد الواجهات الصخرية من ليبيا (ينظر شكل رقم - 3 -)، والذي يبين كتابة ثمودية لا تختلف عن رموز واحرف الكتابة الثمودية المكتشفة في الجزيرة العربية وتحديدًا في المملكة العربية السعودية.



(شكل رقم - 3 -) كتابات ثمودية مع رسوم ادمية وحيوانية تمثل مشاهد صيد وحركة وتنقل، تملأ واجهة صخرة في جبل الحساونه شمال مدينة سبها - جنوب غرب ليبيا، تصوير خليفة علي الحساوي وفريقه بدعم واشراف من قبل الدكتور عيد اليحيى.

رابعاً - بدء التصحر في الجزيرة العربية وتعذر بقاء بعض الحيوانات في البيئة الجافة:

لابد من إعطاء لمحة عن العامل الجغرافي المؤثر، الذي لعب الدور الأكبر في تحديد طبيعة حياة الإنسان واستقراره أو نزوحه في الجزيرة العربية، فمن المعتقد أن مناخ الجزيرة العربية بشكل عام والمملكة العربية السعودية بشكل خاص: - قد بدأ يتعرض للجفاف منذ ما قبل الألفية الخامسة، وهذا يعني ضرورة أن تقلص الأراضي العشبية، وتزداد ندرة المياه والحاجة إليها سواء للإنسان أو للحيوان، وقد أشارت الدراسات الجيومورفولوجية إلى أن ذلك حدث في العصر الحجري الحديث، مما جعل الإنسان يفكر في البحث عن مصادر المياه والكلاً، فاضطر إلى نقل قطعانه بشكل أكثر انتظاماً. وفي فترة لاحقة اضطر إلى التوقف عن تربية الماشية، مفضلاً الحيوانات الأكثر صلابة التي تتناسب وظروف الجفاف خلال تلك الفترة، التي عرفت بفترة الهولوسين الرطبة (Holocene Humid Period = HHP) بين ما قبل 8000 الى 4000 قبل الميلاد في شبه الجزيرة العربية. لتبدأ مرحلة التصحر والجفاف المستمرة نسبياً إلى الوقت الحاضر، حيث كانت مناطق شاسعة من الجزيرة قاحلة بشكل عام، وبلغت ذروتها في الجفاف الكبير أواخر الألف الثالث قبل الميلاد.⁽¹⁾

ونتيجة لهذا التحول المناخي الذي عمّ الجزيرة العربية، خرجت مجاميع بشرية باتجاه مصادر المياه الدائمة كالأنهار والينابيع في شمال الجزيرة العربية وشمال شرقها نحو بلاد الشام وبلاد الرافدين. أما المجاميع البشرية التي ظلت تستوطن

(1) Petraglia MD, Groucutt HS, Guagnin M et al; (2020) Human responses to climate and ecosystem change in ancient Arabia. Proceedings of the National Academy of Sciences 117, p.8263 - 8270.

الجزيرة العربية مع نهاية العصر الحجري الحديث، لاسيما في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، فكان لزاما عليها، إما أن تستغل المناطق الموسمية التي تتوفر فيها المياه نسييا مع ضنك العيش بسبب الجفاف،⁽¹⁾ وإما ابتكار طريقة لحفر الآبار، ونجد أن الآبار التي بنيت واكتُشفت من قبل المسوحات الأثرية خلال السنوات المنصرمة: - قد أثبتت الدراسات أنها قد بُنيت من قبل المستوطنين - الرعاة على حد تعبير الدراسة - في أوائل الألف الخامس قبل الميلاد -.⁽²⁾

وتحليلنا لهذه النتائج أعلاه هو أن الجزيرة العربية لم تكن ممراً رئيساً لحركة البشر بين المناطق خارج حدودها القريبة والبعيدة فقط، بل إن الأبحاث الأخيرة قد أشارت إلى أن بيئة الجزيرة العربية وفقا للأدلة الأثرية والجيرموفولوجية: - كانت بمنزلة بوتقة تطوّر من خلالها بنو البشر عبر الزمن، وذلك منذ ما لا يقل عن 60 ألف عام، ومنذ ذلك التاريخ حتى العصر الحجري الحديث، الذي من المرجح أنه بدأ في الألف العاشر قبل الميلاد في الجزيرة العربية: - فإن الآراء قد كثرت حول طبيعة الحياة البشرية والحياتية، سواء الخاصة بتقلص أعداد البشر أو الخاصة بانقراض عدد من الحيوانات الإقليمية الوافدة مع استمرارية العيش لعدد من السكان الأصليين، الذين تكيفوا مع الظروف البيئية الجديدة القاحلة والجافة نسييا.⁽³⁾ وإنه خلال الفترة ما بين 11000 و 6000 سنة تقريبا، أصبح من المؤكد أن شبه الجزيرة

(1) Ibid, pp. 8265 - 8267.

(2) Gebel HGK, (2013), Arabia's fifth - millennium BCE pastoral well cultures: Hypotheses on the origins of oasis life. Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 43, pp.111 - 126.

(3) Groucutt HS, Petraglia MD, (2012), The prehistory of Arabia: Deserts, dispersals and demography. Evol Anthropol, 21, pp.113 - 125.

العربية قد شهدت نمواً ديموغرافياً في السكان، ويدل على ذلك الانتشار الواسع للمواقع الأثرية السكنية شبه الدائمة المكتشفة خلال العشر السنوات الأخيرة، في شبه الجزيرة العربية.⁽¹⁾

المبحث الثاني: شيء عن تاريخ وأقسام القلم الثمودي:

أولاً - تسمية القلم الثمودي وأقسامه:

إن الشيوع في تسمية القلم الثمودي وقوم ثموديين أو ساط العامة من الناس جعل باحثين عرباً متميزين يذهبون للقول بأن هذه التسمية أصبحت عاملاً مهماً في الخلط - لدى العوام - بين ثموديين القرآن الكريم وأصحاب هذه اللغة، وهذا ما طرحه المتخصص بكتابات الجزيرة العربية "الذبيب" في قوله: "إننا نستطيع القول إن أصحاب هذه اللغة لا علاقة لهم بالثموديين المذكورين بالقرآن الكريم"، ويضيف "الذبيب" قائلاً: "نظن أن تسميته "الخطّ الشعبي"؛ غير مستبعدة لانتشاره الجغرافي الواسع في شبه الجزيرة العربية أو البدوي للسبب ذاته، فهو لم يظهر في جلّه إلا في الصحارى المنتشرة في شبه الجزيرة العربية".⁽²⁾

وأما اللفظ نفسه فإن لفظة "ث م د"، تكرر ذكرها في الكتابات الجزرية، سواء في الحوليات الآشورية، أو في النقوش السبئية والمعينية، والصفائية.⁽³⁾ كما

(1) Michael D Petraglia, et al; (2015), Green Arabia: Human prehistory at the Crossroads of Continents, Quaternary International, Volume. 382, pp.1 - 7.

(2) الذبيب، سليمان بن عبد الرحمن، نقوش عربية شمالية من جبل ام سلمان بمحافظة حائل بالمملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الملك سعود، الاداب (1)، مجلد 11، العدد الأول، 1999، ص 3 - 5.

(3) Winnett F& Harding G, (1978), Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns, Toronto: University Toronto press, nos. 3792a, 3792c.

وردت بصيغة "ث م و د و" في النقوش النبطية، وبصيغة "ث م و د ي" في المصادر الكلاسيكية.⁽¹⁾

وقد اقترح "سليمان الذيب"⁽²⁾ أن الخط الثمودي لا يخرج عن كونه صنفين لا ثالث لهما، فيما يخص فترة ما قبل الميلاد، معتمداً على ما ورد من إشارات نصية مؤرخة ضمن دراسات منشورة، بناءً على التقسيم الآتي:

1. الثمودي (الشعبي) المبكر: وهو يمثل المجموعتين الأوليين الثمودي التيمائي والنجدي (A+B). ويعود تاريخه إلى ما بين القرنين الثاني عشر أو الحادي عشر إلى القرنين الخامس أو الرابع قبل الميلاد. وهذا التاريخ المقترح تؤكدُه النقوش المبكرة، ومن أبرزها نصّ المشمخة.⁽³⁾

2. الثمودية (الشعبية) المتوسطة (الانتقالية): ويمثل هذه المرحلة الخط المعروف بالحجازي (C+D)، ويؤرخ بالفترة الواقعة فيما بين القرنين الرابع حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد، كما استمرّ في الاستخدام حتى القرن الثاني الميلادي.⁽⁴⁾

ثانياً - نقوش جديدة عن اسم العلم تهد في المملكة العربية السعودية:

بعيدا عما كتب عن التقسيمات اعلاه وتاريخها، فإن الأدلة الجديدة المكتشفة

(1) Pliny, (1969), Natural History Book.VI, London: Loeb Classical Library, Cambridge, p.157.

(2) الذيب، سليمان، 1999، مصدر سابق.

(3) إسكوبي، خالد، دراسة تحليلية مقارنة لنقوش منطقة "رم" جنوب غرب تيماء، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1996، ق 169.

(4) الذيب، سليمان، 1999، مصدر سابق.

عن ورود لفظ "ث م د"، التي تشير إلى قوم من اسم العلم ثمود، قد أكدته المكتشفات الحديثة في المملكة العربية السعودية، ومن بينها:

- نقش في سفح جبل "أم سنمان" بمدينة جبة، وقد وقف على اكتشافه الأنثروبولوجي عيد اليحيى وقارئ الكتابات التمودية "ممدوح الشمري"، وذلك في غار صغير على صخرة قد سقطت، وانفصلت عما التصقت به، وقد نقشت عليها كتابة اسم ثمود بلفظة "ث م د"، والكلمة هنا لقب لاسم علم وليس صفة، وذلك في الأحرف الثلاثة الأخيرة من السطر الأول بشكل عمودي من جهة اليسار، مما يؤكد تأكيداً لا لبس فيه عن وجود اسم لقوم تسموا بما عرفوا أنفسهم به بشكل شفهي قديماً ثم بالكتابة لاحقاً؛ ليأخذ الاسم حروف ثلاثة هي "ث م د"، وهذا واحد من بين أهم الأدلة على اللفظ وأفصحها، بالدليل المادي الأثاري الكتابي أدناه الذي قرأه وترجمه (صورة وشكل رقم - 4 -) على النحو الآتي:

قراءة النقش:

و د ف

م ع ص ت

و د ف ث م د

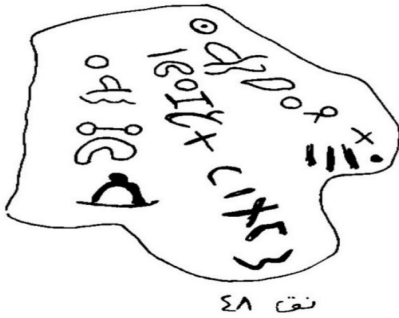
ل م ع ز ك ت ب ن خ ر ف

وترجمة النقش:

تحيات (ود) ل م ع ص ت (اسم علم)

(و) تحيات (ود) ل ثمود (اسم علم)

من ع ز ك ت (اسم علم) بن خ ر ف (اسم علم)



(صورة وشكل - 4 -) تفريغ الكتابة والنقش الثمودي الذي يظهر مفردة ثمدا
بكامرا عيد اليحي مع تفريغ للنقش من قبل الباحث "ممدوح الشمري".

- نقش جديد من حيث اعادة القراءة وتصحيح القراءة السابقة من قبل
المستشرقين من منطقة حائل عند واجهة صخرية لجبل يسمى "الرميمينات" شمال
شرق مركز حائل، تمت معاينته وقراءته من قبل الباحث في القلم الثمودي "مشاري
النشمي"، (ينظر الشكل رقم - 5 -) وقد قرأه "النشمي" بشكل تصحيحي ضمن
الحروف والترجمة التالية:

هال

هث م د

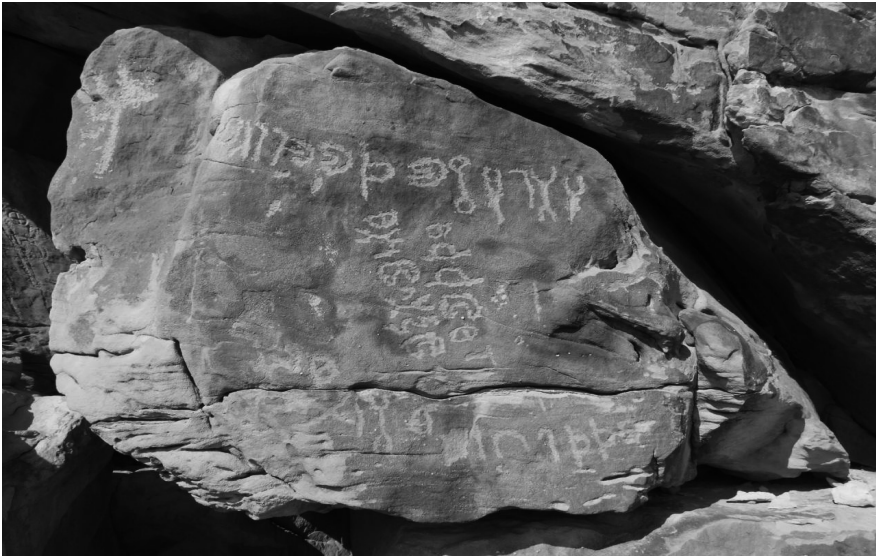
م ح ل

ل هج ع

الترجمة العامة: هال (أي دُفن) الثمد (أي مجمع الماء) (بعد) محل (أي جذب)
(بواسطة) هجع (هاجع) اسم علم.

علما وان المنخفض المقابل للواجهة الصخرية التي يوجد فيها النقش، يتجمع
فيه الماء في المواسم الممطرة ويبقى الماء في الحوض لأشهر، وهذا ما حصل

بالفعل عند زيارة النقش وتصويره، حيث لوحظ وجود بحيرة الماء.



(شكل رقم - 5 -) بحيرة الماء التي يواجهها النقش الذي قرأه الباحث "مشاري النشمي" مشكورا قراءة تصحيحية، وفيه المفردة الدالة على كلمة "ث م د" في السطر الأول من الأعلى وبشكل افقي، بكامرا الباحث "مشاري النشمي".

الترجمة الحرفية للنقش:

هال: (فعل)، هال يهيل، هل، هَيْلاً، فهو هايل، والمفعول مَهِيل، هال عليه التُّرابُ صَبَّهُ، نثره⁽¹⁾. قال تعالى ﴿وَكَاَنَتِ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَّهِيلًا﴾. [سورة المزمل: 14].

الثَّمْدُ: المكان يجتمع فيه الماء والجمع: أثمادٌ، وِثْمادٌ⁽²⁾، قال ابن الأعرابي: الثَّمْدُ قَلْتُ يجتمع فيه ماء السماء فيشرب به الناس شهرين من الصيف، فإذا دخل أول القيظ انقطع فهو ثَمْدٌ، وجمعه ثِماد⁽³⁾.

المَحَلُّ في الأصل: انقطاع المطر، والمَحَلُّ الجذب وهو انقطاع المطر ويُسُّ الأرض من الكَلَالِ، وأمحل المطرُ أي احتبس، قال حسان بن ثابت:

إِذَا تَرَى رَأْسِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ شَمَطًا، فَأَصْبَحَ كَالثَّغَامِ الْمُمَحِلِّ⁽⁴⁾
هَجْع: اسم للرجل الغافل الحمق⁽⁵⁾.

لقد جاءت هذه النقوش مكملة لما أُكشِف من نقوش تحمل نفس الاسم "ث م د"، حيث أفادنا قاريء النقوش الشمودية من جبة بمنطقة حائل "ممدوح الشمري": بأن عدد النقوش الشمودية التي تحمل اسم العلم "ث م د"، قد وصل إلى أكثر من خمسة عشر نقشا في أماكن كثيرة في المملكة العربية السعودية.

ثالثاً - تاريخ القلم الشموذي بموجب الأدلة الأثرية والجيرموفولوجية المرتبطة بحيوانات منقرضة:

إن الدراسة التي نقدمها في بحثنا هذا تخرج عن التأريخ الذي ذهب إليه الباحثون

(1) ينظر تحت كلمة هال في: معجم المعاني الجامع

(2) ينظر تحت كلمة أثمادٌ، وِثْمادٌ، معجم المعاني الجامع

(3) ينظر تحت كلمة ثمد و ثماد، ابن منظور، لسان العرب.

(4) ينظر تحت كلمة محل، ابن منظور، لسان العرب.

(5) ينظر تحت كلمة هجج، ابن منظور، لسان العرب.

العرب والأجانب على حد سواء، مستندين في ذلك إلى أدلة جيرموفولوجية وتحليلات وقرارات لكتابات ثمودية مرافقة للحيوانات المنقرضة التي كما ذكرنا في مقدمة دراستنا أنها كانت تعيش مع الإنسان في الجزيرة العربية خلال فترة المناخ الملائم؛ من حيث وفرة مصادر المياه والنبات، إضافة إلى وجود الحيوانات التي تعيش عليها بعض الحيوانات المفترسة، ومن الصعب بقاؤها في ظل ظروف مناخية غير ملائمة، خاصة مع قلة الأعشاب، وعدم وجود كميات وافية من المياه، وسوف نستدل على ذلك من خلال عرض نماذج للنقوش الكتابية المرافقة لتلك الحيوانات المرسومة على الصخور، وهي عبارة عن نقوش يمكننا تسميتها بنقوش الملكية الفردية، حيث نجد أن صاحب النقش يشير إلى اسمه بالقلم العربي الثمودي على أنه مالك وحائز على ذلك الحيوان، الذي أثبتت الدراسات الجيرموفولوجية والأثرولوجية: - أنه من المستبعد أن يبقى على قيد الحياة في ظل ظروف التصحر والجفاف، التي بدأت من الألف الخامس قبل الميلاد وصولاً إلى قمة ذلك التصحر والجفاف مع منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ونهايتها، وهذه هي طبيعة المناخ الذي أثبتته الدراسات والمسوحات والتنقيبات الحديثة في السنوات الأخيرة، ولا يمكن لمثل تلك الحيوانات أن تعيش إلا في بيئات ملائمة لحيوانات غابات السافانا في بعض أجزاء من أفريقيا اليوم، حيث الظروف البيئية المناسبة، ومن المحال بقاؤها ووجودها في الجزيرة العربية، وخصوصاً في المملكة العربية السعودية، خلال تلك البيئات في الألفين الرابع والثالث على أقل تقدير، في حين أشارت نتائج المسوحات من عصر البلايستوسين قبل الألف الخامس: - إلى وجود حيوانات مائية في أرض المملكة العربية السعودية، وخير مثال نسوقه هنا، ما كشفته الحفريات من أدلة حيوانية (الفقاريات في المقام الأول)، ومن بينها فرس

النهر في شبه الجزيرة العربية⁽¹⁾، وذلك في الحفريات المتناثرة على السطح في موقع "تي الغادة" (T al Ghadah) حيث تكرر اكتشاف أفراس النهر، وهي ثدييات شبه مائية تحتاج إلى مسطحات مائية دائمة يبلغ عمقها عدة أمتار.

ولقد قدم لنا هذا الاكتشاف دليلاً قوياً على طبيعة البيئة من خلال مراحل هطول الأمطار المتكررة في "الجزيرة العربية الخضراء"، إضافة إلى مجموعة كثيرة من الأدلة التي تشير إلى أن حيوانات الثدييات العربية كان بينها وبين حيوانات أفريقيا في العصر البلايستوسيني الأوسط والمتأخر قرب شديد، مقارنة بمنطقة الغابات شمال الجزيرة العربية.⁽²⁾

ومثال آخر يتمثل في وجود أصناف الأبقار الأفريقية مثل Syncerus و Hippotragus في شمال الجزيرة العربية، التي سوف نشاهد من خلال عرض الرسوم والنقوش شبيها لها - في مناطق متجاورة من الأراضي العشبية عبر شمال أفريقيا والجزيرة العربية بشكل عام، ولا يبدو هذا الأمر غريباً مع وفرة من المياه العذبة، وظروف مناخية ملائمة لانتشار مجموعات متنوعة من الحيوانات الثديية، عاشت جنباً إلى جنب مع بني البشر.⁽³⁾

(1) Stewart, M. et al; (2020), A taxonomic and taphonomic study of Pleistocene fossil deposits from the western Nefud Desert, Saudi Arabia, Quatern, Res. 95, p.1 – 22; Groucutt, H S, et al; (2018), Homo sapiens in Arabia by 85,000 years ago. Nature Ecology& Evolution, 2, 800 – 809. Homo sapiens in Arabia by 85,000 years ago - PubMed (nih.gov), pp. 800 - 809.

(2) Stewart, M et al; (2019), Middle and Late Pleistocene mammal fossil records of Arabia and surrounding regions: Implications for biogeography and hominin dispersals. Quatern. Int. 515, pp.12 - 29.

(3) Groucutt Huw S et al; (2021), Multiple hominin dispersals into Southwest Asia over the past 400,000 years, Nature, Vol 597, p.379.

لذا فمن المؤكد أن نجد حيوانات كثيرة تلائم طبيعة عيشها تلك الظروف المناخية المصاحبة؛ لوجود المياه والنباتات التي تحتاجها تلك الحيوانات للبقاء، ومع تلك الحيوانات التي رسمها الفنان الثمودي، كانت الكتابة الثمودية التي رافقت تلك الحيوانات وأشارت إليها، وهذا ما سنتناوله فيما يلي.

1 - رسوم الحيوانات المنقرضة المرافقة لكتابات القلم الثمودي - دراسة ميدانية:

تعد الدراسات المقارنة فيما بين النقوش الكتابية والرسوم الصخرية من الأمور المهمة في علم الآثار والنقوش والفنون الصخرية، بيد أنه لا بد من فهم طبيعة هذه الدراسات المقارنة، وتشابكها مع بعضها؛ لتحقيق نتائج أفضل، لا سيما عندما نعرف السياقات البيئية والجيولوجية المماثلة والمتباينة. وتعد دراستنا أول وصف لجمع معلومات تفصيلية من خلال المشاهدة الميدانية للرسوم الصخرية لحيوانات منقرضة، ترتبط بكتابات تعود إلى أقدم قلم عربي، وهو القلم الثمودي في الجزيرة العربية، على أمل أن تساعد نتائج هذه الدراسة على إعادة كتابة تاريخ النقوش الصخرية في الجزيرة العربية بشكل خاص، وتاريخ الخطوط في العالم بشكل عام، وذلك من خلال النافذة التي سوف نفتحها لنطل بها على تاريخ الجزيرة العربية وآثارها، خلال فترات متداخلة لآلاف السنين، وظروف مناخية متغيرة شهدتها الجزيرة العربية خلال المائة ألف سنة الماضية، وقد اتسمت بطابع المناخ المطير، والخضرة العامة مع فترة المياه، وصولاً إلى بداية الجفاف، ومن ثم التصحر الذي بدأ - كما ألمحنا سابقاً - مع بداية الألفية الخامسة قبل الميلاد.

أ - أدلة أنثروبولوجية وجيرموفولوجية:

تأتي دراستنا هذه بعد أن أصبحت الدراسات الحديثة المتكررة على مدى العقد الأخير، تشير - بكل وضوح - إلى معلومات مهمة حول إنسان الجزيرة العربية في

العصور الحجرية القديمة، وأن شبه الجزيرة العربية قد لعبت دوراً مهماً في انتشار أشباه البشر (Hominins) في المواقع الأثرية في العصر الحجري الأوسط، الممتدة من صحراء النفود في المملكة العربية السعودية الشمالية ثم إلى الدواخل، حيث ثبت تحرك تلك الموجات البشرية وهم يتتبعون شبكات البحيرات والأنهار القديمة في قلب الجزيرة العربية، وقد رصدت إشارات وأدلة جير موفولوجية وأثروبولوجية الحدود المكانية والزمنية بين البشر البدائيين والإنسان العاقل.⁽¹⁾ كما تحققت من الفترات اللاحقة خلال العصر الحجري الحديث، وعصور ما قبل الفخار في مواقع كثيرة من شمال المملكة العربية السعودية، وفي الدواخل كذلك، دلت - بكل وضوح - على وجود نوع من الاستقرار الاقتصادي، والرفه المعيشي في ظروف مناخية وبيئية ملائمة للإبداع الفني، وقدرة الإنسان على تعلم مهارات وفنون كثيرة.⁽²⁾

كما بينت نتائج التحليلات التي أجريت على بقايا البحيرات في مواقع كثيرة منها موقع "جبة" في المنطقة الشمالية ومناطق أخرى: - أنها كانت ملائمة للاستيطان، والاستقرار البشري في حدود الألف الخامس قبل الميلاد، حيث الكثافة السكانية المتمثلة في مواقع كثيرة مثل "حائل"، وشمال النفود، ووادي السرحان، وأغلبها أظهرت نقوشاً تمثيلية شبيهة إلى حد ما مع ما هو موجود من فنون في شمال الجزيرة العربية، من فئات العصر الحجري الحديث في الأردن وفلسطين، وهذا يدل على تواصل وانتشار واسع لإنسان العصر الحجري الحديث، ويبدو أن الأحوال المعيشية

(1) Groucutt Huw S et al; (2014), Late Pleistocene lakeshore settlement in northern Arabia: Middle Palaeolithic technology from Jebel Katefeh, Jubbah, Quaternary International, xxx, pp. 1 - 22.

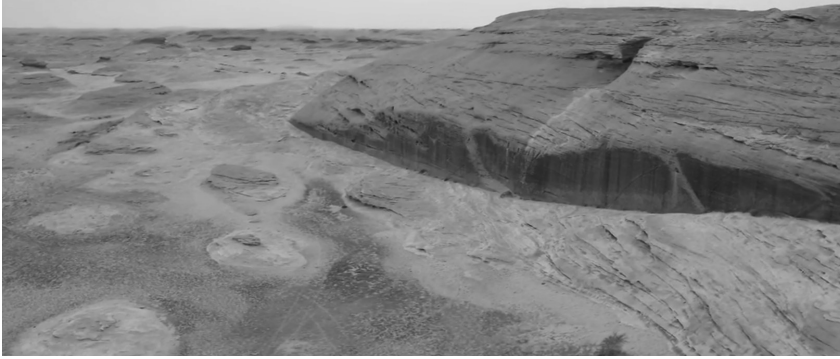
(2) الاسمري خالد فايز، التواصل الثقافي في فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار بين الشام وشمال غرب المملكة العربية السعودية، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، العدد الثامن عشر، الرياض، 2023، ص 26 - 34.

الملائمة، كالمناخ والبيئة لكلا المنطقتين، سواء في المملكة العربية السعودية أو بلاد الشام، كانت مناسبة للاستقرار والإبداع الفني والحرفي، والأمثلة على مثل هذه المواقع التي نُقِبَ فيها، وكُشِف عنها منها: مواقع تعود إلى العصر الحجري الحديث في المملكة العربية السعودية، مثل موقع "وادي شرما" بمحافظة تبوك، وموقع جبل "القطار" ببلدة جبة شمال الرياض، وموقع جبل "العينة" شمال تبوك، ويعد الأخير من بين المواقع المهمة في إظهار التطور الثقافي خلال العصر الحجري الحديث من فترة الألف الثامن والسابع قبل الميلاد بناء على اختبار كربون 14 لعينات من المكتشفات، لا سيما عظام لحيوانات شملت الماعز والأغنام وعدد من العظام الأخرى التي يصعب تحديد كونها مستأنسة أو برية، وبعد دراستها نرجح أنها أقرب تشابهاً إلى أسلافها البرية.⁽¹⁾

وتجدر الإشارة إلى أن مشروع الجزيرة العربية الخضراء وهو مشروع علمي تشرف عليه هيئة التراث السعودية، بدأ منذ عام 2012، وتتعاون فيه الهيئة مع جهات محلية ودولية للعمل على أبحاث ميدانية مختلفة التخصصات، أهمها معهد ماكس بلانك الألماني (Max Planck Institute of Geoanthropology)، ويدرس المشروع العلاقة بين التغيرات المناخية المتتالية التي مرت على الجزيرة العربية عبر عصور طويلة، وبدايات استيطان الإنسان في الأرض، وهجراته عبر قارات العالم القديم، حيث بدأ المشروع أعماله قبل عشر سنوات تقريبا، وقد أعطى نتائج مذهلة حول عدد الحيوانات، ولم يقف الأمر عند مشاهد حيوانات عصر السافانا والعصور الحجريّة، بل تأكد وجود البحيرات وكل ما له علاقة بالمياه الدائمة، فعلى سبيل المثال، هناك واجهة صخرية لعدة مشاهد فنية، في "بحيرة حفر لقط"، حوالي 100 كلم غرب منطقة الشملي، نجد جدارية تحوي رسماً لقارب بمجداف قصير أمام البحيرة، يدل دلالة واضحة على استخدام الثمودي للقارب داخل مياه البحيرات في

(1) الاسمري، خالد الفايز، مصدر سابق، ص 26 - 34.

ذلك العصر سواء كان من العصر الحجري القديم أم من العصر الحجري الحديث، قبل الألف الخامس قبل الميلاد على أقل تقدير، وفي مقابل تلك الجدارية التي تمتد بطول 120 متراً منخفض جاف حالياً، وقد كان بحيرة مليئة بالمياه خلال عصر البلايستوسين وما بعده. وبالعودة إلى مشاهد الجدارية، فإننا أحصينا النقوش التي عليها، وقد وصلنا إلى ثلاثة آلاف نقش، من بينها مشهد القارب الذي يعد دليلاً قاطعاً على أن المنطقة كانت مغمورة بالمياه، وأن بحيرة مائية كانت تشرف على هذه الواجهة الصخرية، التي رسم عليها الفنان ما شاهده من حيوانات كانت تأتي لتشرب من هذه البحيرة، وربما شاهد الفنان مشاهد افتراس الأسود التي كانت تنتظر فرائسها بالقرب من البحيرات المائية للمياه العذبة. (ينظر شكل رقم - 6 -)



(شكل رقم - 6 -) جدارية بحيرة حفر لقط بمنطقة الشملي،
وأبرزنا من المشهد المتعدد رسم القارب، كامرا الباحثين.

وما انعكس على طبيعة حياة الإنسان منذ الألف العاشر قبل الميلاد: - قد مكّنه من ممارسة الرسوم الصخرية والكتابات المرافقة لها. وعليه فقد قمنا بجولات ميدانية استكشافية في عموم مناطق المملكة العربية السعودية، ورصدت عدستنا ووثقت آلاف المشاهد للرسوم الصخرية للحيوانات، نفذت تلك المشاهد بطريقة النقر تارة، وبطريقة الحك تارة أخرى، مع الوضوح التام لدرجة العتق عند كل رسم صخري؛ حيث تكررت كثيراً - وبشكل واضح - تلك الدرجة للعتق على نفس الواجهة الصخرية لحيوانات من فترات متعاقبة، يمكن تمييز فترات بكل سهولة من درجة العتق من الأقدم إلى الأحدث. وقد تم التركيز على ما يرافق تلك الحيوانات من كتابات بالقلم العربي القديم (الشمودي)، وبإشراف الأنثروبولوجي عيد اليحيى وإدارته، وهو الخبير في بيئة الحيوانات البرية والصحراوية في عموم المملكة العربية السعودية، وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على ما تم حفظه وعرضه من أدلة ومشاهد مصورة في البرنامج الوثائقي الشهير "على خطى العرب الرحلة السادسة".⁽¹⁾

وسوف نقف عند كل رسم لحيوان منقرض شارحين ومحللين نوعه ومسماه وطبيعته البايولوجية وقدراته للعيش في ظروف ملائمة لحياته، مع ما يرافق كل حيوان من أدلة نصية كتابية نركز فيها على طبيعة العتق للرسم الصخري للحيوان ودرجته، مع درجة العتق نفسه للقلم العربي الشمودي الأول، وغالباً ما ستكون من ضمن الكتابات ذات الطبيعة الملكية لحيازة ذلك الحيوان.

ومسألة جوهرية تجب الإشارة والتنبيه لها، فيما يخص الرسوم الصخرية في عدد كبير من الواجهات الصخرية بعموم المملكة العربية السعودية، وهي التداخل الفني في المكان الواحد للرسوم الصخرية مع اختلاف الفترة الزمنية، ويمكن فهم ذلك من

(1) https://www.youtube.com/watch?v=TvC9RJHSeI&list=PLOFBINCrIrW7y77E5DDi310gMzN_scswV

خلال التركيز على درجة العتق أولاً، ومن ثم محاولة تحليل المشهد وإعادة إنتاجه، بحيث نتخيل الرسوم في وقت رسم المشهد، من خلال طبيعة موضوع المشهد، وهذه الظاهرة تتكرر كثيراً، وخير مثال نسوقه على هذا، الدراسة الفنية للوحات فنية جدارية من موقع "الشويمس" (Shuwaymis)، شمال غرب المملكة العربية السعودية بمحافظة الحائط بحائل، وفيها مشاهد فنية صخرية على واجهة تحمل فترتين زمنيتين متعاقبتين، وتظهر اللوحة بشكل عام فترة الصيد متداخلة مع مشهد لاحق يمثل مرحلة الرعي في الجدار نفسه الخاص بالمشهد المتداخل،⁽¹⁾ ويظهر واضحاً أن مشهد رعي الماشية كان محفوراً فوق مشهد صيد موجود في زمن سابق، حيث نقش الفنان بعض الصيادين والكلاب ثم أضيف مشهد الرعي، كما برزت - بشكل واضح - التجوية، ودرجة العتق بين المشهدين، وتركيب مشهد الرعي جاء بعد مرحلة من مشاهد الصيد التي نفذت من قبل سكان سابقين، ونستطيع تسميتهم بالسكان الأوائل أو السكان الأصليين. (ينظر شكل رقم - 7 -)



(شكل رقم - 7 -) لوحة صخرية تحوي مشاهد من عصرين مختلفين، وهما عصر الصيد في العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث المتمثل بمشاهد الرعي للحيوانات

(1) Guagnin M at el (2015), Hunters and herders: Exploring the Neolithic transition in the rock art of Shuwaymis, Saudi Arabia, Archaeological Research in Asia xxx, p.7, fig.6.

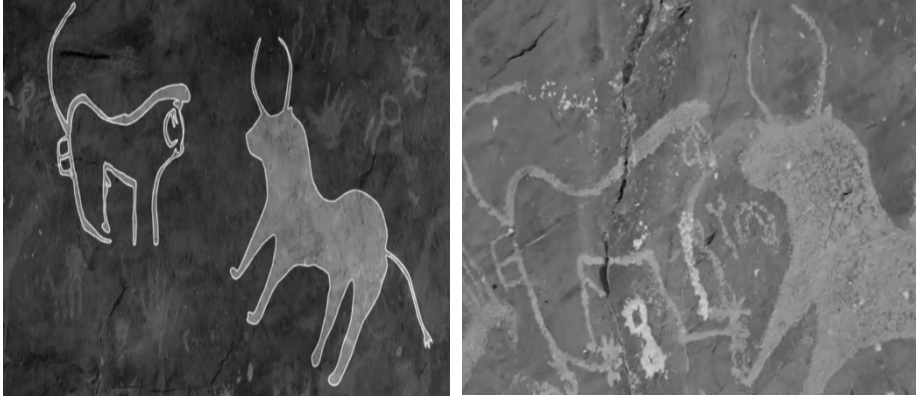
المستأنسة، لاحظ درجة العتق المستخدمة للتمييز بين الفترتين، إضافة إلى الجوانب الفنية المعبرة للمشاهد، نقلا عن:

Guagnin M at el (2015), Hunters and herders: Exploring the Neolithic transition in the rock art of Shuwaymis, Saudi Arabia, Archaeological Research in Asia xxx, p.7, fig.6.

ب - الرسوم الصخرية والنقوش الكتابية الثمودية:

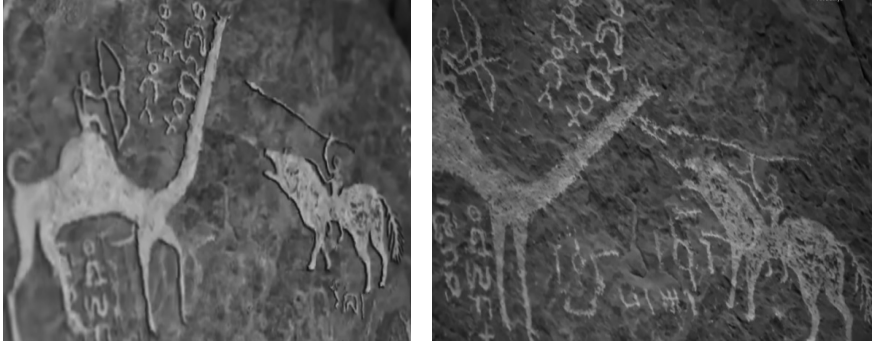
في ضوء المعطيات الخاصة بطبيعة الرسوم الصخرية وواجهاتها، التي تمثل أسوداً وفهوداً وذئباً وضباعاً وووعولاً وغزلاناً وحمراً وحشية، ومعظمها انقراض، وبقيت رسومها والنقوش الكتابية المصاحبة لتلك الرسوم، وقد رصدنا مجموعة من الكتابات الثمودية التي ترافقها حيوانات منقرضة ضمن المواصفات والمميزات الخاصة بكل حيوان على حدة، على حسب الآتي:

ب. 1 - رسوم الأسود: في مشاهد متعددة وبأوضاع متباينة رسم الفنان الثمودي الأسد، وكان ذلك في مناخ ملائم لعيش الحيوانات مع وفرة كميات كبيرة من الحيوانات التي يعاش عليها وآلاف البحيرات المائية والمياه العذبة الجارية، وهي بيئات ملائمة تشير الى الترف ورغد العيش، ضمن ما يوصف بفترة السافانا، حيث الطقس الملائم لوجود الأسود قبل ثمانية آلاف عام، حيث كان ينتظر فرائسه قرب البحيرات، ومن بين أهم تلك المشاهد للأسد في جنوب حائل بمنطقة "الحائط" نجد اللوحة الفنية التي تحوي عددا من الحيوانات الوحشية، ومنها أسد يواجه ثور الارخص، وقد كتب الفنان الثمودي كلمة "م ه ص" تحت رأس الأسد، وحروف الكلمة، هي اسم من أسماء الأسد في اللغة العربية، حيث يرد في المعجم الوسيط بلفظ "مهصم". (ينظر الشكل رقم - 8 -)



(شكل رقم - 8 -) مشهد المواجهة بين أسد وثور الارخص، ونجد لفظ "م ه ص" بالقلم الشموذي تحت رأس الأسد وأسفل رقبة الثور، كامرا الباحثين.

وفي جبل "شويحط" في واحة جبة شمال جبل أم سنمان، مشهد يفوق التخيل من حيث طبيعته، التي تشير إلى أن الرجل الشموذي استطاع ترويض الأسد، وركوبه، واستخدامه للقتال، حيث يظهر المشهد رجلاً ثمودياً اسمه "قن بن طل" بيده رمح يقاتل رجلاً آخر يركب جملاً بيده قوس، (ينظر الصورة رقم - 9 -)



(صورة رقم - 9 -) مشهد ترويض الأسد وركوبه في حالة مواجهة مع شخص آخر يركب جملاً وبيده قوس، كامرا الباحثين.

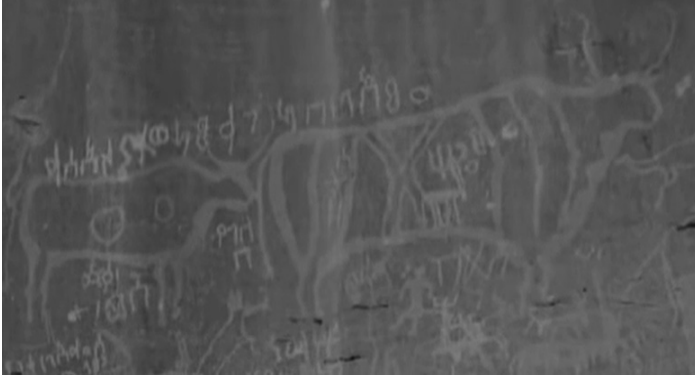
ومشهد آخر من جبة بجبل "أم سنمان"، نجد رجلاً ثمودياً اسمه "حجاج بن رغض" يصارع بمساعدة امرأة أسداً ذكراً، حيث تواجه المرأة الأسد من الأمام،

وبيدها الرمح، في حين يقف الرجل خلف الأسد وبيديه رمح ودرقة (ليس ترس)،
(ينظر الشكل رقم - 10 -)



(الشكل رقم - 10 -) مشهد صراع لرجل وامرأة ثموديين مع أسد، وقد كتب أحدهم اسمه الصريح في أعلى المشهد "حجّاج بن رغض"، كامرا الباحثين، والصورة بتصرف من الباحثين.

ب. 2 - غزال العلند: الطعام المفضل للأسود، وهو أكبر من الجاموس البري والبفلو الأفريقي، وثقيل الوزن، لذلك فإنه لا يركض مسرعاً، بل يمشي مهرولاً، ويعيش على العشب الوفير والمياه الوفيرة، أي ضمن أجواء عصر السافانا، ولقد رسم الفنان الثمودي على واجهة صخرية، هذا الغزال غير القابل للاستئناس، ولا يمكن الحصول عليه إلا بالصيد، لذا كتب الفنان الثمودي اسمه متفخراً كصائد لغزال العلند. ففي مشهد من صحراء الربع الخالي جنوب الجزيرة العربية، وعلى واجهة صخرية من منطقة حمى شمال نجران، نجد مشهداً مذهلاً لحيوانات السافانا، يرافقها كتابة بالقلم الثمودي، تمثل مشهداً لغزال العلند، عبارة عن فحل صغير أمامه فحل غزال كبير، وترافق مشهد الغزالين، كتابة بالقلم الثمودي، تشير إلى هوية من استطاع صيد غزال العلند، وكتب قائلاً "عم أيل ابن ردمان خشن وأسد" وبهذا الوصف فإن الصياد الثمودي أظهر قدرة بدنية عالية مكنته من اصطلياد ذكر غزال كبير وآخر صغير. (ينظر شكل - 11 -)



(شكل رقم - 11 -) غزال العلند، وقد نقش الثمودي كتابة تملكه وصيده لهذا الغزال، كامرا الباحثين.

ب. 3 - ثور الارخص: حيوان عاشب قوي البنية، لا يعيش إلا في السافانا، ذو قرون حادة، انقرض منذ 7000 عام، حيث نجده في مشاهد عدة يواجه الأسد. والنموذج الذي يستحق التعليق وجدناه في جبال "القور" بمحافظة الحائط بمنطقة حائل، على واجهة صخرية على حافة الجبل الرسوبي، وأمامها الكثير من الرسومات، والنقوش المختلفة المتنوعة لعدد من الحيوانات، وقد حاول الفنان الثمودي أن يبرز ثور الارخص والأسد، كما أضاف للمشاهد حيوانات أخرى، ليعطي المشهد الحياة البرية لحيوانات أخرى مثل، "الماعز والإبل والوعل". (ينظر الشكل رقم - 12 -)



(شكل رقم - 12 -) ثور الارخص يهاجمه أسد، مع مشهد لحيوانات تمثل الحياة البرية، كامرا الباحثين

ومن المعروف أن ثور الأرخص هو الذي من نسله استؤنست البقر، ويسمى باللغة العربية بثور الأرخص، وباللاتينية "Bos acutifrons Lydekker"، والتسمية الإنجليزية الحالية "Aurochs Bull"، وفي اللغة الألمانية بلفظ "Aurochse" أو "Urochs"، واسمه العلمي الآن "Bos Primigenius"، وآخر ظهور لهذا الحيوان الذي يصل ارتفاعه إلى مترين، كان في عصر البلايستوسين، ويذكر علماء الحيوان فيما يخص البيئة الملائمة لوجود هذا الحيوان، أن الأراضي التي سكنها تكسوها الغابات الكثيفة، وتتخللها مستنقعات من أنواع مختلفة، وأنه كان يفضل مناطق المستنقعات، وغاباتها وأودية الأنهار، إضافة إلى كونه يسكن الغابات الأقل رطوبة، وهذه دلالة واضحة على أن بيئة الجفاف والتصحر لا يمكن أن يوجد فيها حيوان الأرخص، وكما ذكرنا فيما سبق أن بدء التصحر في الجزيرة العربية كان في الألف الخامس قبل الميلاد، وأن ذروة الجفاف كانت مع حدود نهاية الألف الثالث قبل الميلاد.⁽¹⁾

ولذلك يعد وجود كتابة ثمودية بجانب ثور الأرخص وهي من نوع الكتابات التي تعرف بالملكية الشخصية: - دليلاً على قدم القلم الثمودي.

وتجدر الإشارة إلى أن المسوحات الميدانية والكشوفات الخاصة بتعقب الرسوم الصخرية في عموم المملكة العربية السعودية، التي قام بها "عيد اليحيى" قد أسفرت عن وجود رسومات لثور الأرخص في أكثر من جهة سواء في منطقة "حائل" بجبال "المسمى"، أو في بلدة "القرعاء" بمنطقة القصيم، دلنا عليه يوسف النجران من أهالي بلدة القرعة، حيث وجدنا أمام بحيرة جافة قديمة، رسم صخري لثور الأرخص مع حيوانات شبه صحراوية، مثل: المها الوضيحي والوعول التي تعيش في الجبال (ينظر الشكل رقم 13 -).⁽²⁾

(1) Matthew D et al, 2022, op. cit, p. 193

(2) للمزيد من المعلومات حول الرسم الجداري ينظر الفيديو الآتي:

https://www.youtube.com/watch?v=pyoqs_oEiVQ



(شكل رقم - 13 -) رسم صخري يظهر حيوان الأرخص مع حيوانات شبه صحراوية، من بلدة "القرعاء" في منطقة القصيم، بعدسة الباحثين.

وتتزايد الاكتشافات يوماً بعد يوم بموجب البحث الميداني الذي يقوم به الباحثين من أجل إضافة أدلة جديدة في مناطق جديدة حول وجود ثور الأرخص، ففي اكتشاف جديد منتصف شهر ذو القعدة للعام الحالي 1446 هجرية، تم العثور على رسم صخري لثلاثة ثيران من نوع الأرخص، وقد دلّ على الرسوم مشكوراً "عساف بن شعلان بن مشلوط" من سكان مركز البسيتين بمنطقة القصيم عند واجهة صخرية بجبل الخرماء، ويعد هذا الاكتشاف دليلاً آخر على وجود هذا النوع من الحيوانات التي انتهى تواجدها بموجب التغير المناخي الذي حدث في الجزيرة العربية منذ ما بين الألف الخامس قبل الميلاد وبلغ ذروته في الجفاف والتصحر في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، والجديد المرتبط برسم ثور الأرخص بجبل الخرماء، أن الرسم احتوى على أسطر من الكتابة الثمودية والتي توضح لدينا أنها تحمل نفس درجة العتق للرسم الصخري. (ينظر الشكل رقم - 14 -)

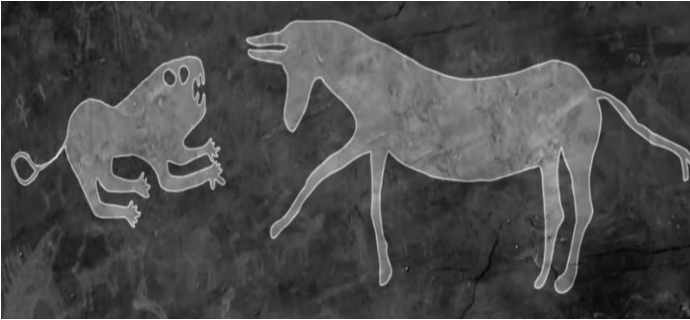
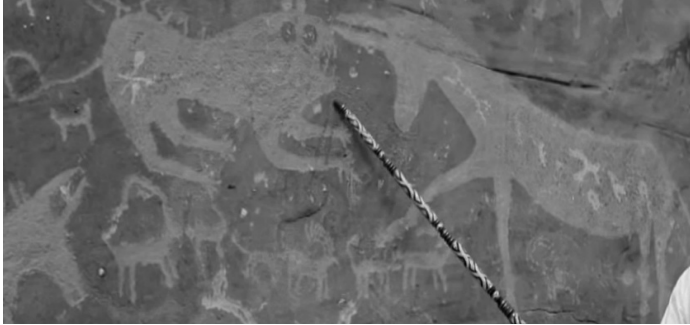


(شكل رقم - 14 -) أحد التيران الثلاثة لرسم ثور الارخص على واجهة صخرية لصخرة ساقطة من جبل الخرماء بمركز البسيتين، بكامرا الباحثين.

لقد وصف علماء الإغريق والرومان الأرخص بأنه حيوان عدائي جداً، يشبه الجاموس الإفريقي اليوم، وكان قتل إحداها يعد تصرفاً بالغ الشجاعة، بالنسبة للحضارات القديمة، لذلك نجد الرجل الثمودي واسمه "أمخل" قد تباهى باستطاعته الحصول على هذا الثور الضخم ونسبه لنفسه بعد أن رسم صورته على الصخر (ينظر الشكل رقم - 3 - الملحق).

ب. 4 - الحُمر الوحشية: مشهد مواجهة صيد اللبؤة لذكر الحمار الوحشي، والحمر الوحشية أنواع ومن فصيلة الخيليات، والحمار هنا في هذه اللوحة لا يمثل حمار الأخضر (الشكل رقم - 15)، لأن البيئة التي يعيش فيها الأخضر هي المناطق الوعرة، وليس منطقة المشهد حيث توجد بحيرة ماء، أما نوع الحمار هنا

فهو الحمار الوحشي الذي انقرض منذ وقت مبكر، وقبل نوع الأخدر بزمان، أما مواصفات الحمار الوحشي غير المخطط، فيتميز بكونه ذا آذان طويلة، تكاد تكون متماسة، وذ ذيل طويل ينتهي بصوف طويل عكس الحمار الأخضر، ومكان وجوده الأصلي في شمال شرق صحراء أفريقيا حيث السافانا.



(صورة رقم - 15) تمثل مشهد مواجهة بين لبؤة وحمار وحشي، وفي الأسفل صورة بارزة لإظهار مواصفات الحمار الوحشي الذي يختلف عن الحمار الأخضر، كامرا الباحثين

ب. 5 - غزال الغراند، نوع مميز من الغزلان، وهو وليس الأدمي والعفري والريم، ومن مواصفاته طول الرقبة، وأذناه خلف قرون طويلة (شكل رقم - 16 -)، وموطن عيشه في مناطق السافانا حيث العشب الوفير جنباً إلى جنب مع الحمار الوحشي الأفريقي وثور الأرخص.



(شكل رقم - 16 -) تمثل زوجين من غزال الغراند، والذكر أكبر من الأنثى، وصورة أخرى توضيحية، كامرا الباحثين.

ب. 6 - المهاة الوحشية: يعد المهاة الوحشي من أهم غذاء الأسود، ودليل وجوده نجده في جبة، حيث جبل أم سمنان، ومن عصر السافانا، حيث الأشجار القزمية والحشائش الكثيفة، ويعبر المشهد عن قنص رجل لمهاة وحشية ترضع وليدها، ولم تنتبه لوجوده بسبب كثافة الأشجار التي مكنته من الاقتراب من طريدته، وهو الثمودي نفسه الذي يحمل اسم "قن بن طل" (ينظر الشكل - 17 -).



(شكل رقم - 17 -) مشهد قنص المهاة الوحشية من قبل الثمودي "قن بن طل"، في جبل أم سمنان بجبة، بتصريف من صورة للباحثين.

رابعاً- فرضية مرّجة لرسم الحرف الثمودي:

يُجمع أغلب الباحثين والمتخصصين في نشأة الكتابة وتطورها: - على أن الكتابة هي أهم وسيلة سجّل الإنسان بها أفكاره ومعارفه، وهي في الوقت نفسه مرتبطة بالصوت أي هي محاولة التعبير عن اللغة في واقعها الصوتي.⁽¹⁾ ونفس الإجماع حول ما مرت به الكتابة في مسيرتها من مراحل متعددة (بدائية - تصويرية - كلمة مصورة - مقطعية - ألفبائية).⁽²⁾

وللتمهيد للفرضية لا بد من أن نعرف أن الخط الثمودي قد تميز منذ البداية بالليونية، وعدم الالتصاق، بحيث إن جميع حروفه منفصلة وغير مترابطة، ولأنه الخط الأول والأقدم - في رأينا - فقد كانت جميع نقوشه تتسم بطابع النقوش التذكارية، وبشكل موجز من دون إطالة، ولم تكن ذات طابع أدبي، لتجسد رسماً لنظام كتابي احتوى على سبعة وعشرين حرفاً، ويختفي من هذه القائمة في بعض الفترات حرفا الظاء والغين، بيد أنهما في المراحل المبكرة والمتأخرة يوجدان في قائمة الأبجدية الثمودية، على قول أغلب المتخصصين في نشأة الكتابة.⁽³⁾

كما يلاحظ أن غالبية الكتابات في الجزيرة العربية على اختلاف مسمياتها قد

(1) عبد الله أحمد مكياش: الكتابة العربية الجنوبية (كتابات المسند) أصلها وانتشارها وعلاقتها بالكتابة الشمالية الغربية. دراسات في آثار الوطن العربي 11، كتاب المؤتمر الثاني عشر للاتحاد العام للثوريين العرب ج1، القاهرة، 2009، ص338.

(2) أحمد هبو، الابجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1984، ص14.

(3) سليمان الذيب، نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1999، ص196؛ خالد اسماعيل، فقه لغة العاربة المقارن - مسائل وآراء، مؤسسة روعة للخدمات الاكاديمية، اربد، 2000، ص358؛ اسرائيل ولفسون، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت 1980، ص179.

أخذت من السينائية أشكال حروفها كرمز معين لكل حرف مع تغير بسيط، فعلى سبيل المثال لا الحصر حرف الباء يرمز للباب، وحرف العين يدل على العين، وحرف الياء يدل على اليد المقبوضة،⁽¹⁾ والفرق في محتوى الكتابات الثمودية الأقدم في جميع الكتابات هو أنها لم تتناول الحياة العامة وطبيعة التعقيدات الحياتية والنزاع والصراع الذي كان قائماً خلال فترات التصحر والعوز التي كان إنسان الجزيرة العربية خلال الألفين الثاني والأول يمر خلالها بظروف معيشية صعبة في كل شيء من حوله، في حين أن الغنى في الطبيعة التي كانت سائدة في الجزيرة العربية من رغد العيش، وتوفر الماء (الشمذ)، والحيوانات، والمراعي من فترة ما قبل الألف الثالث قبل الميلاد، قد جعلت الثمودي يكتفي بتدوين كتاباته مختصرة، لا تتعدى من الناحية الموضوعية أحوالاً شخصية، وأدعية، وتحيات، وأسماء معبودات، وأعلاماً، وإشارات إلى ملكية فردية.⁽²⁾

وإذا أردنا أن نُفَصِّل أكثر لفرضيتنا المحتملة، فإننا سنقف عند مرحلة مهمة من مراحل تطور الكتابة المذكورة آنفاً، وهي مرحلة الكلمة المصورة، ومجازاً نقول: الحرف المصور: - فإننا سنجد أن القلم الثمودي قد خُطَّ بما يقترب كثيراً من حركة الكلام المتضمنة ثلاثة أشياء هي: حركة الشفتين والأسنان واللسان، وهما منطلق الصوت والكلام في جميع اللغات، فلو حاولنا أن نرسم أصوات الأحرف الثمودية المتأتية من الحركات الثلاثة، فسوف نقرب من رسم أغلب أحرف الثمودية بتطابق مقبول مع تقارب في الرسم لأصوات جاءت من تلك الحركات. (ينظر الجدول رقم - 1 -).

وبمجرد محاولة التركيز على شكل نطق الحروف من خلال حركة الشفتين،

(1) عبدالله مكياش، 2009، مرجع سابق ص 351

(2) سليمان الذيب، الكتابات القديمة في المملكة العربية السعودية، كتاب المجلة العربية - 266، الرياض، 1440 هـ، ص 56.

والأسنان، واللسان،) وهذا ما المح اليه في حوار شخصي، الشغوف بالعمل الاثري والرحلات والاستكشافات رجل الاعمال عبدالرحمن السنيدي) سوف تبرز لدينا صورة مرسومة لكل صوت تحوّل إلى حرف مكتوب، يمثل ذلك الصوت الذي خرج من حركة الأعضاء الثلاثة أو من خلال توافرها مع بعضها البعض.

إن قدم القلم الثمودي على أنه أول قلم كتبت به اللغة العربية، يدعونا إلى أن نرجح أن طريقة رسم الحروف الثمودية من خلال ما استنتجناه، إضافة إلى ما ذكره أغلب المتخصصين في الخط الثمودي من أنه يمثل أقدم قلم وأقدم قوم أو أمة أو شعب، وبناء عليه فإن الثمودي، يمثل صورة لأي عربي كان يعيش في شبه الجزيرة العربية⁽¹⁾، وبذلك يكون القلم الثمودي أقدم الخطوط في الجزيرة العربية وخارجها، لا سيما إذا عرفنا أن إجماع الباحثين على كونه الأصل لما جاء بعده من كتابات⁽²⁾، ولتأكيد قدم الكتابة الثمودية فإنه يجدر بنا أن ننبه إلى أن ما يطرحه الباحثون من تعدد أقسام القلم الثمودي، واختلاف أشكال أحرفه، إنما يأتي للدلالة على قدمه، فكلما اختلفت أشكال الأحرف دل ذلك على التباعد الزمني بين هذه الأشكال⁽³⁾، ويصدق القول هنا على قدم القلم الثمودي وتعدد أشكال رسمه وفروعه التي انبثقت من القلم الثمودي القديم، ومن بينها على سبيل المثال النقوش الصفائية التي سميت بهذا الاسم نسبة إلى من كتب هذا الخط للنقوش التي عثر عليها أول مرة في جبل الصفا جنوب شرق دمشق، وليس للاسم اية علاقة بالصفويين في تاريخ الدولة الصفوية - الفارسية، بل ان اصحاب النقوش الصفائية كانوا رعاة

(1) منار بنت عثمان الخضير، التصور الإلهي عند الثموديين من خلال النقوش الصخرية الثمودية، مجلة دارة الملك عبدالعزيز، عدد 3 لسنة 49، الرياض 2023، ص 173.

(2) سليمان الذيب، 1999، مصدر سابق، ص 3 وما بعدها

(3) محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ، ص 217.

رحّل تميزت كتابتهم بهذا النوع من انواع الخطوط التي تعود في اصلها الى الخط الثمودي العربي القديم، وقد دونت به القبائل العربية في شمال شبه الجزيرة العربية وبادية الشام وفي شمال المملكة العربية السعودية، ويرجع الباحثون تاريخ هذه النقوش الى القرن الاول قبل الميلاد.⁽¹⁾

الابجدية	التمودي المبكر تيماسي + A نجدي B	التمودي الوسيط المرحلة الانتقالية حجازي C.II	التمودي المتأخر التيبوكي E
ا	𐤀	𐤁	𐤂
ب	𐤃	𐤄	𐤅
ت	𐤆	𐤇	𐤈
ث	𐤉	𐤊	𐤋
ج	𐤌	𐤍	𐤎
ح	𐤏	𐤐	𐤑
خ	𐤒	𐤓	𐤔
د	𐤕	𐤖	𐤗
ذ	𐤘	𐤙	𐤚
ر	𐤛	𐤜	𐤝
ز	𐤞	𐤟	𐤠
س	𐤡	𐤢	𐤣
ش	𐤤	𐤥	𐤦
ص	𐤧	𐤨	𐤩
ض	𐤪	𐤫	𐤬
ط	𐤭	𐤮	𐤯
ظ	𐤰	𐤱	𐤲
ع	𐤳	𐤴	𐤵
غ	𐤶	𐤷	𐤸
ف	𐤹	𐤺	𐤻
ق	𐤼	𐤽	𐤾
ك	𐤿	𐥀	𐥁
ل	𐥂	𐥃	𐥄
م	𐥅	𐥆	𐥇
ن	𐥈	𐥉	𐥊
هـ	𐥋	𐥌	𐥍
و	𐥎	𐥏	𐥐
ي	𐥑	𐥒	𐥓

(جدول رقم - 1 -) رسم الحروف الثمودية وما يقابلها بالحرف العربي، ونجد تعدد أشكال

(1) رمزي بعلبكي، الكتابة العربية والسامية، دراسة في تاريخ الكتابة واصولها عند الساميين، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص 109

رسم كل حرف بناء على حجم أدوات الكلام وشكلها، وهي التي تحولت من أشكال في قواعد النطق إلى رسم كتابي لحرف، نقلنا عن: عبد الله أحمد مكياش: الكتابة العربية الجنوبية (كتابات المسند) أصلها وانتشارها وعلاقتها بالكتابة الشمالية الغربية. دراسات في آثار الوطن العربي 11، كتاب المؤتمر الثاني عشر للاتحاد العام للثوريين العرب ج1، القاهرة، 2009، ص366.

وزيادة على ما ذكرنا من معلومات حول الحيوانات المنقرضة ووجود رسومها جنباً إلى جنب مع الكتابات الشمودية، نورد أدناه ملحقاً عبارة عن ثلاثة رسوم جدارية غير منشورة مع النقوش الشمودية المرافقة لها.

ملحق النقوش الصخرية الثمودية المرافقة للحيوانات المنقرضة:



النقش وقراءته	المكان والوصف	نموذج رقم 1
النقش الاول: ي ت ع ث و ل ب ن و ه ب أ ر ل. يتع ثول بن وهب أرل. النقش الثاني: و د د ف ع ش ي ت. ب ع د ك ر ب (ح ر ب). تحيات عشية بعد كرب (حرب)/ مودتي لـ عشية، ود حُباب.	شعيب (جشاء) التابع لمركز الشويمس بمحافظة الحائط التابع لمنطقة حائل. رسم صخري ونقوش ملكية، على واجه صخرية ملساء في جزء متوسط من الجبل تقريبا، وبالقرب منه قلعة ماء، ويجوار هذا النقش يوجد العديد من رسوم الإبل والأبقار وثيران الارخص، بالإضافة إلى الرسوم الآدمية، ويظهر فيه ثور بحجم كبير وآخر بحجم أصغر، وبقرة بحجم أصغر منهما، وكلها ينظر باتجاه يمين الصورة، وقد نفذ الرسم بأسلوب متقن نوعا ما. وأسفلها تلاحظ رسماً لناقة سمينة شائلة ذيلها للدلالة على أنها لاقح. وفوق رسم الثور الكبير تحديدا يوجد نقش ثمودي كتب بشكل أفقي من اليمين إلى اليسار، يمثل اسم صاحب النقش، وخلف الرسم من الجهة اليسرى نقش ثاني ثمودي قد كتب من الأعلى إلى الأسفل، وهو مكون من سطرين يمثل نقش مودة.	1

	26.190560E, 39.834903N	الإحداثية
--	------------------------	-----------



نقش وقراءته	المكان والوصف	نموذج رقم 2
نقش واحد يمثل اسم علم، وهو إشارة واضحة إلى الملكية: هـ أ ل م ن س ي (هذا) الأيل لمنسي	منطقة حفرة برد جنوب محافظة تيماء، وفيها رسم صخري على واجهة صخرية كبيرة تحوي الكثير من رسومات الإبل والخيول والنقوش الثمودية ويرتفع النقش عن مستوى الأرض بحوالي 4م والمهم في الرسم لهذا الأيل البربري المتميز بمؤخرته البارزة، يعود تاريخ تواجده في مرحلة ما قبل السافانا، وهو موجودا الآن في جبال الجزائر، وموجود في المحميات. ونلاحظ أمام رسم الأيل كتابة ثمودية متزامنة بدرجة العتق مع الرسم، يوثق بها صاحبها ملكيته للأيل البربري.	2
	27.147673E, 38.928792N	الإحداثية



النقش وقراءته	المكان والوصف	نموذج رقم 3
يمكن قراءة النقش على وجهين: القراءة الأولى: ل أم خ ل هـ ث و ر. (هذا) الثور (ملك) لأم خ ل [خال، خيل، خل]. القراءة الثانية: ل أم خ ل هـ ث و ر (هذا) الثور (ملك لأمخل) بناء على أن: ل أم خ ل اسم علم مذكر بسيط.	رسم صخري على واجهة صخرية في سفح جبل بمحافظة العلا على جزء بارز من الجبل في مكان مرتفع عن مستوى سطح الأرض، ونقش أمام رأس الثور (الارخص) ملكيته لهذا الثور دلالة على صيده له، وهو من نقوش الملكية، حيث نقش اسم صاحبه للدلالة على ملكيته.	3
	N26.8179508, E38.3673782	الإحداثية

الخاتمة والاستنتاجات:

تقدم هذه الدراسة أدلة أثرية مادية وكتابية ملموسة، حول موضوع مهم يخص حضارة الكتابة في العالم والشرق الأدنى القديم بشكل عام، وحضارة الجزيرة العربية وتاريخها بشكل خاص، فمنذ سنوات نشأ - ولا يزال - السجال بين المؤرخين حول تاريخ القلم الثمودي، خلال القرن الماضي، حتى بين المعاصرين اليوم، في كثير من الأوساط المتخصصة وغير المتخصصة، وما زالت هذه الأوساط تجادل في أبحاث ومؤلفات، وعلى صفحات بعض الصحف وبعض مواقع الشبكة العنكبوتية. ولعلنا نتصدر - في دراستنا هذه - الواجهة في موضوع تاريخ القلم الثمودي كأول قلم في التاريخ، والذي خلصت دراستنا إليه أنه "القلم العربي القديم". فبعد سنوات من الكشف والمعاينة والدراسة الميدانية والزيارات المتكررة لآلاف النقوش والرسوم الصخرية في عموم المملكة العربية السعودية على مدى أكثر من عشرة سنوات: - جئنا بحصيلة هذا العمل، وهي جملة من الحقائق الحضارية والأثرية، يمكن إجمالها فيما يلي:

- عاش الإنسان في المملكة العربية السعودية فترة رغد ورخاء عام في العيش، خلال الفترة المعروفة لدى أوساط الباحثين بفترة الهولوسين الرطبة (Holocene Humid Period = HHP) وقد حددت ما بين ما قبل 8000 الى 4000 قبل الميلاد، لتبدأ مرحلة التصحر والجفاف المستمرة نسبياً إلى الوقت الحاضر، حيث كانت مناطق شاسعة من الجزيرة قاحلة بشكل عام، وبلغت ذروتها في الجفاف الكبير حوالي 2200 قبل الميلاد. (Matthew D et al., 2022, p.193; Engel M et al. 2012, 131 - 141; Petraglia MD et al., 2020, 8263 - 8270; Preston 94 - 97, 2013, GW and Parker AG)، ونعتقد أنه خلال فترة الهولوسين الرطبة، ومع وجود ظروف بيئية ملائمة انعكست على التطور والنماء الفكري والمعرفي،

وقد أصبح الإنسان قادراً على الإبداع والتميز، لذا فقد ترك لنا رسوماً فنية صخرية هائلة العدد ومختلفة الموضوعات، فقد تصل أعدادها إلى مئات الآلاف من الرسومات الصخرية، ترافقها عشرات الآلاف من النقوش والكتابات الثمودية، التي كانت متناغمة مع الموضوع الفني المرسوم، بحيث يمكن فهم تلك الكتابات بمجرد النظر إلى المشهد الفني المرسوم على واجهات الصخور. وبما أن فترات الهولوسين الرطبة المذكورة كانت ملائمة لوجود حيوانات صيد وحشية لا يمكن استئناسها، كالأسد والثور الأفريقي والأيل البري والبقر الوحشي وغيرها من الحيوانات، فقد حوت الواجهات الصخرية كتابات ثمودية متناغمة مع المشهد الفني، ومحتوى النقش الكتابي، وهذا يجعلنا نرجح كون ذلك القلم الثمودي هو القلم الأقدم في التاريخ؛ حيث وجد مع وجود تلك الحيوانات التي انقرضت مع مرحلة التصحر، التي بلغت ذروتها في الجفاف حوالي 2200 قبل الميلاد كما هو مثبت.

- إن النماذج التي أُنتِجت في دراستنا هذه من بين مئات الرسوم الصخرية، التي حوت حيوانات منقرضة، كتب - بجانبها للتعبير عنها - بالقلم الثمودي ما يثبت عائديتها، وقد صنف هذا النوع من الكتابات بالملكية الشخصية، أي بمعنى عائلية النقش المرتبط بالرسم الصخري للحيوان لصاحب الكتابة المرافقة للرسم. والنماذج التي درسناها، تشير بكل وضوح إلى نوع الحيوان مع اسم صاحب النقش، فليس من المعقول أن يسمى الثمودي بقلمه على الصخر الحيوان غير المستأنس، ويرسم نفسه في حالة صيد لذلك الحيوان، ومن المستبعد أن ذلك الحيوان قد استطاع البقاء في بيئة مناسبة لعيشه، إلا خلال فترة الهيلوسين الرطبة أو قبلها بكثير، كما أنه من المستبعد على حيوانات مثل "ثور الأرخص" أو "البقر الوحشي" على سبيل المثال: - البقاء في مناخ جاف وأرض متصحرة، في حين أننا

نعرف أنه لا يمكنه العيش إلا في مناخ السافانا وبيئتها، حيث نجده اليوم - بشكل طبيعي - في أفريقيا.

- إن ما يمكن الوقوف عنده كمخرجات للدراسة أو معضلات وانتقادات قد توجه للنظرية المطروحة في هذه الدراسة: - هو أن تاريخ القلم الثمودي - وحسب آراء الباحثين - لا يتعدى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، لكن الدراسات التي تنشر تباعاً، ووجدناها خلال المائة عام الأخيرة إلى السنة الحالية، قد قدمت لنا بين فترة وأخرى تاريخاً متصاعداً، بدأ من القرن العاشر قبل الميلاد خلال ثلاثينيات القرن الماضي (Winnett, 1937, p.19) لينتهي قبل عامين عندما اقترح أن أقدم كتابة ثمودية تعود إلى تاريخ القرن الثالث عشر قبل الميلاد (سليمان الذيب، 2022، ص 120، 117)، ونتيجة لتوالي الاكتشافات واختلافها زمنياً من خلال النماذج المكتشفة للقلم الثمودي، فمن المرجح أن يكتشف ما هو أقدم، بيد أننا أثبتنا هنا بأن القلم الثمودي أقدم كثيراً مما كان متوقعاً.

- ومسألة مهمة تتعلق بمفردة (ثمودي)، ففي سنوات ماضية لم يكن مقنعاً من يتحدث عن وجود مفردة ثمود "ث م د" في النقوش والكتابات في الجزيرة العربية، واحتجاج بعض بوجود نقش أو نقشين ليس دليلاً على وجود مفردة ثمود، بيد أن دراستنا قدمت دليلاً قاطعاً على ورود هذه المفردة كاسم علم لنقش بالقلم الثمودي، ذكر صراحة شخصاً ثمودياً بنفس اللفظ، بل إن الزيارات الميدانية المستمرة للدكتور عيد اليحيى، والتواصل المستمر مع المتخصصين في القلم الثمودي، كشفت لنا بأن هناك حوالي خمسة عشر نقشا جديداً صريحاً يذكر اسم العلم "ثمود/ ثمد" في أماكن متفرقة من الجزيرة العربية، لا سيما في منطقة جبال أم سنان بجبة في منطقة حائل، ومناطق أخرى في المملكة العربية السعودية.

- إن جوهر ما يمكن طرحه ويعد الشيء الأهم في الموضوع بشكل علمي

ومختبري بحث: - هو أن يتم فحص عينات من الرسوم الصخرية لحيوانات منقرضة، رسمها الفنان الثمودي وأرفق بها كتابة ثمودية، ونحن على يقين أن النتائج المختبرية ستبين الزمن الذي تمت الكتابة فيه بالقلم الثمودي، وهذا ما نأمل أن يُبحث فيه بشكل عاجل، عند ذلك ستكون الدراسة مقنعة للآخرين من المنتقدين أو المعترضين على النظرية، بيد أننا على قناعة تامة بأن القلم الثمودي هو القلم العربي الأقدم في التاريخ، وهذا ما ستثبته نتائج التحليل والدراسات العلمية المختبرية.

المصادر العربية والاجنبية ومواقع الكترونية:

المصادر والمراجع العربية:

- اسراييل ولفسون، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت 1980.
- إسكوبي، خالد، دراسة تحليلية مقارنة لنقوش منطقة "رم" جنوب غرب تيماء، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى قسم الاثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1996.
- اسماعيل، خالد، فقه اللغة العاربة المقارن - مسائل وآراء، مؤسسة روعة للخدمات الاكاديمية، اربد، 2000.
- الاسمري، خالد فايز، التواصل الثقافي في فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار بين الشام وشمال غرب المملكة العربية السعودية، مجلة الخليج للتاريخ والاثار، جمعية التاريخ والاثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، العدد الثامن عشر، الرياض، 2023.
- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، ط 1، دار البيان، بغداد، 1973.
- بعلبكي، رمزي، الكتابة العربية والسامية، دراسة في تاريخ الكتابة واصولها عند الساميين، دار العلم للملايين، بيروت، 1981.
- حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
- الخضير، منار بنت عثمان، التصور الإلهي عند الشموذيين من خلال النقوش الصخرية الشمودية، مجلة دار الملك عبدالعزيز، عدد 3 لسنة 49، الرياض 2023.
- الذيب، سليمان بن عبدالرحمن، نقش تل لخيش قراءة جديدة، في: عبدالملك سلاطينية، المصادر التاريخية والاثرية واهميتها في البحث التاريخي والاثري، دار الارشاد للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2022.
- الذيب، سليمان بن عبدالرحمن، الكتابات القديمة في المملكة العربية السعودية، كتاب المجلة العربية - 266، الرياض، 1440 هـ.

- الذيب، سليمان بن عبدالرحمن، نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1999.
- الذيب، سليمان بن عبدالرحمن، نقوش عربية شمالية من جبل ام سلمان بمحافظة حائل بالمملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الملك سعود، الاداب (1)، مجلد 11، العدد الأول، 1999.
- سامح، مقار، المعجم الوحيد، هيروغليفي - عربي، الطبعة الاولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2007.
- سليمان، عامر، الكتابة المسمارية، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 2000.
- سليمان، عامر، من القرآن الكريم الى النصوص المسمارية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج 45، ج 1، بغداد، 1998.
- المطرودي، عبدالرحمن بن ابراهيم، الانسان - وجوده وخلافته في الارض في ضوء القرآن الكريم، ط 2، دار عالم الكتب، الرياض، 1993.
- مكياش، عبد الله أحمد، الكتابة العربية الجنوبية (كتابات المسند) أصلها وانتشارها وعلاقتها بالكتابة الشمالية العربية، دراسات في آثار الوطن العربي 11، كتاب المؤتمر الثاني عشر للاتحاد العام للآثارين العرب، ج 1، القاهرة، 2009.
- هبو، أحمد، الابجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1984.

المصادر والمراجع الاجنبية:

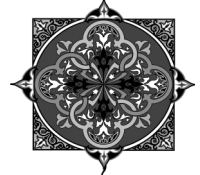
- Breeze PS, et al; (2016) Palaeohydrological corridors for hominin dispersals in the Middle East ~ 70,000 - 250 years ago. Quatern Sci Rev.
- Eaid Y and Qusay M, (2024), Archaeological Discoveries of Burials in KSA Shape and Symbolic Meaning to the Mismariy burial pattern as a model, IJO - International Journal of Social Science and Humanities Research, Volume 07 Issue 03 || March, in: <https://ijo-journals.com/>.
- Gebel HGK, (2013), Arabia's fifth - millennium BCE pastoral well cultures:

- Hypotheses on the origins of oasis life. Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 43.
- Groucutt HS, Petraglia MD, (2012), The prehistory of Arabia: Deserts, dispersals and demography. *Evol Anthropol*, 21.
 - Groucutt Huw S et al; (2014), Late Pleistocene lakeshore settlement in northern Arabia: Middle Palaeolithic technology from Jebel Katefeh, Jubbah, *Quaternary International*, xxx.
 - Groucutt Huw S et al; (2021), Multiple hominin dispersals into Southwest Asia over the past 400,000 years, *Nature*, Vol 597.
 - Groucutt, H S, et al; (2018), Homo sapiens in Arabia by 85,000 years ago. *Nature Ecology & Evolution*, 809 - 800 ,2. Homo sapiens in Arabia by 85,000 years ago - PubMed (nih.gov).
 - Guagnin M at el (2015), Hunters and herders: Exploring the Neolithic transition in the rock art of Shuwaymis, Saudi Arabia, *Archaeological Research in Asia* xxx.
 - Haring, B, (2020), Ancient Egypt and the earliest known stages of alphabetic writing, in P.J. Boyes & P.M. Steele (ed.) *Understanding relations between scripts II: early alphabets*, Oxford Oxbow.
 - Hofmayer, F., et al. 2021, *Early Alphabetic Writing in the Ancient Near East: The Missing Link from Tel Lachish.*, Cambridge: Cambridge University Press.
 - Labat R, Manuel D'Epigraphie Akkadienne, Paris, 6 édition, 2002.
 - Matthew D et al; (2022), The Middle Holocene 'funerary avenues' of north - west Arabia, *The Holocene*, Vol. 32 (3).
 - Michael D Petraglia, et al; (2015), Green Arabia: Human prehistory at the Crossroads of Continents, *Quaternary International*, Volume. 382.
 - Petraglia MD, Groucutt HS, Guagnin M et al; (2020) Human responses to climate and ecosystem change in ancient Arabia. *Proceedings of the National Academy of Sciences* 117.

- Pliny, (1969), Natural History Book.VI, London: Loeb Classical Library, Cambridge.
- Rosenberg TM et al; (2013), Middle and Late Pleistocene humid periods recorded in palaeolake deposits in the Nafud desert, Saudi Arabia. Quatern Sci Rev. 2013; 70.
- Stewart, M et al; (2019), Middle and Late Pleistocene mammal fossil records of Arabia and surrounding regions: Implications for biogeography and hominin dispersals. Quatern. Int. 515.
- Stewart, M. et al; (2020), A taxonomic and taphonomic study of Pleistocene fossil deposits from the western Nefud Desert, Saudi Arabia, Quatern, Res. 95.
- The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, Chicago, (1956ff).
- Winnett F & Harding G, (1978), Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns, Toronto: University Toronto press, nos. 3792a, 3792c.

مواقع العرض الالكتروني:

- <https://www.youtube.com/watch?v=aA4fwTZPhT8&t=24s>
- <https://youtu.be/WPoqMKghUsI?si=aTqrKDez8SDFkMfZ>
- https://www.youtube.com/watch?v=pyoqs_oEiVQ
- https://www.youtube.com/watch?v=TvC9RJHSeI&list=PLOFB1NCrlrW7y77E5DDi310gMzN_scswV



الأزمة الاقتصادية ببلاد عيلام في ضوء الرسائل الملكية للملك نابو - بيل - شوماتي (911 - 639 ق.م)

أ.م.د. زيار صديق رمضان⁽¹⁾

الملخص:

تعد الرسائل الملكية من المصادر المهمة في دراسة التاريخ السياسي والحضاري القديم في منطقة الشرق الأدنى، لاسيما حضارة بلاد الرافدين والحضارات المجاورة، وذلك لأنها تسلط الضوء على جوانب مهمة من تاريخ الحوادث التي رافقت نشأة الحضارة العراقية القديمة وتطورها، ومن بين ذلك، معلومات مهمة عن التاريخ السياسي لمراحل حكم الملوك وأسمائهم، والأعمال التي أنجزوها، فضلاً عن الأحداث التاريخية التي تقع خلال سنوات حكمهم.

لقد كانت الرسائل الملكية في عهد الملك نابو - بيل - شوماتي (651 - 650 ق.م) مصدرًا للمعرفة أخبار الأزمة الاقتصادية في بلاد عيلام، حيث تفيدنا المعلومات الخاصة بالكتابات المسمارية لتلك الرسائل أن ملوك الآشوريين قدّموا للعلّاميين الكثير من المساعدات خلال الأزمة الاقتصادية والمجاعة التي حدثت في البلاد، ومن بين

(1) جامعة دهوك، كلية العلوم الإنسانية - قسم الآثار Zhyar.sadiq@uod.ac

ذلك السماح لرعايا الملك العيلامي بالمجيء والعيش في بلاد آشور إلى حين تحسّن الوضع الاقتصادي، بحلول موسم هطول الأمطار وموسم الحصاد، ويدلّ ذلك بوضوح على حسن التعامل الملكي الآشوري مع الأقوام المجاورة، لا سيما مع ملوك عيلام في أوقات الأزمات، وذلك يعبر عن النوايا الحسنة تجاه ملوك عيلام.

الكلمات المفتاحية: عيلام، الرسائل الملكية، الأزمة الاقتصادية، نابو، بيل، شوماتي.

The Economic Crisis of Elam in Light of the Royal Letters of King Nabu - Bel - Shumati (911 - 639B.C)

ABSTRACT

The royal letters are considered important sources to study of the ancient political and cultural history in the Near East, especially the civilization of Mesopotamia and neighboring civilizations, because they shed light on important aspects of the history of events that accompanied the emergence and development of ancient mesopotamia civilization, including important information about the political history of the periods of kings' rule, their names, and the works they accomplished, in addition to the historical events that occurred during the years of their rule.

The royal letters during the reign of King "Nabu - Bel - Shumati" (651 - 650 B.C) were a source of knowledge of the economic crisis in Elam, as the information about the cuneiform writings of those letters tells us that the Assyrian kings provided the Elamites with a lot of assistance during the economic crisis and famine that occurred in the country, including allowing the subjects of

the Elamite king to come and live in Assyria until the economic situation improved, with the arrival of the rainy season and the harvest season, and this clearly indicates the good treatment of the Assyrian royal family with neighboring peoples, especially with the kings of Elam during times of crises, and this expresses his good intentions towards the kings of Elam.

Keywords: Elam, Royal Letters, Economic Crisis, King Nabu - Bel - Shumati

المقدمة

تعرف المراسلات الملكية بأنها تضم تقارير الموظفين الملكيين المتواجدين في المقاطعات، والراغبين في إحاطة الملك بكل مجريات الأمور في مقاطعاتهم وأقاليمهم، والمشكلات التي يرغبون في استشارة الملك فيها، ثم دور الملك وتوجيهاته في الشؤون المختلفة في المسائل التي تعرض عليه.

تميزت حقبة الألف الأول قبل الميلاد لاسيما العصر الآشوري الحديث (911 - 612 ق.م) بكونه من أغنى الحقب التاريخية من ناحية التوثيق التاريخي، هذا إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن الكتابات المسمارية، هي كتابات ملكية يشرف عليها كتبة متخصصون، ويقومون في القصر الملكي، وهناك تدقيق على كل ما يكتبونه، فضلاً عن ذلك كانت تُعرض الرسائل على الملك شخصياً للإطلاع عليها قبل إيداعها أو تخزينها في المكتبة الملكية، ويمكن استنباط معلومات كثيرة من الإشارات العرضية في مراسلات الملك مع موظفيه في المقاطعات، فلا يمكناً تجاهل الأهمية الكبيرة للمعلومات التاريخية التي تزودنا بها الرسائل في مختلف الجوانب الإدارية والسياسية التي لم تصلنا أي معلومات عنها، كما أنها تشرح الأصول المتبعة في مخاطبة الملك والألقاب المخاطب بها، حيث تبين لنا الوضع العام السائد، وشكل

الجهاز الحكومي المتبع في المملكة الآشورية آنذاك، واهتمام المسؤولين بإحاطة الملك الآشوري كونه يقف على قمة الجهاز الإداري للدولة، وهو المسؤول عن الأحداث والمتغيرات صغيرها وكبيرها، حيث نُصّب نابو بيل شوماتي حاكمًا على القطر البحري بعد أبيه.

وكان فرح نابو بيل شوماتي بهذا التعيين لا يدانيه فرح، ويتضح ذلك من خلال الرسائل التي كان يبعث بها إلى آشور بانيبال، التي كانت مفعمة بعبارات الود والاحترام، أدّى نابو بيل شوماتي في بدء تعيينه دور الصديق الوفي لآشور، ولكنه كان يخطط في الوقت نفسه بالانضمام إلى شمش شم أو كن لعله يحصل على بعض المغنم في حال نجاح الثورة، وكان السبب الرئيس وراء انضمامه إلى الثورة هو الطموح الكلدي المستمر نفسه في محاولة جعل بلاد بابل مستقلة عن بلاد آشور، فأخذ نابو بيل شوماتي عندما هرب إلى عيلام الكثير من الأسرى من رجال الحاميات العسكرية الآشورية التي كانت موجودة في القطر البحري.

اغتيال سنحاريب عام 681 ق.م من قبل أحد أبنائه، وبمساعدة قادة الجيش، وتولى العرش بعده أسرحدون بعد سلسلة من المعارك السياسية والعسكرية، التي خاضها ضد منافسيه الطامعين في السلطة لكونه الوريث الشرعي لهذا المنصب. وعندما حلت الأزمة في بلاد عيلام تولى العرش في بلاد عيلام الملك (أورتاكي Urtaki 675 - 663 ق.م)، فحاول تغيير سياسته مع الآشوريين، واتبع سياسة موالية لهم، غير أن الملك أسرحدون لم يكن واثقًا منه، مما دفعه إلى الاستشارة بالإله شمش، لذلك قدم الآشوريون لهم الكثير من المساعدات عندما حلت الأزمة الاقتصادية والمجاعة في البلاد، وسمح لرعايا الملك العيلامي المجيء إلى بلاد آشور والبقاء إلى حين هطول الأمطار وحلول موسم الحصاد.

أما بخصوص مشكلة البحث، فعلى الرغم من شحة المعلومات الواردة حول

الأزمة الاقتصادية في بلاد عيلام؛ فإن المعلومات التي وجدت على ضوء رسائل نابو بيل شوماتي خلال العصر الآشوري الحديث، كانت مصدرًا مهمًا لمعرفة التفاصيل عن الأزمة الاقتصادية في بلاد عيلام وكيفية معالجتها.

أما تساؤلات البحث:

- 1 - ما هي أسباب الأزمة؟
- 2 - ما هي الحلول الخاصة بالأزمة؟
- 3 - ما هي الرسائل المتعلقة بالأزمة؟

أما أسباب اختيار البحث، فقد تولدت لدى الباحث فكرة لمعرفة التفاصيل الخاصة حول الموضوع.

أما أهمية الموضوع، فيتبين لنا الوضع السائد في الإمبراطورية الآشورية، وبلاد عيلام من خلال الرسائل المتبعة بين الطرفين في أثناء الأزمة.

حدود البحث: العصر الآشوري الحديث (911 - 612 ق.م)

منهجية البحث (منهج السرد الوصفي التحليلي للرسائل).

وبخصوص تقسيم البحث فقد قسم إلى ستة مباحث:

أولاً: الرسائل الملكية.

ثانياً: مفهوم الأزمة.

ثالثاً: نبذة عن نابو بيل شوماتي.

رابعاً: الأوضاع السياسية في بلاد عيلام وبلاد آشور في أثناء الأزمة.

خامساً: أسباب الأزمة.

سادساً: الرسائل الملكية لنابو بيل شوماتي مصدرًا للأزمة.

أولاً: الرسائل الملكية:

تعد الرسائل الملكية من أهم مصادر دراسة التاريخ القديم بشكل عام، ولمنطقة الشرق الأدنى القديم بشكل خاص؛ وذلك لأنها تلقي الضوء على جوانب مهمة من تاريخ الحوادث التي رافقت نشأة الحضارة العراقية القديمة وتطورها، حيث تشير إلى الكثير من مظاهر تاريخ العراق القديم وحضارته، مثل أسماء الملوك، وأعمال الكثيرين منهم، فضلاً عن الأحداث التاريخية المعاصرة لحكمهم.

من بين المجموعات التي وصلتنا من عهد سلالة أور الثالثة (2113 - 2004 ق.م) مجموعة كبيرة من النصوص الإدارية؛ الاقتصادية والقضائية، وتمثل المجموعة الأخيرة مجموعة الأحكام القضائية التي أصدرتها المحاكم السومرية في مختلف القضايا المتنازع عليها، ولها فائدة كبيرة لدراسة طبيعة المجتمع السومري فضلاً عن المراسلات الملكية الرسمية المتبادلة بين بعض الملوك وحكام المدن وتُعدُّ رسائل أبي سين على قدر كبير من الأهمية؛ لأنها تسلط لنا الضوء على الأسباب الحقيقية وراء سقوط سلالة أور الثالثة⁽¹⁾.

لقد نُشرت أغلبية النصوص المسمارية بواسطة المتاحف العالمية الكبرى؛ مثل المتحف البريطاني في لندن، ومتحف اللوفر في باريس، ومتحف الدولة في برلين، ومتحف الجامعة التابع لجامعة بنسلفانيا - هذا فيما يخص المجموعات الكبيرة فحسب، التي جاءت في مسلسلات كبيرة من مجلدات ضخمة تحتوي على نسخ مكتوبة باليد فقط أن هذا يصح أيضاً على معظم منشورات المتاحف الصغيرة والمجاميع الشخصية، ولقد تبعثت النصوص المهمة الكثيرة في المجلات العلمية المختلفة، فتوزعت في أماكن ليست بالحسبان، مما يجعل الأمر صعباً

(1) فاضل عبد الواحد علي، "الكتابة"، موسوعة العراق في موكب الحضارة، ص 188 - 189.

بالنسبة للباحث الذي لا يجد مكتبة خاصة بعلم الآشوريات من الدرجة الأولى، حيث يصبح جمع تلك النصوص إلزامياً عاجلاً أم آجلاً، ولهذا توجد أعداد من الكتب والمقالات التي تُرجمت فيها نصوص خاصة مع مجموعات نصوص كثيرة ذات طبيعة متشابهة، وسوف يتطلب تسجيلها وقتاً آخر أكثر مما يسمح به الآن، وعدد النصوص المنشورة في طبعات الكتب وفي الترجمات الحديثة يعدّ قليلاً؛ لذلك يجب الرجوع إلى منشورات النصف الأخير من القرن العشرين، وعلى وجه الخصوص كتاب بريشارد: نصوص الشرق الأدنى⁽¹⁾.

ومن دراسة النصوص الآشورية وتحليلها ومطابقتها مع واقع حياة الإمبراطورية الآشورية يلاحظ أن تلك النصوص ماهي إلا مرآة تعكس شخصيات الملوك والعصر الذي كانوا يعيشون فيه، وتبدو براعة الكاتب والمؤلف في حسن تصوير الملك بالصورة التي أراد الملك نفسه أن يظهر بها، أو الصورة التي كان ينظر من خلالها إلى الملك نفسه وإلى أعدائه⁽²⁾.

وما تعرف بالمراسلات الملكية التي تضم تقارير الموظفين الملكيين الموجودين في المقاطعات، والراغبين في إحاطة الملك بكل مجريات الأمور في مقاطعاتهم وأقاليمهم، والمشكلات التي يرغبون في استشارة الملك فيها، ثم دور الملك وتوجيهاته في الشؤون المختلفة في المسائل التي تعرض عليه. وقد تميزت حقبة الألف الأول قبل الميلاد لاسيما العصر الآشوري الحديث بكونه من أغنى الحقب التاريخية من ناحية التوثيق التاريخي.

هذا إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن الكتابات المسمارية، هي كتابات ملكية

(1) ليو اوبنهايم، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد، 1986م، ص 467 - 468.

(2) سليمان، عامر، الكتابة المسمارية والحرف العربي، الموصل، 1986م، ص 51 - 52.

يشرف عليها كتبة متخصصون ويقيمون في القصر الملكي، وهناك تدقيق على كل ما يكتبونه، فضلاً عن ذلك كانت تُعرض الرسائل على الملك شخصياً للاطلاع عليها قبل إيداعها أو تخزينها في المكتبة الملكية، ويمكن استنباط معلومات كثيرة من الإشارات العرضية في مراسلات الملك مع موظفيه في المقاطعات. فلا يمكننا تجاهل الأهمية الكبيرة للمعلومات التاريخية التي تزودنا بها الرسائل في مختلف الجوانب الإدارية والسياسية التي لم تصلنا معلومات عنها، كما أنها تشرح الأصول المتبعة في مخاطبة الملك والألقاب المخاطب بها، حيث تبين لنا الوضع السائد العام، وشكل الجهاز الحكومي المتبع في المملكة الآشورية آنذاك، واهتمام المسؤولين بإحاطة الملك الآشوري كونه يقف على قمة الجهاز الإداري للدولة، وهو المسؤول عن الإحداث والمتغيرات صغيرها وكبيرها⁽¹⁾.

فالرسائل إذن تستحق أن تسمى سجلاً ملكياً أنجز في العاصمة نينوى (تل قوينحق)، وقد عثر على أكثر من 200 رسالة من خلال التنقيبات التي أجريت في العواصم الآشورية القديمة كلخ (النمرود)، وفي كوزانا (تل حلف) على نهر الخابور، وحوالي 200 من هذه الكتابات عثر عليها في كلخ، ومعظمها يعود إلى الحقبة السرجونية (722 - 612 ق.م)، ومعظم هذه الرسائل كانت موجهة إلى الملك وليست مكتوبة من قبله، فهناك رسائل قد أرسلت إلى الملك سرجون الآشوري "شروكين" (721 - 705 ق.م) وللملك أسرحدون (680 - 669 ق.م)، بينما ليست هناك أية رسالة منها تعود إلى الملك سنحاريب "سن - أخي - آريا" (705 - 680 ق.م)، ومعظم تلك الرسائل وجدت مكتوبة إما من قبل الملك آشوربانيبال "آشور - بان - آبلي" (669 - 626 ق.م) أو أنها حررت إليه، وكانت هذه الرسائل على نوعين: النوع

(1) محمد نور الدين حاطوم، موجز تاريخ الحضارة، دمشق، 1963م، ج1، ص234.

الأول: يضم رسائل من خبراء الملك في التنبؤ "التكهن" "السحر والفأل"⁽¹⁾، أما النوع الثاني فيظم القسم الكبير من رسائل الدولة، وهي تلك الرسائل الموجهة إلى الملك من الموظفين الإداريين وحكام الأقاليم وأمراء الحاميات⁽²⁾.

ثانيًا: مفهوم الأزمة:

لغة: جاءت من الأزم: الجذب، والمحل، والشدة، والقحط⁽³⁾. وهناك من قال: إن الأزمة هي السنة المجذبة، وكذلك الأزمة من الأوازم: السنون الشدائد كالبوازم، وأزم عليهم العام والدهر، يأزم أزمًا وأزومًا: اشتد قحطه، أو قيل: اشتد وقل خير⁽⁴⁾.

أما الأزمة اصطلاحًا: فعُرِّفت بأنها مجموعة من المصاعب، أمكن تسميتها بـ (أزمات)⁽⁵⁾، ويتداخل معها مصطلح آخر هو مصطلح (الانحسارات التي تعرف بأنها: انقباض في النشاط الاقتصادي خفيف وقصير المدى، أما إذا كان الانقباض عنيفًا وطويل المدى وغدا خطرًا فيشير عندها إلى وجود (أزمة)⁽⁶⁾. وهناك من عرفها بأنها حدث يهدد المصلحة القومية، يحدث في ظروف ضيق الوقت وعدم

(1) ابتهاج عادل إبراهيم، "مدينة أربيل في رسائل منتخبة من العصر الآشوري الحديث 911 - 612 ق.م"، مجلة التربية والعلم، م 19، الموصل، 2021 م، ص 3.

(2) ساكر، المصدر السابق، ص 390 - 391.

(3) محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، بيروت، 1981، ص 15.

(4) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، بيروت، 1955 - 1956.

(5) موريس فلامان وحن سنجر كرل، الأزمات والانحسارات الاقتصادية، ترجمة: ناجي نعمان، مج 2، ص 57، فرنسا، 1980.

(6) هيفي سعيد عيسى، الأزمات الاقتصادية في العراق القديم حدود (2800 - 539 ق.م)، دمشق، 2019، ص 19.

الإمكانات، وينشأ عن اختلاف وجهات النظر أو وقوع كوارث طبيعية تستنفر كل قوى الدولة أو بعضها لمواجهةها من خلال حل توفيقى⁽¹⁾. أيضاً عُرِّفَتْ بأنها إجراء عاجل في حالة الكوارث الطبيعية المهددة للمصلحة القومية⁽²⁾. كما عرفت بأنها وضع عارض به جانب من المفاجأة ينطوي على توتر (مشكلة) داخلي أو خارجي يحتاج إلى سرعة المواجهة السياسية على مستوى الدولة، وإلى جهد دولي عالمي أو إقليمي لتجنب آثاره ولتخفيف حدتها⁽³⁾.

وجاء ذكر الأزمة في القرآن الكريم على وجوه عدة: مثلاً جاء ذكر المجاعة في قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) إذ قال تعالى: ﴿عَامٌ فِيهِ يَئِسُ النَّاسُ مِنْ شِعَارِ اللَّهِ﴾⁽⁴⁾، أما في النصوص المسمارية فقد جاءت الأزمة بمعنى المجاعة، وردت هذه المفردة في اللغة الأكديّة بألفاظ عديدة سنكم sunqum وداماتو danmatum وهو ساهو⁽⁵⁾ I.husahhu.

ثالثاً: نبذة عن نابو بيل شوماتي

نُصِّب نابو بيل شوماتي (651 - 650 ق.م) حاكماً على القطر البحري بعد أبيه، وكان فرح نابو بيل شوماته بهذا التعيين لا يدانيه فرح، ويتضح ذلك من خلال الرسائل التي كان يبعث بها إلى آشور بانيبال، التي كانت مفعمة بعبارات الود

(1) المصدر نفسه، ص 19، محفوظ أحمد جودة، العلاقات العامة مفاهيم وممارسات، (د.م)، 1999، ص 266.

(2) المصدر نفسه، ص 19؛ محمد نصر مهنا، إدارة الأزمات، الإسكندرية، 2004، ص 243.

(3) المصدر نفسه، ص 20؛ د. ي. رونالد، إدارة الأزمات، القاهرة، 2004، ص 40.

(4) سورة يوسف، الآية: 49.

(5) ابن منظور، المصدر السابق، ج 1، ص 468؛ المارودي، النكت والعيون تفسير الماوردي، الكويت، 1982، ج 4، ص 460؛ محي الدين عطية، الكشف الاقتصادي لآيات القرآن الكريم، الولايات المتحدة، 1991.

والاحترام. وقد جاء في إحدى الرسائل ما نصه: "إلى سيدي الملك خادمك نابو بيل شوماته هلا يكون كل شيء طيباً مع سيدي الملك، هلا يكن رب الأرباب آشور ونابو رؤوفين إلى سيدي الملك، هلا يمنحان سيدي الملك راحة البال وصحة الجسم والعمر الطويل"⁽¹⁾.

وفي رسالة أخرى يخبر فيها الملك أنه أرسل لبلاطه مبعوثاً محملاً بالهدايا التي كان من بينها ثياب (صوبائي)، وهي من منتجات أرض البحر. ويخبر نابو بيل شوماته سيده آشور بانيال في إحدى رسائله عن تحركات ملك عيلام، الذي يصفه بالطاغية، ويذكر معاملته السيئة لشعبه، التي أدت إلى الثورة ضده في العديد من المدن العيلامية، ولكن هذا الود لم يستمر، إذ انضم نابوبيل شوماتي إلى صف شمش شم أوكن، ثم لجأ قبل نهاية عام (651 ق. م) إلى عيلام⁽²⁾ لعب نابو بيل شوماتي في بدء تعيينه دور الصديق الوفي لآشور، ولكنه كان يخطط في الوقت نفسه بالانضمام إلى شمش شم أوكن لعله يحصل على بعض المغنم في حال نجاح الثورة⁽³⁾. إن السبب الرئيس وراء انضمامه إلى الثورة، هو الطموح الكلداني المستمر في محاولة جعل بلاد بابل مستقلة عن بلاد آشور.

أخذ نابو بيل شوماتي عندما هرب إلى عيلام الكثير من الأسرى من رجال

(1) رشا عبد الوهاب محمود الجمعة، نظرة العراقيين القدماء للكوارث الطبيعية في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة الموصل، 2007، ص 43؛ Oppenheim, "Siege Documents from Nippor", Iraq, (1955), Vol. 17, P. 4؛ Lio
(2) سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، البصرة، 1985، ص 285.

Robert Rogers William, AHistory o f Babylonian and Assyria, P. 268 (3)

الحاميات العسكرية الآشورية التي كانت موجودة في القطر البحري⁽¹⁾، وبعض الأشخاص من مدينة كيسيك. وبما أن ثورة شمش شم أوكن في بدايتها وفي أوج شدتها، لذا فقد واجه آشور بانيبال موقفًا مغايرًا للغالية⁽²⁾. إذ اتخذ نابو بيل شوماتي من الأراضي العيلامية قاعدة لنشاطاته العسكرية ضد الآشوريين⁽³⁾.

ومن استخارة لآشور بانيبال عند الإله نستنتج منها أن تحرك نابو بيل شوماتي في حيرة وخرج: "هل سيشارك نابو بيل شوماتي في الحرب القطر البحري، الملك آشور بانيبال، صنيعتك سيده الذي يلفظ اسمه باستخفاف، تجاهله بشدة، والآن سمع آشور بانيبال ملك آشور معبودك، جميع النبالة في بلاد عيلام وهو هل سيقاقل ويحارب مع جنود آشور بانيبال ملك آشور أو مع الآشوريين أو الأكديين أو عيين أو الآراميين الذين ركعوا وقبلوا أقدام الملك صنيعتك.... (لا تهتم بمسألتة فيه يسير، ولكن الله إما على حدود عيلام أو حدود بلاده)، هل بود نشر الذعر أو طلب المساعدة لم يعبر الحدود⁽⁴⁾.

وبعد أن استسلمت، بابل عام 648 ق. م بدأ آشور بانيبال تصفية حساباته مع الأطراف الفة مع شمش شم أوكن، فوجه طلبًا إلى ملك عيلام اندابيكاش، يحثه فيه على تسليم أبو بيل ماتي ومن معه، ومحذرًا إياه في الوقت نفسه من عدم الاستجابة لهذا الأمر: "إذا لم تسلم هؤلاء أشخاص فيني سادمر المدن وآسر السكان في سوسه ومداكتو وخيدالو، وسألحك من عرش البلاد افع شخصًا مكانك وكما فعلت مع

C.H.W, Johns, Babylonian & Assyrian, Laws, Contracts and letters, (London: (1)

1919), pp. 347 – 348.

(2) الأحمدي، المصدر السابق، ص 287 – 288.

(3) ساكنز، عظمة بابل، ص 163.

(4) Ivan Star, Stata Archives of Assyria, in VOL, IV (Helsinki, 1990), pp. 263 – 264

تيومان". ولم تكن هذه الخطة الوحيدة للآشوريين رسل آشوربانيبال في الخامس والعشرين من تموز رسالة إلى قائد قوات عيلام خوبان سمبار (Human - shibae)، وكلف بيل ابني للتفاوض معه، لحسم مسألة نابو بيل شوماتي وكان بيل ابني يدرك أن قائد قوات عيلام يعد العدة للثورة على سيده.

وقبل أن يتسلم ملك عيلام رسالة الشوربانيبال، حدثت في بلاده ثورة أطاحت به، ليتولى بعده خوميان خالتاش الثالث (636 - 648) (Human - Haltash (III) ق.م) عرش عيلام، واتخذ هذا الملك من مداكتو عاصمة له بدلاً من سوسة. وجاء ذكره في المصادر الآشورية باسم أوماندا (Ummanalsi)، وحال استلامه السلطة أرسل آشوربانيبال رسالة يطالبه فيها بتسليم نابو بيل شوماتي، وعندما أبدى ملك عيلام استعداداته لتنفيذ طلب آشوربانيبال: "من أمانلداس ملك عيلام إلى آشوربانيبال ملك آشور. السلام على أخي، منذ البداية كان المارتناي (Mar Teniai)⁽¹⁾ مخطئين بحقك، جاء نابو بيل شوماته من تلك المنطقة... عبر إلى عيلام، قطعت الطريق لمنعه من الدخول، لقد أرسلت تقول: أرسل نابو بيل شوماتي، سألقي القبض عليه وأرسله لكم..." أمر نابو بيل شوماتي حامل درعه بقتله حال استكمال الاستعدادات لتسليمه، وللتعبير عن حسن النية وضع ملك عيلام الجثة في تابوت مليء بالملح وأرسله إلى نينوى⁽²⁾.

(1) الماريتاني، الاسم العيلامي لسكان القطر البحري المشتق من مارتو (الأهوار المالحة) للمزيد ينظر: جمال ندا صالح، السلماني، العلاقات السياسية لبلاد الرافدين مع بلاد عيلام في العصر الآشوري الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003، ص 190.

(2) فارس عجیل جاسم الخالدي، التطورات الداخلية في بلاد بابل 858 - 612 ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2005، ص 126 - 127.

رابعاً: الأوضاع السياسية في بلاد عيلام وبلاد آشور في أثناء الأزمة:

اغتيال سنحاريب عام 681 ق.م من قبل أحد أبنائه، وبمساعدة قادة الجيش، وتولى العرش بعده أسرحدون بعد سلسلة من المعارك السياسية والعسكرية، التي خاضها ضد منافسيه الطامعين في السلطة؛ لكونه الوريث الشرعي لهذا المنصب⁽¹⁾. الذي عهد إليه والده بالحكم، وكان قد شغل منصب الحاكم على بلاد بابل ثمان سنوات من حكم سنحاريب، مما أهله ليكون على قدر كبير من الخبرة والدراية بأحوال البلاد وسكانها⁽²⁾، وعندما حلت الأزمة في بلاد عيلام تولى العرش في بلاد عيلام الملك (اورتاكى 663 - 675 Urtaki ق.م)، فحاول تغيير سياسته مع الآشوريين، واتبع سياسة موالية لهم، غير أن الملك أسرحدون لم يكن واثقاً به، مما دفعه للاستشارة بالإله شمش⁽³⁾، من أجل التأكد من نواياه: ((إلى شمش

(1) قتل سنحاريب على يد أحد أبنائه بسبب تفضيله لابنه الأصغر أسرحدون عليهم، على إثر ذلك حدثت حرب أهلية بينهم، وقد وردت أحداث هذا الاغتيال في التوراة، (سفر الملوك الثاني 19: 36 - 37). للمزيد ينظر: ابتهاج عادل إبراهيم، ظاهرة الاغتيال السياسي في العصر الآشوري الحديث (911 - 612 ق.م)، "مجلة التربية والعلم، الموصل، 2011، العدد 3، مج 18، ص 87؛ Mank "Murder in Mesopotamia" I D., p. 252. (1974), Vol., J, Wise

(2) هاري ساكر، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان إبراهيم، الموصل: 1979، ص 145.
(3) شمش: فهو إله الحق والعدالة سيد الفأل والعرافة وكاشف الأسرار المتهني للسماء والأرض، صاحب التنبؤ والتكهن، ومن رموزه المنشار؛ السيف المسنن؛ قرص فوق سارية أو عمود اللهب؛ الأشعة المنبعثة من أكتاف الإله شمش؛ الكف؛ النجمة في نهاية رأس الرمح؛ القرص المجنح. للمزيد ينظر: عبدالمالك يونس عبدالرحمن، عبادة الإله شمش في حضارة وادي الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1975، ص 32؛

S. H. Hook, Babylonian and Assyrian Religion, (Oxford: 1962), p. 18

السيد العظيم، أعطي جوابًا شافيًا عمّا أسأله فيما إذا كان أورتاكو ملك عيلام أرسل عرضًا لإقامة سلام إلى أسرحدون ملك بلاد آشور، هل هو مخلص في إرساله صادق في كلماته عن النصائح أسرحدون ملك بلاد آشور؟ ضع لي في هذا الكباش جوابًا شافيًا⁽¹⁾.

نستنتج من هذا النص أن فئة العرّافين والمنجمين أدت أدوارًا بارزة في الحياة السياسية في عهد أسرحدون، لأن الإجابة التي يمكن أن يحصل عليها كانت عن طريق الكهنة والعرّافين، ولكون الملك نائبًا عن الآلهة في بلاد الرافدين فالملك أراد الإجابة الإلهية للتأكد من نوايا الملك العيلامي.

إن هذه النصوص عبارة عن إجابات لأسئلة خاصة استفسر عنها الملك، كان المنجم أو العرّاف يرصد النجوم ويراقب حركتها ووقت ظهورها واختفائها، وما قد يحدث لها من ظواهر غير اعتيادية كالخسوف والكسوف، ويفسر كل ذلك، ويستدل منها على ما سيحل بالإمبراطورية، وقد حظيت هذه الظواهر الجوية الفلكية باهتمام كبير من لدن الملك أسرحدون الذي سعى إلى إنشاء شبكة من المراصد الواسعة وزعت في معظم أنحاء البلاد، يعمل فيها عدد من العرافين المختصين بالمراقبة والرصد، وكان أشهرها مرصد نينوى ومرصد أربيل⁽²⁾.

تمثلت الأسباب التي دفعت الملك العيلامي إلى تغيير سياسته بالاضطرابات التي حصلت في بلاد عيلام، ومحاولتهم المستمرة للتدخل في الشؤون البابلية،

(1) حسين نور الدين الأعرجي، الخطاب السياسي في العراق القديم (3000 - 539 ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، 2005، ص 213 - 214، SAA،

Vol. 4, p 86

(2) للمزيد من التفاصيل ينظر: قصي منصور التركي، زيار صديق رمضان، المرصد الفلكي لمدينة أربيل دراسة في النصوص المسمارية، مجلة الدراسات التاريخية، عدن، 2021، العدد 7، ص 68 - 80.

من أجل التحريض على التمرد ضد الآشوريين، وكان ذلك سبباً لضعف بلاد عيلام، التي أدركت أن القوة المتزايدة للآشوريين لم تترك مجالاً للقبائل الكلدانية للتمرد ضد الآشوريين مهما حصلوا على مساعدات من بلاد عيلام، وهذا ما شجع الآشوريين على القيام بحملة عسكرية باتجاه بيت بارنكي (bit brinki) عام (694 ق.م)، فأصبح وجودهم في بلاد عيلام قريباً، وعندما حلت الأزمة الاقتصادية⁽¹⁾. هناك أراد أورتاكي الاستمرار في العلاقات الودية مع الآشوريين، وترتب على ذلك عقد معاهدة متكافئة بين بلاد آشور وعيلام⁽²⁾.

لذلك قدم الآشوريون لهم الكثير من المساعدات عندما حلت الأزمة الاقتصادية والمجاعة في البلاد، وسمح لرعايا الملك العيلامي المجيء إلى بلاد آشور لحين هطول الأمطار وحلول موسم الحصاد، كتعبير عن نواياه الحسنة تجاه الآشوريين فقد قام أورتاكي بإعادة تمثال الآلهة عشتار التي نُقلت إلى بلاد عيلام عام 674 ق.م⁽³⁾. قبيل وفاته قام الملك أسرحدون بتقسيم ورثة العرش⁽⁴⁾ بين ولديه آشور بانيبال ملكاً على بلاد آشور، أما ابنه (شمش شم أوكن) فاعتلى عرش بلاد بابل، لذلك نجد أن بعد موت أسرحدون تمرد أورتاكي، وينسى ويتجاهل نواياه الحسنة للآشوريين، فما كان على آشور بانيبال إلا أن يقوم بصدده وبإبعاده عن بابل⁽⁵⁾.

(1) بيت بارنكي: تقع في أقصى شمال عيلام غرب كرمشاه. للمزيد ينظر: السلماي، العلاقات السياسية...، المصدر السابق، ص 148؛

Geoege Smith, A History of Babylonia, (London: No.D), p. 147; Hinz, The lost world..., op. cit., p. 151

(2) زيار صديق رمضان، العلاقات الآشورية العيلامية من خلال النصوص الملكية المنشورة (911 - 612 ق.م)، دمشق، 2021، ص 131.

(3) السلماي، العلاقات السياسية...، المصدر السابق، ص 154 - 155.

(4) Mathew Waters, A survey of Neo Elamite History, (Helsinki: 2000), p. 42

(5) Ibid, p. 435

عند بداية تولي الملك آشور بانيبال الحكم ازدادت المشكلات والصراعات الداخلية والخارجية، وما يعيننا هو الجبهة الخارجية وتحديدًا الصراع بين الجانبين الآشوري والعيلامي⁽¹⁾. فتمثل الدور العيلامي بالمجال الذي مارسه عن طريق تحريض القبائل الكلدية والآرامية في جنوب بابل، ودعمهم وتشجيعهم على التمرد ضد الإمبراطورية الآشورية، على الرغم من كل محاولات الملوك الآشوريين لإقامة علاقات سلام ما بين الجانبين، وقد أشرنا سابقًا عندما حلت المجاعة في بلاد عيلام وسعي الملك أسرحدون إلى إقامة علاقات ودية، وتدعيم الأواصر بإرسال تجهيزات من الطعام قرب الحدود البابلية⁽²⁾.

سار الملك آشور بانيبال على نهج والده عند توليه الحكم، فعمل على تهدئة الأوضاع المضطربة في بلاد عيلام، وأرسل لهم المساعدات، لكي تعينهم في تجنب الاضطرابات التي قد يتعرضون لها، بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية التي قد تضطربهم للهجرة، بسبب الضائقة الاقتصادية⁽³⁾، ومساعدة العيلاميين لاسيما في

(1) وراثة العرش: كانت الملكية في العراق القديم وراثية؛ إذ يخلف الملك أحد أولاده ولاسيما الابن الأكبر، وكان تفضيل الابن الأكبر على سائر الأخوة في كثير من شؤون العائلة في الحقوق والواجبات العائلية؛ لأنه أكبر سنًا والأرشد عقلاً وتصرفاً، ومن ثم يكون قادراً على حمل السلاح والدفاع عن شرف العائلة واسمها ومركزها، وقد شذ عن هذه القاعدة كل من سنحاريب وأسرحدون اللذين قاما بتعيين أولادهما الأصغر سنًا لولاية العهد، مما أثار حفيظة أبنائهم الآخرين. للمزيد ينظر: أحمد يونس أبلية الجحيشي، ولاية العهد في العصر الآشوري الحديث 911 - 612 ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2011، ص 34.

(2) G. G. Cameron, History of Early Iran, p. 186.

(3) تتمثل الأوضاع الداخلية المضطربة في بلاد الشام بالصراعات بين أفراد العائلة الحاكمة، للسيطرة على العرش أدت تلك الأوضاع إلى تشجيع بعض الأقاليم والولايات العيلامية إلى إعلان استقلالها عن السلطة المركزية. للمزيد ينظر:

Sindney Smith, "Campaigns in Mannai and Media", CAH. (Cambridge: 1980), vol. 3, p. 119.

وقت الأزمات كما يبدو ذلك واضحاً من النص التالي: "عندما كانت هناك مجاعة في عيلام ونقص الموارد الغذائية، أرسلت الحبوب للإبقاء على حياة شعبه، ومسكنها يده (لمساعدته)، وأعدت له شعبه الذي هرب من المجاعة، والتجأ للسكن في آشور حتى أمطرت في بلاده وضمن الحصاد وظلوا على قيد الحياة في بلادني"⁽¹⁾.

فاتخذ الملك آشوربانيبال العديد من الإجراءات التي من شأنها مساعدة العيلاميين لاسيما في وقت الأزمات كما يبدو ذلك واضحاً من النص السابق.

نستنتج من النص أن آشوربانيبال استمر في تقديم المساعدة وإرسال المواد الغذائية لبلاد عيلام خلال مدة المجاعة، من أجل إنقاذهم من المصائب التي مرت بها بلادهم في أوقات الكوارث والأزمات، كما استمر على سياسة والده في إبقاء اللاجئين في بلاده آشور إلى حين انتهاء الأزمة، وعلى الرغم من المساعدات التي قدمها الملك آشوربانيبال لهم؛ فإن العيلاميين نقضوا السلام وعملوا على تغذية القبائل الكلدية والآرامية المتمركزة في بابل، وتقديم العون المادي والعسكري لهم، فكان على الملك آشوربانيبال إرسال العديد من الحملات العسكرية ضدهم، وإنهاء وجودهم ككيان سياسي، وهذا ما حصل في عام (639 ق.م).

بعد مدة قصيرة نقض أورتاكي (675 - 663 ق.م) ناسياً تلك المساعدات التي قدمها لهم الآشوريون أيام المجاعة، وشجعه على ذلك انشغال الجيش الآشوري بالجبهة المصرية، وأمر تقسيم وراثة العرش بعد وفاة الملك أسرحدون بين آشوربانيبال وأخيه شمش - شم - أوكن⁽²⁾. فقد وجد أورتاكي الفرصة المناسبة

(1) Cameron, History of Early, op. cit., p. 185

(2) باسم محمد حبيب، الفكر الاقتصادي العراقي القديم في ضوء النصوص الأدبية 300 - 539 ق.م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، 2016، ص 122.

للقيام بتحريض أهالي كريت (kirbit)⁽¹⁾. الإيرانية على عهد حاكمها تانديا (tandia)، من أجل مهاجمة إيموتبال (Iamutabal)، القرية من مدينة الدير، وتطلب ذلك الأمر قيام الملك آشوربانيبال بإرسال قوة عسكرية إلى مدينة كريت، وألقى القبض على حاكمها وأرسله إلى نينوى⁽²⁾.

وفي هذه الأثناء قرر أورتاكي شن هجوم على بلاد بابل عام (664 ق.م)، واستمالة بعض المتآمرين مثل بيل اكشا (bel - i kiša) للوقوف معه ضد الآشوريين⁽³⁾، وأرسل آشوربانيبال أحد قاداته لإطلاعه على الوضع في بلاد بابل، والتأكد من صحة ما قام به

(1) كريت: تقع على نهر كادي شرق الدير للمزيد ينظر: Cameron, History of Early... op, cit., p.18.

(2) الخالدي، التطورات الداخلية...، المصدر السابق، ص 107،

A. Leo oppenheim, The Neo. Babylonian Empire and it's succe ssors, In ENET, p.301 - 303.

(3) هناك عدة أسباب دفعت بيل أكشا إلى التحالف مع العيلاميين من أجل الوقوف ضد الآشوريين منها: أولاً/ المعاملة التي تلقاها بيل أكشا من أحد الموظفين الآشوريين، الذي قام بطرده من القصر بعد أن عُيِّنَ من قبل آشوربانيبال حاكماً إدارياً على قبيلته، فقام الموظف الآشوري بتوزيع الرشاوي على المقربين من بيل أكشا، من أجل إعلان تمردهم. ثانياً/ عدم استقبال الملك آشوربانيبال لأولاد بيل أكشا استقبالا جيدا مقارنة بأولاد النبلاء. ثالثاً/ قيام الملك الآشوري بإغلاق أحد طرق المواصلات المهمة لقبيلة كامبولا. رابعاً/ يذكر بيل أكشا أن السلطات الآشورية قامت بسجنه ومعاملته معاملة سيئة لاتهامه بعلاقة مع العيلاميين. للمزيد ينظر: سامي سعيد الأحمد، "بلاد بابل تحت الحكم الآشوري من صعود آشوربانيبال حتى وفاة شمش شم أوكن"، مجلة سومر، (بغداد: 1968)، مج 42، ص 57؛ حسين درخشى حسن أحمددي، بررسى تحول فرهنگ و سياسى ايلام از اغار تا فرو باشى، مجلة بذو هش هاى علوم انسانى، (مرداد: 1392)، ذماره 20، ص 198؛ عزت الله تكيهان، شومى كهى ترين مركز شهر نشينى جهان، ناشر: سازمان ميراث فرهنگى كشور، (تهران: 1375 ش)، ص 341.

القادة العيلاميون، وكان الملك يريد الاستمرار في علاقات السلام، وعدم الخوض في صراع مباشر مع بلاد عيلام، لكن المبعوث أبلغه حال عودته بتمرد أورتاكي ضدهم كما جاء في النص التالي: "كلمة الملك آشور بانيبال أراشي صغارًا وكبارًا: أنا بخير عسى أن تكن قلوبكم بصحة جيدة! لماذا أميل بشكل إيجابي لأرض عيلام، أحب صديقي وعدوي لا أشوه سمعته، لقد أظهرت العطف للجميع، حتى لو قاموا بفعل الشر لي بالبداية في أيام أورتاكو، عندما كانت هناك جماعة الخائن (الكلب) يبحث عن طعام عكس، حكمتي بلسان الآلهة، لقد تحدثت بالحكم والحق (؟) الذي سمعت الآلهة: دعه يذهب مع تماريتو ويشاركه، كما أنني تضرعت لآلهتي آشور مردوخ، أليس صحيحًا أنهم سيقومون بعمل أي شيء لا يشبع غضبي"⁽¹⁾.

يتضح لنا من هذا النص أن الملك آشور بانيبال كان لا ينوي الدخول في معارك مع العيلاميين، وأنه أراد أن يعقد مع العيلاميين اتفاقية سلام بينهم، ويبدو ذلك من خطابه سكان أراشي العيلامية، وبيّن لهم استعداداته لتقديم المساعدة أيام المجاعة، لم يبقَ آشور بانيبال مكتوف الأيدي، بل سارع إلى معالجة الموقف؛ إذ طلب من أخيه شمش شم أوكن إرسال قوة عسكرية تحت قيادة نابو شار أوصر (nubu - šar ussur)، لمساعدة الحاميات العسكرية الآشورية، واستطاع تحقيق الانتصار عليهم، وحصولهم على العديد من الغنائم، وعملوا على ملاحقتهم حتى حدود بلادهم، وأوقعوا بهم خسائر كبيرة⁽²⁾.

(1) Waterman, No. 295, p. 205 – 207.

(2) بيّن الملك آشور بانيبال مصير جميع الأشخاص، من بلاد بابل الذين تأمروا مع العيلاميين ضد الآشوريين، هم بيل أكشا ونابو شومارش، وأن الإله مردوخ أنزل به العقاب الصارم، وأن القرى والمدن البابلية التي كان لها الدور في الأحداث المقررة قد أصابها الدمار الشامل. للمزيد ينظر: الأحمد، بلاد بابل تحت الحكم الآشوري...، المصدر السابق، ص 58، Arthur Piepkron, Historical prism In Scripctions of Asur Banipal, (Chicago: 1933).

خامساً: أسباب الأزمة:

هناك العديد من العوامل الطبيعية تقف وراء الأزمات الاقتصادية في بلدان العالم

أولاً: العوامل الطبيعية:

عرفت البيئة الطبيعية بأنها كل ما يحيط بالإنسان من ظواهر خارجة عن إرادته وليس له دخل فيها، وتضم الإطار الذي يعيش فيه الإنسان⁽¹⁾، وهي الوسط الذي يؤثر فيه ويتأثر به، ولا يمكن للإنسان أن يعيش خارج الوسط البيئي⁽²⁾؛ إذ تُعدُّ الطبيعة من أهم الأمور التي شغلت الفكر الإنساني منذ أقدم العصور. وترتكز نظرية البيئة على أن للظواهر الطبيعية والبيئة الجغرافية أثراً على مسار حياة الإنسان على الأصعدة النفسية والدينية والاقتصادية والسياسية كافة وحتى الاجتماعية⁽³⁾.

وتقع بلاد عيلام في الجنوب الغربي من إيران الحالية، وألفت بأقسامها وسهولها الزراعية وحدة جغرافية متكاملة، فقد كانت هناك اختلافات مهمة بين قسم وآخر سواء من ناحية التضاريس أو المناخ، أظهرت خلالها خصائص الجبال والسهول والهضاب والأودية، واستطاعت نتيجة تلك البيئة الجغرافية المتنوعة والغنية بالثروات الطبيعية التي كانت تتمتع بها؛ أن تؤسس حضارة كان لها تأثير مميز في تاريخ العالم القديم⁽⁴⁾.

(1) محمد محمود السلطان الجغرافية والبيئة، منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق، 2009، ص 17.

(2) المصدر نفسه، ص 63.

(3) حسين سيد نور الأعرجي، جذور الفكر في العراق القديم وروافده، أرام للدراسات والنشر، بغداد، 2019، ص 42.

(4) للمزيد ينظر: سليمان سعدون البدر، دراسة تاريخية لمنطقة الخليج العربي والحضارات الأخرى التي نمت على شواطئه أثناء الألف الرابع ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية: 1972، ص 44؛

يتميز مناخ بلاد عيلام بكونه مناخاً قارياً شبه مداري، ويكون المناخ في المنطقة الجبلية شبيهاً بمناخ البحر المتوسط حيث الشتاء البارد والصيف المعتدل والأمطار الغزيرة، وتتميز بالتنوع النباتي والحيواني، أما منطقة السهوب فالمناخ انتقالي بين مناخ البحر المتوسط والمناخ الصحراوي، وتقل فيه الأمطار التي تستمر لمدة ثلاثة أشهر فقط تروي خلالها السهول والوديان⁽¹⁾.

وكان للظروف البيئية والمناخ دور واضح في الأنشطة المتعددة والمختلفة لحياة الإنسان القديم، وبما أن مناخ بلاد عيلام تميز بتقلباته الفصلية؛ فلا بد لسكانها من مواجهة تلك الظروف المناخية لاسيما أمطاره وفيضان أنهاره، وذلك بجهود خلاقة لتنظيم الري وإنشاء القنوات والخزانات؛ حتى يتمكنوا من مواجهة الطبيعة القاسية والسيطرة عليها⁽²⁾.

وأسهمت المياه في بلاد عيلام بمصادرها المتنوعة من إمطار وثلوج وأنهار منذ أقدم عصور التاريخ في بناء الحضارة والمدن العيلامية، ويخترق بلاد عيلام من الشمال إلى الجنوب ثلاثة أنهار رئيسة ومتوازية تصل جميعاً بشكل مستقل إلى

D.T.Potts, The Archeology of Elam Formation And Trans Formation Of An Ancient Iran State, (Cambridge) 1970, p.58; D.Potts, Ancient Iran, (Oxford: 2013), p.3 – 17; D.Potts, The Zagros from Tier And The Problem For Relation Between The Iran an Plateau And Southern Mesopotamia in Third Millennium B.C, (Berlin: 1982), p.37; Javier Alvarezmon, Gianpietro baseiloand others, The (Elamite word, (New York: 2017

Rezazadeh Shafarudi. M., Elam i. Geography, Encyclopedia Iranica, Vol.XII, (1) Fasc.6. (August 23, 2016), pp. 628 – 631

(2) كلمان هوار إيران وتمدن إيراني ترجمة حسن انوشه چاپ چهارم تهران 1384 هـ ش، ص 3؛ ف. دياكوف ومن كوفاليف الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي ط منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2009، ج 1، ص 196.

الخليج العربي، وهي الكرخة⁽¹⁾، والكارون⁽²⁾، وديز⁽³⁾. فضلاً عن أنهار أخرى في بلاد عيلام لكنها أقل أهمية، أهمها نهري مارون وهنديان (زهرة)، اللذان تنبع مياههما من جبال زاكروس⁽⁴⁾، وقد شكلت هذه الأنهر المصدر الرئيس لمياه الشرب للإنسان والحيوان، ولسقي الأراضي الزراعية في فصل الصيف، إذ كانت سبباً في نشوء أولى المستوطنات الزراعية فيها، ووسيلة اتصال بين عيلام وما يجاورها من مناطق وأقاليم⁽⁵⁾.

ثانياً: العوامل الاقتصادية:

شهد سهل شوشة الذي كان يتمتع بموارد طبيعية كبيرة، لاسيما الأنهار التي تجري فيه: كرخه، دز، والكارون، فضلاً عن وقوعه على الطرق التجارية لبلاد

(1) نهر الكرخة: يقع غرب عيلام، وينبع من جبال بشته - كوه الغربية، عرف باسم أوقنو أو اكنو (Uqnu)، وقد سمي بالكرخة لمروره في مدينة تحمل الاسم ذاته واقعة على ضفته اليمنى، وقد اشتهر بعذوبته ونقاوة مياهه، وبنيت على ضفته اليسرى مدينة سوسة عاصمة عيلام. للمزيد ينظر: Sykes, History of Persia, Vol. 1. (London, 1969), pp. 40 - 41.

(2) الكارون أحد فروع نهر الكرخة، وقد أطلق عليه العيلاميون والبابليون نهر أولاي (Ulai) (اللازورد)، وتميز بكونه يجري في كل اتجاه لعيلام، ويحتوي على كميات كبيرة من الطمي، وينبع هذا النهر من مرتفعات جبال البختيارية شرق عيلام، الذي شهدت ضفافه معارك كثيرة وطاحنة بين بلاد الرافدين وبلاد عيلام، ويمثل المهد الأساسي لابتكار الزراعة المروية في بلاد عيلام وصلاحيته للملاحة فضلاً عن عذوبة مياهه. مصطفى عبد القادر النجار، عربستان مركز دراسات عيلام، بغداد، 1980)، ص 15.

(3) نهر دز أو ديز: ينبع من جبال لورستان بالقرب من مدينة بروجيرد (Burujird)، ثم إلى سهول عيلام عرف عند العيلاميين باسم إيديدي (Edide)، وقد تميز هذا النهر بشدة جريانه واستمرار تدفقه في فصل الصيف رغم جفاف غالبية الأنهار في إيران، كما تميز بقلّة ملوحته. ينظر: Hinz, W., The Lost World of Elam, (London, 1974), p. 18.

(4) Potts, The Archaeology of Elam..., p. 1

(5) Sykes, History of Persia, pp. 39 - 40

ما بين النهرين مع الهند وآسيا الوسطى؛ تطورات اقتصادية واجتماعية كبيرة⁽¹⁾، أدى إلى نقص الموارد الغنية مثل الذهب والفضة والنحاس في بلاد ما بين النهرين، ووفرت في هضبة إيران، واستخراجه وإنتاج الأدوات النحاسية للتصدير إلى هيمنة العيلاميين على جزء كبير من الأسواق العالمية في هذا المجال⁽²⁾، وتوسع سهل شوشة كمركز وعاصمة إقليمية في الألفية الثالثة والثانية قبل الميلاد⁽³⁾، وكان جزء كبير من العلاقات الاقتصادية للمنطقة يعتمد على استغلال الأراضي الصالحة للزراعة⁽⁴⁾، وفي الوثائق العيلامية إشارة إلى الأراضي الزراعية في الشوش على شكلين (قاحلة، مزروعة وجاهزة للزراعة).

وكان النظام الزراعي يعتمد على الري والأمطار، إلا أن عددًا كبيرًا من الأراضي الزراعية كان يعتمد على قنوات الري المتعددة، وبحسب هذه النصوص، كان يمر بالقرب من هذه الأراضي، إما قناة واحدة أو اثنتين بل وأحيانًا ثلاث قنوات، وبالتأكيد كانوا يعطون حقوق مائية معينة للأراضي المجاورة لها⁽⁵⁾.

Hekmat, Naser. Assessment of the economy of Iran and statistical analysis of (1) the most important indicators especially during the past three decades with special focus on foreign trade along, with short term forecast of some economic indexes, (Berlin: 2005), p. 10

(2) زهرا میراشه وكمال الدین نیکنامی و بهمن فیروزمندي، بررسی اسناد اقتصادی خرید - فروش، اجاره، وام در دوره عیلام قدیم، فصلنامه علمی - پژوهشی پژوهشنامه تاریخ سال یازدهم، تابستان - 1395 شماره 43، ص 3.

Ladumer, Ulrich.. Mullahs und Mitallurgen, Hamburg, Die Zeit 12, (2004), (3) p. 11 - 13.

(4) کارتر الیزابت، "یادداشتی درباره باستان شناسی و تاریخ اجتماعی و اقتصادی شوشان"، زیر نظر ژان پرو وژنویو دلفوس، در شوش و جنوب غربی ایران، تاریخ و باستان شناسی، ترجمه هایده اقبال، مرکز نشر دانشگاهی، تهران، 1376، ص 22.

(5) زهرا، کمال و بهمن، المصدر السابق، ص 3.

وذكروا في هذه النصوص أسماء الأراضي الزراعية، وأياً منها كانت مناسبة لزراعة محصول واحد أو أكثر، ويبدو أن المحصول الرئيس المزروع كان الشعير، فبالإضافة إلى كونه صالحاً للأكل، كان الشعير يُعد سلعة ثمينة، وكان يُستخدم كوسيلة لدفع مبالغ المعاملات ودفع الأجور والإعاشة اليومية، ومن بين المنتجات الأخرى القمح والسّمسم والعدس، التي كانت تستخدم بشكل مباشر كغذاء للسكان المحليين، أو كانت تُصدّر أحياناً إلى المناطق المجاورة، وقد عُثر على عدد كبير من النصوص المتعلقة بشراء الأراضي وبيعها، كالحقول، وبساتين النخيل من عيلام القديمة، وفي جميعها تقريباً، واستُخدمت صيغة محددة لإعداد الوثيقة (العقد)، ففي هذه العقود تحديد أبعاد ونطاق العقار من خلال ذكر تفاصيل مثل المزارع الموجودة في جوار العقار المرغوب فيه والقناة أو قنوات المياه التي تمر على الأرض، وتحديد العقارات بأسماء أصحابها، وكان يُذكر في العقد أيضاً نوع المنتج (القمح، الشعير، السّمسم، العدس) التي كانت الأرض تصلح لزراعته، وفي أغلب الأحوال كان نص العقد يبدأ بعبارة "حقل صالح للزراعة...".

وفي بلاد عيلام حصلت الأزمة الاقتصادية بسبب قلة الأمطار وشحة الموارد الغذائية، مما أدى ذلك إلى تفاقم الوضع الاقتصادي، ولجأ سكان بلاد عيلام إلى بلاد الرافدين للحد من هذه الأزمة ومعالجة الأوضاع وإيجاد حلول للأزمة⁽¹⁾.

سادساً: الرسائل الملكية لنابو بيل شوماتي مصدر للأزمة:

هناك العديد من الرسائل الملكية التي تؤكد حدوث الأزمة في بلاد عيلام، من هذه الرسائل: "ملك البلاد مولاي خادمك كودورو. عسى ارك واي - انا يباركوا بملك

(1) بادامچی، حسین (1391)، "اجاره نامه زمین کشاورزی: تحلیل سه سند حقوقی از عيلام باستان به همراه ویرایش متن اکدي"، ص 624؛ Salonen, E. Untersuchungen zur Schrift Sprache des Altbabylonischen von Susa mit Berücksichtigung der Málamir – Texte, Stor 27, (Helsinki: 1962), p. 30und

البلاد مولاي. - أصلي يومياً لعشتار ارك و نانا للحفاظ على حياة مولاي الملك. بالنسبة لوباكو، حيث كتب عنها لي مولاي الملك، (بقدر) بيل، نابو، عشتار ارك و نانا يبقون مائلاً عن مشرق الشمس حتى مغيبها: عليهم يدمرونه تماماً ويسلمون (ه) ليدي مولاي الملك، ملوك جميع البلدان، موشيزيب - ماردوك، ابن اخت بيل - اييني، الذي جاء أمام مولاي الملك مرتين أو ثلاثة بمهام من بيل - اييني وضعه في قيادة أموره: لقبه هو "مشرف بوابة المدينة". إنهم يوصلون معلومات تخص بلاد مولاي الملك لعيلام، وإذا ما حدثت مجاعة في عيلام، سيوفرون طعام لتلك البلاد. لقد كتبت لمولاي الملك، الملك مولاي يجب أن يفعل ما يراه مناسباً⁽¹⁾.

نستنج من النص أن هناك مجاعة في بلاد عيلام، وأنهم يطلبون من الملك أسرحدون إرسال طعام لهم؛ لأن خادم الرسالة من خلال الأرشيف الآشوري يعود تاريخه للملك أسرحدون.

وهناك نص آخر عن الأزمة: "خادمكم بيل ابني].... (نبذات).... عيلام، مجاعة.... مع Hilim و Gumguhu و Yashian و قبائل Lakabru والتي تجاوزت أراضيهم مع خاصتنا. لقد كان الدقيق يصنع من أعشاب لاذعة ومن بذور أعشاب lungirtu والتي كانت تتغذى عليها حمير البرية، فقد كانوا يطحنوها يغربلوها ويمزجوها معاً، وحينما تصبح بالشكل النقي (?) والكثافة المضبوطة كانوا يأكلون الخليط ويعيشون عليه. إن نابو بيل شوماتي والذي خدع نابو سيعرض للبيع قد استأجر مقابل ثمن عشر غور من التمر واثنين من العبيد"⁽²⁾.

وهناك نص آخر حول الأزمة: "إلى مولاي سيد الملوك، خادمك بيل اييني.

(1) R. H. Pfeiffer, State letters of Assyria, (Michigan press: 1930), No,277,p.24

(2) Ibid, No, 1000, p. 41

ليمنح آشور، شمش، ماردوك السعادة والسلطان الدائم لمولاي الملك طول الدهر، أما عن أخبار عيلام: فلقد قام اوماهاالدشو الملك السابق الذي هرب ثم عاد واعتلى العرش، بترك ماداكتو خائفاً، بينما قامت والدته وزوجته وأبنائه وجميع عائلته بتسليم أنفسهم، حيث عبر هذا الملك البحر متجهاً جنوباً إلى مدينة تالاه الويل، وأصيبوا بحالة من الذعر، وتوقعوا قدوم المجاعة. حيث أصبحت البلاد مهجورة برحيلهم. إنهم يقومون بجمع ضرائب الحبوب من كافة أرجاء إيلام ويسلموها إلى sharnuppu الرسمي ويعتاشون منها 14، وبينما كان اومهولوما حياً طرق بابه نابو بيل شوماتي لقلقه الشديد على أتباعه. ومن مدينة تالاه إلى مدينة ريد Rade وشالوكا عملت جميع هذه المدن على توصيل ضرائب الحبوب إليه ليتم توزيعها على قسم sarnuppu الرسمي، أما الآن فإن جميع sharnuppu عندما تمكنوا من القبض على نابو بيل شوميت وكبير خدمه نسخور بيل Niskhur - Bel أمسكوا بهم قائلين: "إنكم عندما أطلعتم اومهولوما Umhuluma على رغباتكم قام بتسليمكم مؤونتنا وبالتالي قتلتم شعبنا جوعاً"⁽¹⁾.

وتوافر لدينا نص آخر حول المجاعة: "الى مولاي الملك سيد الملوك، خادمك بيل اييني، ليمنح آشور وشمش ومردوخ السعادة والسلطان الدائم لمولاي الملك طول الدهر. إنه فيما يتعلق بالاعتقالات وحرق المدن التي كتب عنها مولاي الملك قائلاً" يجب أن يعلم بأن كنوز ماداكتوبان مولاي الملك خارج عيلام، وكما يعلم مولاي الملك بأن الطعام الذي في عهدي قليل جداً، لذلك استأذن مولاي الملك بإرسال الحارس إلي"⁽²⁾.

(1) Ibid, No, 281, p. 44

(2) Ibid, No. 749, p. 46

الخاتمة

من خلال كتابة هذا البحث تم التوصل إلى الاستنتاجات التالية:

1 - تعد الرسائل الملكية من أهم مصادر دراسة التاريخ القديم بشكل عام ولمنطقة الشرق الأدنى القديم بشكل خاص، وذلك لأنها تسلط الضوء على جوانب مهمة من تاريخ الحوادث التي رافقت نشأة الحضارة العراقية القديمة وتطورها، حيث تشير إلى الكثير من مظاهر تاريخ العراق القديم وحضارته، مثل أسماء الملوك وأعمال الكثيرين منهم، فضلاً عن الأحداث التاريخية المعاصرة لحكمهم، وتميزت حقبة الألف الأول قبل الميلاد لاسيما العصر الآشوري الحديث بكونه من أغنى الحقب التاريخية من ناحية التوثيق، لذلك كانت هناك العديد من الرسائل الملكية تؤكد حدوث الأزمة في بلاد عيلام.

2 - نُصَّب نابو بيل شوماته (651 - 650 ق.م) حاكماً على القطر البحري بعد أبيه، وكان فرح نابو بيل شوماته بهذا التعيين لا يدانيه فرح، ويتضح ذلك من خلال الرسائل التي كان يبعث بها إلى آشور بانيبال، التي كانت مفعمة بعبارات الود والاحترام، وأدَّى نابو بيل شوماته في بدء تعيينه دور الصديق الوفي لآشور، ولكنه كان يخطط في الوقت نفسه للانضمام إلى شمش شم أو كن؛ لعله يحصل على بعض المغنم في حال نجاح الثورة. إن السبب الرئيس وراء انضمامه إلى الثورة، هو الطموح الكلدي المستمر نفسه في محاولة جعل بلاد بابل مستقلة عن بلاد آشور، فأخذ نابو بيل شوماته عندما هرب إلى عيلام الكثير من الأسرى من رجال الحاميات العسكرية الآشورية التي كانت موجودة في القطر، فإن الرسائل الملكية في عهده تؤكد حدوث الأزمة.

3 - عندما حلت الأزمة في بلاد عيلام تولى العرش فيه الملك (اورتاكى urtaki) (675 - 663 ق.م)، فحاول تغيير سياسته مع الآشوريين، واتبع سياسة موالية لهم،

أما في بلاد آشور تولى أسرحدون العرش، غير أن الملك أسرحدون لم يكن واثقاً من سياسة الملك المذكور، مما دفعه للاستشارة بالإله شمش.

4 - هناك العديد من العوامل الطبيعية التي تقف وراء الأزمات الاقتصادية في بلدان العالم، وعرفت البيئة الطبيعية بأنها كل ما يحيط بالإنسان من ظواهر خارجة عن إرادته وليس له دخل فيها، وتضم الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، إذ تُعدُّ الطبيعة من أهم الأمور التي شغلت الفكر الإنساني منذ أقدم العصور، وترتكز نظرية البيئة على أن للظواهر الطبيعية والبيئة الجغرافية أثراً على مسار حياة الإنسان على الأصعدة النفسية والدينية والاقتصادية والسياسية كافة وحتى الاجتماعية.

5 - أما العوامل الاقتصادية، فقد شهد سهل شوشة الذي كان يتمتع بموارد طبيعية كبيرة، لاسيما الأنهار التي تجري فيها لكرخة، دز، والكارون، فضلاً عن وقوعه على الطرق التجارية لبلاد ما بين النهرين مع الهند وآسيا الوسطى، تطورات اقتصادية واجتماعية كبيرة وكان جزء كبير من العلاقات الاقتصادية للمنطقة يعتمد على استغلال الأراضي الصالحة للزراعة، وكان النظام الزراعي يعتمد على الري والأمطار، إلا أن عددًا كبيراً من الأراضي الزراعية كان يعتمد على قنوات الري المتعددة، وفي بلاد عيلام حصلت الأزمة الاقتصادية بسبب قلة الأمطار وشحة الموارد الغذائية، مما أدى ذلك إلى تفاقم الوضع الاقتصادي، ولجوء سكان بلاد عيلام إلى بلاد الرافدين؛ للحد من هذه الأزمة، ومعالجة الأوضاع وإيجاد حلول للأزمة.

المصادر

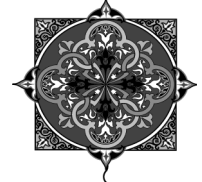
1. ابتهاج عادل إبراهيم، ظاهرة الاغتيال السياسي في العصر الآشوري الحديث (911 - 612 ق.م)، مجلة التربية والعلوم، الموصل، 2011، العدد 3، مج 18.
2. ابتهاج عادل إبراهيم، مدينة أربيل في رسائل منتخبة من العصر الآشوري الحديث 911 - 612 ق.م، مجلة التربية والعلوم، م19، الموصل، 2021.
3. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، بيروت.
4. أحمد يونس أبلية الجحيشي، ولاية العهد في العصر الآشوري الحديث 911 - 612 ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2011.
5. بادامجي، حسين (1391)، "اجاره نامه زمين كشاورزي: تحليل سه سند حقوقی از عيلام باستان به همراه ويرايش متن اكدي.
6. باسم محمد حبيب، الفكر الاقتصادي العراقي القديم في ضوء النصوص الأدبية 300 - 539 ق.م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، 2016.
7. جمال ندا صالح، السلماني، العلاقات السياسية لبلاد الرافدين مع بلاد عيلام في العصر الآشوري الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003.
8. حسين درخشى حسن أحمددي، بررسى تحول فرهنگ و سياسى ايلام از اغار تافرو باشى، مجلة بذو هش هاى علوم إنسانى، مرداد، 1392، ذماره 20.
9. حسين سيد نور الأعرجي، جذور الفكر في العراق القديم وروافده، آرام للدراسات والنشر، بغداد، 2019.
10. حسين نور الدين الأعرجي، الخطاب السياسي في العراق القديم (3000 - 539 ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، 2005.
11. د. ي. رونالد، إدارة الازمات، القاهرة، 2004.
12. رشا عبد الوهاب محمود الجمعة، نظرة العراقيين القدماء للكوارث الطبيعية في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2007.

13. زهرا اميراشه وكمال الدين نيكنامي وبهمن فيروزمندي، بررسى اسناد اقتصادي خريد - فروش، اجاره، وام در دوره عيلام قديم، فصلنامه علمي - پژوهشي پژوهشنامه تاريخ سال يازدهم، تابستان - 1395 شماره 43.
14. ژيار صديق رمضان، العلاقات الآشورية العيلامية من خلال النصوص الملكية المنشورة (911 - 612 ق.م)، دمشق، 2021.
15. سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، البصرة، 1985.
16. سامي سعيد الأحمد، "بلاد بابل تحت الحكم الآشوريين صعود آشور بانيبال حتى وفاة شمش شم أوكن"، مجلة سومر، بغداد، 1968، مج 42.
17. سليمان سعدون البدر، دراسة تاريخية لمنطقة الخليج العربي والحضارات الأخرى التي نمت على شواطئه أثناء الألف الرابع ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية: 1972.
18. سليمان، عامر، الكتابة المسمارية والحرف العربي، الموصل، 1986.
19. عبد المالك يونس عبدالرحمن، عبادة الإله شمش في حضارة وادي الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1975.
20. عزت الله تكيهان، شومي كهى ترين مركز شهر نشينى جهان، ناشر: سازمان ميراث فرهنگ كشوره، تهران، 1375 ش.
21. ف. دياكوف ومن كوفاليف الحضارات القديمة، ج 1، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2009.
22. فارس عجيل جاسم الخالدي، التطورات الداخلية في بلاد بابل 858 - 612 ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2005.
23. فاضل عبد الواحد علي، "الكتابة"، موسوعة العراق في موكب الحضارة.
24. قصي منصور التركي، ژيار صديق رمضان، المرصد الفلكي لمدينة أربيل دراسة في النصوص المسمارية، مجلة الدراسات التاريخية، عدن، 2021، العدد 7.
25. كارتر اليزابت، "يادداشتى درباره باستان شناسى وتاريخ اجتماعى واقتصادى

- شوشان"، زیر نظر ژان پرو وژنویو دلفوس، در شوش وجنوب غربی ایران، تاریخ و باستان شناسی، ترجمه هایده اقبال، مرکز نشر دانشگاهی، تهران، 1376.
26. کلمان هوار ایران و تمدن ایرانی ترجمه حسن انوشه چاپ چهارم تهران 1384 هـ.ش.
27. لیو او بنهایم بلاد ما بین النهرین، ترجمه: سعدي فیضي عبد الرزاق، بغداد، 1986.
28. المارودي، النکت والعیون تفسیر المارودي، ج 4، الكويت، 1982.
29. محفوظ أحمد جودة، العلاقات العامة مفاهيم وممارسات، (د. م)، 1999.
30. محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، بيروت، 1981.
31. محمد محمود السلیمان الجغرافية والبيئة، منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق، 2009.
32. محمد نصر مهنّا، إدارة الأزمات، الإسكندرية، 2004.
33. محمد نور الدين حاطوم، موجز تاريخ الحضارة، ج 1، دمشق، 1963.
34. محي الدين عطية، الكشف الاقتصادي لآيات القرآن الكريم، الولايات المتحدة، 1991.
35. مصطفى عبد القادر النجار، عربستان، مرکز دراسات عيلام، بغداد، 1980.
36. موريس فلامان و حان سنجر كرل، الأزمات والانحسارات الاقتصادية، ترجمة: ناجي نعمان، مج 2، فرنسا، 1980.
37. هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان إبراهيم، الموصل، 1979.
38. هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، بغداد، 1999.
39. هيفي سعيد عيسى، الأزمات الاقتصادية في العراق القديم حدود (2800 - 539 ق.م)، دمشق، 2019.
40. Arthur Piepkron, Historical prism In Scripions of Asur Banipal, (Chicago: 1933).
41. C.H.W, Johns, Babylonian & Assyrian, Laws, Contracts and letters, (London: 1919).
42. D. Potts, Ancient Iran, (Oxford: 2013).

43. D. Potts, The Zagros from Tier And The Problem For Relation Between The Iran an Plateau And Southern Mesopotamia in Third Millennium B.C, (Berlin: 1982).
44. D. T. Potts, The Archeology of Elam Formation And Trans Formation Of An Ancient Iran State, (Cambridge) 1970.
45. G.G Cameron, History of Early Iran.
46. George Smith, A History of Babylonia, (London: No. D).
47. Hekmat, Naser. Assessment of the economy of Iran and statistical analysis of the most important indicators especially during the past three decades with special focus on foreign trade along, with short term forecast of some economic indexes, (Berlin: 2005).
48. Hinz, W., The Lost World of Elam, (London, 1974).
49. Ivan Star, Stata Archives of Assyria, in VOL, IV (Helsinki, 1990).
50. Javier Alvarezmon, Gianpietro baseiloand others, The Elamite word, (New York: 2017).
51. Ladumer, Ulrich.. Mullahs und Mitallurgen, Hamburg, Die Zeit 12,)2004 (.
52. Leo oppenhiem, The Neo. Babylonian Empire and it's successors, In ENET.
53. Lio Oppenheim, "Siege Documents from Nippor", Iraq, (1955), Vol. 17.
54. Mathew Waters, A survey of Neo Elamite History, (Helsinki: 2000).
55. R. H. Pfeiffer, State letters of Assyria, (Michigan press: 1930), No, 277.
56. raqk (1974), Vol., p. 252. Mank "Murder in Mesopotamia" I D. J, Wise
57. Rezazadeh Shafarudi. M., Elam i. Geography, Encyclopedia Iranica, Vol. XII, Fasc.6. (August 23, 2016).
58. Robert Rogers William, A History of Babylonian and Assyria.
59. S. H. Hook, Babylonian and Assyrian Religion, (Oxford: 1962).
60. Salonen, E. Untersuchungen zur Schrift Sprache des Altbabylonischen von Susa mit Berücksichtigung der Mâlamir - Texte, Stor 27,)Helsinki: 1962).

61. Sindney Smith, "Campaigns in Mannai and Media", CAH. (Cambridge: 1980), vol. 3.
62. Sykes, History of Persia, Vol. 1. (London, 1969).



أحوال اليهود في بلاد فارس دراسة تاريخية من (224 - 651م)

م. د خديجة حسن علي القصير⁽¹⁾

الملخص

وُجد اليهود في بلاد فارس في حقبة مختلفة من التاريخ، وذلك بحسب ما أشارت إليه بعض المصادر اليهودية من أن بعض اليهود هاجروا إلى بلاد فارس بعد الدمار الذي لحق بالهيكل الثاني في القدس عام 70 م، كما يُعتقد أنه قد تكون هناك مجموعات يهودية أخرى قد هاجرت إلى بلاد فارس على مر العصور بسبب أحداث تاريخية ودينية مختلفة.

تختلف المصادر التاريخية في بيان وضع اليهود في بلاد فارس وتفاعلهم مع المجتمع الفارسي، وهذا يعود إلى التنوع الحاصل في الحكومات السياسية التي مرت على هضبة فارس خلال الحقبة التاريخية المختلفة، فكانت أوضاع اليهود تتنوع بحسب التغيير الحاصل في تلك الحكومات، وما يترتب عليه من تحولات متنوعة في المنظومة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية.

(1) جامعة الكوفة/ كلية الآداب.

ونظراً للمدة الطويلة التي قضاها اليهود في بلاد فارس ارتأت الباحثة اختيار المدة من 224 إلى 651م التي تمثل حقبة حكم الدولة الساسانية، وما شهدته فارس من تغيرات سياسية وثقافية كبيرة، وتأثير تلك التغيرات على الأقلية اليهودية بشكل ملحوظ.

تميزت هذه الحقبة باندماج اليهود في المجتمع الفارسي، والمشاركة في الحياة الاقتصادية والثقافية؛ إذ تمتع اليهود بدرجة من الحرية الدينية والثقافية، وكانوا يحتفظون بمؤسساتهم الدينية والثقافية، مثل المعابد والمدارس اليهودية.

وسنحاول في هذا البحث بيان وضع اليهود في بلاد فارس، الذي كان يتأثر بالتغيرات السياسية والاجتماعية المستمرة في تلك الحقبة.

الكلمات المفتاحية: الدولة الساسانية - اليهود - سابور الثاني - الاضطهاد.

Conditions of the Jews in Persia: a historical study from (224 - 651 AD)

Abstract

Jews were present in Persia for different periods of history, according to some Jewish sources, that some Jews migrated to Persia after the destruction of the Second Temple in Jerusalem in 70 AD. It is also believed that other Jewish groups may have migrated to Persia over the ages due to various historical and religious events.

Historical sources differ in explaining the situation of the Jews in Persia and their interaction with the Persian society, and this is due to the diversity of political governments that passed on the Persian plateau during the different historical eras, so the conditions of the Jews varied according to the change in those

governments and the consequent various transformations in the political, social, and economic system.

In view of the long period of presence of the Jews in Persia, the researcher chose the period from 224 to 651 AD, which represents the era of the rule of the Sassanid state and the great political and cultural changes that Persia witnessed and the impact of these changes on the Jewish minority significantly.

This era was marked by the integration of Jews into Persian society and participation in economic and cultural life. Jews enjoyed a degree of religious and cultural freedom and maintained their religious and cultural institutions, such as synagogues and Jewish schools.

In this paper, we will try to illustrate the situation of the Jews in Persia, which was affected by the continuous political and social changes in that period.

Keywords/ Sassanid state - Jews - Sabor II - persecution.

المقدمة:

تُعَدُّ دراسة أحوال اليهود في بلاد فارس خلال المرحلة الممتدة من 224 إلى 651م موضوعاً ذا أهمية تاريخية وثقافية كبيرة، فقد شهدت هذه المرحلة تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية عميقة، أثرت بشكل مباشر على المجتمعات اليهودية في المنطقة. يُعَدُّ فهم هذه الأحوال ضرورياً لتسليط الضوء على التحديات التي واجهها اليهود، وكذلك لإظهار كيفية تأثير الظروف الخارجية على تطور هويتهم وثقافتهم، لا سيما أن اليهود قد تعايشوا في المجتمع الفارسي القديم الذي تعود جذور تواجدهم فيه إلى زمن ما قبل المسيح، ووُثِّق هذا الوجود في المنطقة في العديد من المصادر التاريخية لا سيما الفارسية منها.

استمر وجود اليهود في الحقبة الساسانية، لما يقرب من 400 سنة (224 - 651 م)، تعايشت الجالية اليهودية بشكل عام في بلاد فارس بجوار السكان الفارسيين الأصليين والمجتمعات الدينية الأخرى. وقد عاش اليهود في مناطق مختلفة من فارس، بما في ذلك العاصمة الساسانية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أن اليهود في فارس تمتعوا خلال هذه المرحلة بحرية دينية نسبية وحقوق محددة، ولكنهم كانوا أيضًا يتعرضون للتمييز والقيود في بعض الأحيان، ففي بعض المراحل، فرضت السلطات الساسانية ضرائب خاصة على اليهود، وفصلتهم عن المجتمع الفارسي الأوسع. وعلى الرغم من ذلك، فإنهم استمروا في ممارسة طقوسهم الدينية والحفاظ على هويتهم الثقافية.

مشكلة الدراسة:

تمثل المشكلة الأساسية في نقص الدراسات المتعمقة التي تتناول حياة اليهود في بلاد فارس خلال هذه الحقبة الزمنية. فمعظم الأبحاث تركزت على الحقب السابقة أو اللاحقة، مما يترك فجوة في الفهم الشامل لتجارهم وتفاعلاتهم مع المجتمعات المحيطة.

فرضية الدراسة:

تفترض هذه الدراسة أن أحوال اليهود في بلاد فارس كانت متأثرة بشكل كبير بالتحويلات السياسية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة، وأن هذه التأثيرات أسهمت في تشكيل هويتهم الثقافية والدينية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- تحليل الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عاشها اليهود في بلاد فارس خلال المدة المحددة.

- دراسة العلاقات بين اليهود والمجتمعات الأخرى، بما في ذلك الفرس والمسلمين، وكيف أثرت هذه العلاقات على حياتهم اليومية.

- تسليط الضوء على التغيرات الثقافية والدينية التي طرأت على اليهود في هذه الحقبة.

قسم البحث بحسب مادته العلمية وما ترغب الباحثة في بيانه إلى مقدمة وخاتمة ومبحثين وقائمة بأبرز المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في إثراء مادته العلمية، وهي وكما يأتي: -

المبحث الأول: الحقبة الساسانية (224 - 651 م) وأهميتها في تاريخ بلاد فارس.

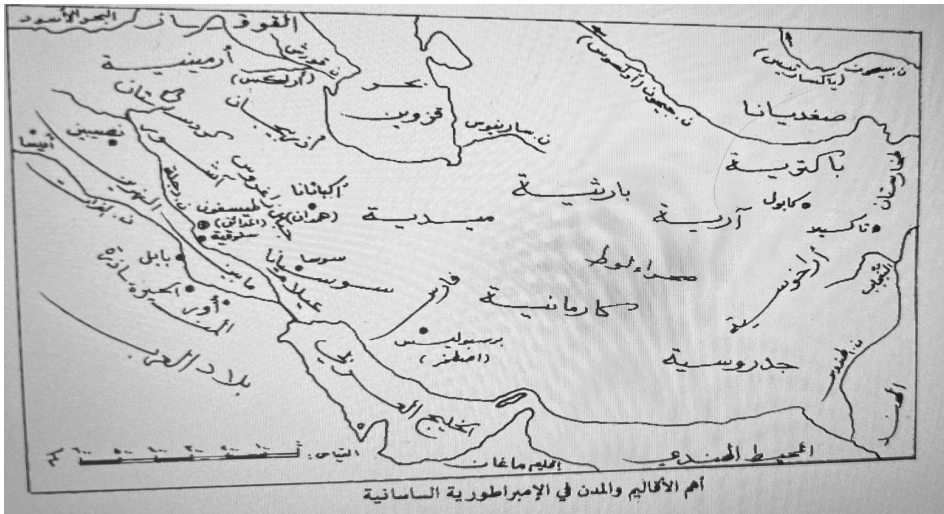
المبحث الثاني: وصف لأوضاع اليهود في الحقبة الساسانية من حيث:

- وصف الحكم الساساني في بلاد فارس ونظامه السياسي والديني
 - التسامح الديني والثقافي تجاه اليهود وحرية ممارستهم لديانتهم
 - دور اليهود في المجتمع الفارسي ومشاركتهم في الحياة الاقتصادية والثقافية.
- الخاتمة:** وتمثلت بـ:

- إعادة تلخيص النقاط الرئيسة المتناولة في الخطة
- التأكيد على تأثير العوامل السياسية والاجتماعية على وضع اليهود في بلاد فارس خلال هذه المرحلة.
- دعوة لمزيد من الدراسة والبحث حول هذا الموضوع لفهم أعمق للتاريخ اليهودي في المنطقة.

المبحث الأول: الحقبة الساسانية (224 - 651 م) وأهميتها في تاريخ بلاد فارس:

تقع بلاد فارس، المعروفة اليوم بإيران، في منطقة استراتيجية تربط بين قارات آسيا وأوروبا وأفريقيا. كانت تمتد الإمبراطورية الساسانية عبر مساحة شاسعة تشمل أجزاء من العراق، وأرمينيا، وأفغانستان، وأجزاء من تركيا وباكستان. في أقصى اتساع لها، غطت الإمبراطورية حوالي 6,600,000 كيلومتر مربع، مما جعلها واحدة من أكبر الإمبراطوريات في التاريخ القديم وكما في الخريطة (1)⁽¹⁾.



(خريطة 1) تبين اتساع رقعة الإمبراطورية الساسانية⁽²⁾

استمرت الإمبراطورية الساسانية في حكمها السياسي أكثر من أربعة قرون، حكم خلالها أكثر من 32 ملكاً أسهموا في جعلها إمبراطورية مترامية الأطراف،

(1) Saggs, H. W. F. History of Babylon. British Museum Press, 1988, pp. 45 – 78

(2) العابد، مفيد رائف محمود، معالم تاريخ الدولة الساسانية عصر الأكاسرة (226 – 651)، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1999، ص 159.

حققت الكثير من الجوانب السياسية والحضارية في المجالات المتنوعة. أسست الإمبراطورية الساسانية على يد أردشير الأول (226 - 241م) بعد هزيمته لآخر ملوك الأخمينيين أرتابانوس الرابع، واستمر حكمه 14 عامًا حكم خلالها معظم ما يعرف اليوم بإيران، والعراق، وأرمينيا، وأفغانستان، ومناطق شرق تركيا، وأجزاء من سوريا، وباكستان، والقوقاز، وآسيا الوسطى، وشبه جزيرة العرب، بل مثلت هذه الحقبة عودة للهوية الفارسية بعد قرون من السيطرة الأجنبية، وأدت إلى تعزيز الثقافة الفارسية والسيادة الوطنية⁽¹⁾، بل وأصبحت السيادة الآرية⁽²⁾ تمتد على مختلف الأراضي التي عرفت باسم آخر هو إيرانشهر⁽³⁾.

جاءت تسمية الإمبراطورية الساسانية بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الأعلى ساسان، وهو أحد أسلاف العائلة الساسانية ذي المكانة العالية؛ إذ كان الكاهن الأعلى في معبد الإله لبيت النار في مدينة أصفخر، إذ تزوج ساسان من ابنة إحدى الأسر الحاكمة في الإقليم، وولدت بابنه بابك، وبابك ولد أردشير مؤسس الإمبراطورية. ونلاحظ هنا أن الساسانيين استفادوا كثيرًا من المكانة الدينية التي شغلوها وأسهمت كثيرًا في توطيد أركان إمبراطوريتهم⁽⁴⁾.

اصطبغ تأسيس الإمبراطورية الساسانية بالعديد من الأساطير التي دعمها المركز

-
- (1) بر شريعتي، بروانة، اضمحلال الإمبراطورية الساسانية وسقوطها. ترجمة: أنيس عبد الخالق محمود. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. بيروت، 2020، ص 119.
- (2) مجموعة من الشعوب التي قطنت شرق البحر الأبيض المتوسط، تنتسب إلى عائلة الشعوب الألبية التي غزت شمال الهند، لغتهم جزء من اللغات الهندو - أوروبية (المجموعة الهندو إيرانية) (عبودي، معدم الحضارات السامية، مادة أريون).
- (3) مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام. دار الزهراء للإعلام العربي، بيروت، 2006، ص 49.
- (4) رستم، أسد، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب. مؤسسة هنداي. بيروت، 2018، ص 39.

الديني الذي حظيت به هذه الأسرة، إذ كانوا كما أسلفت كهنة بيوت النار.

بدأ أردشير الأول (224 - 241) بمجرد تأسيسه للإمبراطورية الساسانية يحاول فرض سيطرته على الأقاليم المجاورة والقضاء على حركات التمرد ضد سلطته، وقد انتقل بعد وفاة أخيه ومنافسه على الحكم شابور الأكبر 222م إلى جنوب فارس، وأنشأ مدينة أردشير هوار، وأصبحت هي مركز حكمه ونقطة انطلاقه لتصفية خصومه؛ فبعد أن وضع قاعدة له في بلاد فارس توسعت إمبراطوريته على حساب الأمراء المحليين الذين رفضوا أداء قسم الولاء له، فبدأ بالقضاء عليهم وتقوية إمبراطوريته.

وقد نجح في القضاء على الانقلابات العسكرية التي قامت ضده، والتي قادها الملك الفرثي أردوان الخامس في عام 224م، والتي انتهت بمقتل أردوان الخامس في معركة هرمزدجان وتتويج أردشير الحاكم الوحيد بلا منازع لبلاد فارس 226 متخذاً لقب ملك الملوك (شاهنشاه) لقباً مطلقاً؛ نتيجة لانتصاراته التي حققها على أردوان وتحوله من مجرد ملك إلى ملك الملوك⁽¹⁾.

وبما أن أردشير ينتمي إلى أسرة كهنوتية؛ فإنه أراد أن يضيفي على حكمه الصفة الدينية، ولكي يكون تتويجه شرعياً؛ فقد أتم مراسيم التتويج في بيت النار في مدينة اصطخر التي كان جده ساسان كاهناً فيها، وليكمل الصفة الشرعية لتوليته؛ تزوج من إحدى بنات⁽²⁾ الأسرة الفرثية⁽³⁾.

(1) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص 391.

(2) كريستنسن، أرثر. إيران في عهد الساسانيين. ترجمة: يحيى الخشاب. مراجعة: عبد الوهاب عزام. دار النهضة العربية. بيروت، 1982، ص 75 - 76.

(3) وهي نفسها الأسرة الساسانية الوارد تفاصيلها، وسوف يتوارد استخدام المصطلحين في البحث كونهما يدلان على المعنى نفسه (L. Daniel, Elton, The History of Iran, Greenwood Press, 2001, p: 21).

استمر حكم أردشير طويلاً يقدر بخمسين سنة، تمكّن خلالها من القضاء على خصومه وتوحيد أركان إمبراطوريته من خلال بناء جيش قوي وجعله أداة لتنفيذ سياسته، والمتعارف عليه أن أردشير قد أشرك ابنه شابور الأول معه في الحكم، ثم تقاعد عن عمله السياسي وسلم عرش الإمبراطورية الفارسية إليه حتى توفي 241م⁽¹⁾.

سار شابور الأول (241 - 272م) على سياسة والده في توسيع حدود الإمبراطورية الساسانية إذ تمكّن من غزو باكتريا وكاشان وضمهما إلى نفوذه، بل أخذ يتقدم باتجاه الأراضي الرومانية؛ إذ قاد العديد من الحملات ضدها، وتمكن في عام 253م من غزو أنطاكية في سوريا ونهبها.

تمكّن من مواجهة القوات الرومانية وهزم أباطرتها جورديان الثالث وفيليب العربي، وأسر الإمبراطور الروماني فاليريان (253 - 260م) وسجنه بعد معركة الرها 259م في أحد السجون الفارسية وخلد انتصاراته في نقش رستم⁽²⁾.

ولسنا في صدد تناول كل الملوك الساسانيين الذين وضعوا أسس توطيد الإمبراطورية خلال تاريخها الطويل، وإنما نكتفي بإيراد البعض من الملوك لاسيما الذين سوف نتناول تأثيرات السياسة التي اتبعوها على اليهود في المبحث الثاني، ولكن وقبل ذلك ارتأيت أن أعمل إحصائية مجدولة بأسماء الملوك الذين حكموا الإمبراطورية الساسانية منذ تأسيسها حتى سقوطها، مع تواريخ حكم كل منهم كما يأتي:

(1) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الكتب العلمية، بغداد، 1987، ص 117.

(2) الموقع الرسمي للموسوعة، <https://iranicaonline.org/articles/hormozd-kusansah> Encyclopædia Iranica

م	اسم الملك	مدة الحكم
1	أردشير الأول	224 - 241 م
2	شاپور الأول	240 - 270 م
3	هرمز الأول	270 - 271 م
4	بهرام الأول	271 - 274 م
5	بهرام الثاني	274 - 293 م
6	بهرام الثالث	293 م
7	نرسي	293 - 302 م
8	هرمز الثاني	302 - 309 م
9	أذرنرسي	309 م
10	شاپور الثاني	309 - 379 م
11	أردشير الثاني	379 - 383 م
12	شاپور الثالث	383 - 388 م
13	بهرام الرابع	388 - 399 م
14	يزدجرد الأول	399 - 420 م
15	شاپور الرابع	420 م
16	كسرى	420 م
17	بهرام الخامس	420 - 438 م
18	يزدجرد الثاني	438 - 457 م
19	هرمز الثالث	457 - 459 م
20	بيروز الأول	457 - 484 م
21	بلاش	484 - 488 م
22	قباد الأول	488 - 496 م

23	جاماسب	496 - 498 م
24	قباد الثاني	498 - 531 م
25	كسرى الأول	531 - 579 م
26	هرمز الرابع	579 - 590 م
27	كسرى الثاني	590 - 628 م
28	بهرام جوبين	590 - 591 م
29	كسرى الثالث	629 م
30	بوراندخت	629 - 630 م
31	سابور الخامس	630 م
32	بيروز الثاني	630 م
33	آزرمي دخت	630 - 631 م
34	فرخ هرمز	630 - 631 م
35	هرمز السادس	630 - 631 م
36	كسرى الرابع	631 م
37	فرخ باز كسرى الخامس	631 - 631 م
38	بوراندخت	631 - 632 م
39	يزدجرد الثالث	632 - 651 م

الجدول من عمل الباحثة بالاعتماد على (قائمة شاهنشاهات الإمبراطورية الساسانية)⁽¹⁾.

(1) قائمة شاهنشاهات الإمبراطورية الفارسية، موجودة أون لاين عبر متصفح الكوكل على الموقع: <https://ar.wikipedia.org/wiki>؛ عبودي، هنري. س، معجم الحضارات السامية، طرابلس، 1991، مادة الإمبراطورية الساسانية.

بدأت الإمبراطورية الساسانية مرحلة جديدة يسودها التسامح الديني ونوع من الهدوء والوفاق الداخلي في عهد يزدجرد الأول بن بهرام شابور (399 - 421م)، ويتضح ذلك في إحسانه إلى رعاياه المسيحيين حتى لُقّب بالملك الطيب الرحوم المبارك بني الملوك، ويعود سبب هذا الإحسان إلى مرض قد أصاب هذا الملك ولم يتمكن أطباء البلاط الساساني من علاجه، وبعد أن أرسل الإمبراطور الساساني أسقف ميارفين ماروثا لعلاجه، وكانت نتيجة ذلك الأمر أن تعافى الملك وأصدر مرسومًا في 409م يقر بحرية الممارسات الدينية والسماح للمسيحيين بممارسة طقوسهم والتنقل بين كنائسهم بحرية، إلا أن هذا التسامح قد أدى إلى إثارة الشعور الديني الزرادشتي⁽¹⁾، ونتج عنه سوء معاملة المسيحيين وتجاوزهم على المعابد الزرادشتية وتخريبها في خوزستان، فمن ثمّ قام يزدجرد عام 420م بتغيير سياسته والبدء باضطهاد المسيحيين.⁽²⁾

تذكر أغلب الدراسات التاريخية⁽³⁾ أن عهد سابور ذي الأكتاف هو عهد الازدهار الفعلي للإمبراطورية الساسانية، وعلى الرغم من الإنجازات العسكرية والسياسية؛

(1) الزرادشتية: هي واحدة من أقدم الديانات التوحيدية في العالم، تأسست في بلاد فارس قبل حوالي 3500 سنة. مؤسسها هو النبي زرادشت، الذي قام بتبسيط مجمع الآلهة الفارسي القديم إلى مفهوم التوحيد، إذ يقُدس الزرادشتيون إلهاً واحداً يُدعى أهورامزدا، الذي يمثل الخير والحكمة. تعتمد العقائد الأساسية: (التوحيد، الثنائية، الكتب المقدسة، الطقوس)، اعتبرت الزرادشتية الدين الرسمي للإمبراطوريات الإيرانية القديمة، مثل الإمبراطورية الأخمينية والبارثية والساسانية، لكنها شهدت تراجعاً بعد الفتح الإسلامي لبلاد فارس في القرن السابع الميلادي. اليوم: "جمشيد، يوسف، الزرادشتية - الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة، منشورات الوسام العربي، الجزائر، 2012، ص 10 - 25 بتصرف).

(2) الطبري، المصدر نفسه، ج 1، ص 496.

(3) العابد، مفيد رائف محمود، معالم تاريخ الدولة الساسانية عصر الأكاسرة (226 - 651)، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1999، ص 41 - 45.

فإنه خلّف ملوك ضعفاء لم يستطيعوا أن يحافظوا على منجزات هذه الإمبراطورية حتى تولى كسرى أنوشروان الحكم (531 - 579م)، وقد اتصف عهده بعهد النهضة في جميع نواحي البلاد السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية⁽¹⁾.

مرت الإمبراطورية الساسانية في المدة (579 - 628م) بما يعرف عصر الثورات الداخلية، الذي كان بمنزلة عصر الانهيار والسقوط لهذه الدولة المترامية الأطراف؛ إذ تمخض عن ثورات مجموعة من القادة والنبلاء ضد الملوك الساسانيين، وحلول الفوضى السياسية نتيجة لكثرة أدياء العرش والنهضة العربية المتمثلة بانتشار الإسلام، وبدء عمليات الفتح الإسلامي التي كانت سبباً في سقوط هذه الإمبراطورية⁽²⁾.

المبحث الثاني: وصف أوضاع اليهود في الحقبة الساسانية:

كما أشرت في المبحث الأول أن الإمبراطورية الساسانية حكمت مدة طويلة تزيد على الأربعة قرون، تواتر على الحكم خلالها مجموعة من الملوك، وبما أن كل ملك له شخصية تختلف عن الآخر فيما يتعلق بالسياسة التي تبناها في مدة حكمه؛ فالبعض اتصف بالحزم السياسي، والبعض باللين وإحلال التسامح الديني، والبعض امتاز بتقريب فئة على الفئة الأخرى، لذلك سوف نلاحظ هذه التبعات كلها على اليهود ووضعهم في الإمبراطورية الساسانية وبدايات تواجدهم فيها.

تعود بدايات العلاقات الإيجابية بين الفرس واليهود إلى ما قبل الإمبراطورية الساسانية، حيث تصف المصادر التاريخية أن اليهود في بابل الذين جاء بهم نبوخذ نصر الثاني نتيجة لعمليات السبي المتكررة إلى يهوذا؛ كانوا على تواصل مباشر مع

(1) الخشاب، يحيى، إسلام الفرس، بحث ضمن كتاب تراث فارس، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1959، ص 16.

(2) كريستنسن، تاريخ إيران، ص 101.

الدولة الأخمينية في فارس، بل إنهم أصحاب الدور الرئيس في سقوط الإمبراطورية البابلية الحديثة زمن نبونيد⁽¹⁾ (539 - 556) ق.م بيد الفرس الأخمينيين لاعتبارات متعددة في مقدمتها التعاون الاقتصادي مع الفرس في فرض الحصار الاقتصادي على تجارة الإمبراطورية البابلية ومن ثم سقوطها عام 539م، فتعد هذه الانطلاقة الحقيقية للتعاون المشترك بين الفرس واليهود، إلا أن آلية هذا التعاون قد اختلفت بين الفرس واليهود بحسب طبيعة الإمبراطوريات الحاكمة، بدليل أن اليهود بمجرد انتقال الحكم إلى الساسانيين عدّوه زوالاً للامتيازات الهائلة التي تمتعوا بها في عهد الحكومات السابقة لاسيما الإشكانيين؛ لأن مؤسس الأسرة الساسانية أردشير يتصف بانتمائه الديني إلى المعبد الزرادشتي كون جده هو أحد كهنة بيوت النار الزرادشتية في اصطخر، لذلك سلاحظ تبدل في التعامل مع الفرس⁽²⁾.

ولكي نحدد أوضاع اليهود في فارس في ظل الإمبراطورية الساسانية نقول إن العلاقة بين الاثنين تأثرت بعدة أحداث سياسية ودينية كانت عاملاً في تحولات كبيرة في تاريخ اليهود فيما بعد، ومن هذه الأحداث التي أثرت في هذه العلاقة:

الاضطهاد الديني: في بعض المراحل التاريخية من حكمهم خاض الساسانيون حملات اضطهاد ضد الديانات غير الزرادشتية، بما في ذلك اليهودية، وقد تعرض اليهود في مراحل محددة للقيود والاضطهاد الديني، بما في ذلك تدمير معابدهم

(1) نبونيد (Nabû - nālid) هو آخر ملوك الإمبراطورية البابلية الحديثة، وقد حكم من 556 ق.م حتى 539 ق.م، عندما سقطت بابل في يد الإمبراطورية الأخمينية بقيادة كورش الكبير. يُعد نبونيد شخصية فريدة في التاريخ البابلي، حيث كان له اهتمامات عميقة بالآثار والدين، ويُعرف بأنه أول عالم آثار في التاريخ، حيث قام بأعمال تنقيب في المواقع القديمة وجمع الوثائق الأثرية (H. W. F. Saggs, History of Babylon, British Museum Press, 1988, p: 135).

(2) نتصر، أمون، يهود إيران. منشورات أنديشه. أورشليم، 2014، ص 11.

والتحجيم على ممارسة طقوسهم. ومع ذلك، كانت هناك أيضًا أوقات استمتع اليهود بحقوق دينية نسبية. ففي مدة حكم أردشير الأول عانى اليهود من القسوة والقمع لتبنيه سياسة قمعية مع الأقليات المقيمة في إيران؛ إذ فرض المذهب الزرادشتي ديناً رسمياً لإيران بوصفه - كما أوردت سلفاً - له علاقة ببيوت النار في اصطخر، وهذا الأمر قد تسبب في التضيق على الأقليات بما فيها اليهود؛ إذ أصبحت الدولة تتدخل حتى في أداء الطقوس الدينية، وفرض الرقابة على الشؤون الإدارية والسياسية والاقتصادية، والتضييق على الفئات المخالفة للمذهب الزرادشتي⁽¹⁾.

بل تعدى الأمر الجانب الديني إلى مخلفات اجتماعية لحقت باليهود؛ إذ ألغت الدولة الامتيازات التي تمتعوا بها في ظل الحكومات السابقة ومنها: حق التقاضي أمام المحاكم اليهودية وفق الشريعة اليهودية بل أُخضعوا إلى محاكم الدولة الرسمية وفق القوانين الزرادشتية، ومنع اليهود من دفن موتاهم وفق تقاليدهم، وأُعيد البعض من العلماء اليهود، وتعرض البعض الآخر إلى التهجير القسري⁽²⁾.

لكن هذه السياسة تغيرت في عهد الملك يزدجرد الأول بن بهرام وذلك لزواج هذا الملك من شوشندخت ابنة "رأس الجالوت"⁽³⁾ لليهود في إيران الذي كانت تربطه علاقة ودية مع هذا الملك، ونتج عنها هذا الزواج الذي كان بمنزلة إعادة إحياء لليهود في إيران إذ عُدَّ عصرًا ذهبيًا لهم؛ لأنه كان يحب السلام والتسامح

(1) راوندي، مرتضى، تاريخ اجتماعي إيران، ج 1، بلا. مط، إيران، بلا. ت، ص 607.

(2) Idem, 1966, vol.2, P.38, P.914.

(3) ملك اليهود في إيران وبابل وهو منصب ظهر في عهد الدولة الإشكانية عندما منحت اليهود شبه استقلال سياسي كنوع من المكافأة لهم على إثر التعاون العسكري ضد الرومان، وكان يشترط في اختياره أن يكون سليلًا للملك داود (عبد الملك وآخرون، بلا. ت، مادة رأس الجالوت).

بالإضافة إلى الحنكة السياسية التي تمتع بها⁽¹⁾.

وقد تطورت الأحوال الاجتماعية للجالية اليهودية المقيمة في فارس وبالأخص في مدينة أصفهان التي اتخذت مدينة خاصة لهم بعد زواج شوشندخت من الملك الساساني؛ إذ بفضلها شهدت حياة اليهود الثقافية والفكرية والدينية نهضة لا بأس بها؛ إذ اكتمل جمع التلمود البابلي، وظهرت الجامعات والمراكز الدينية اليهودية في بابل وازدهرت، بل نُقل المركز الديني من أورشليم إلى بابل ليكون تحت إشراف الإمبراطور الساساني ودعمه المباشر⁽²⁾.

واللافت للنظر لاسيما في عهد كسرى أنوشروان (531 - 579م) أن اليهود كانوا يتمتعون بوجاهة اجتماعية في بلاطه، بل إن بعضهم امتعن مهنة السحر والتنجيم والطب، وهذا يدل على أهميتهم في البلاط الفارسي، والمكانة المرموقة التي تمتعوا بها في كونهم صُنَّاع القرار، بل وأسهموا في تشجيع الفرس في سياستهم ضد الدولة البيزنطية، وكانوا من المسهمين في تأجيج العداء بين الإمبراطوريتين لتحقيق أهدافهم الخاصة⁽³⁾.

الحروب والصراعات: خلال مدة الدولة الساسانية، تعرّضت بلاد فارس للعديد من الحروب والصراعات مع الدول والإمبراطوريات المجاورة، بما في ذلك الإمبراطورية الرومانية البيزنطية. وكان اليهود في فارس يعيشون في هذا السياق المضطرب، وقد تأثروا بتلك الصراعات والتغيرات السياسية؛ فمثلاً ضُيق عليهم اقتصادياً من خلال فرض الضرائب المضاعفة وبالأخص في أوقات الحروب الساسانية مع الرومان، ويعزو الباحثون هذا الأمر إلى الثراء الذي يتمتع به اليهود،

(1) كريم، تاريخ إيران. بلا. مط. طهران، 1389ش، ص 370.

(2) www.iranjewish.com.

(3) كرسنسن، 1982، ص 366.

أو للعلاقات التي كانت تربطهم مع الرومان، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل فرضت الدولة الساسانية عقوبات على اليهود الذين لا يدفعون تلك الضرائب، تمثلت بالسجن، بل وإرغامهم على دفع الجزية شأنهم شأن بقية الأقليات الدينية⁽¹⁾. وعلى الرغم من هذه الإجراءات فقد تمتع اليهود بالسلام النسبي في عهد شابور الأول والثاني، ومُنِحوا بعض الامتيازات مثل عودة محاكمهم ولكن بإشراف المحاكم الرسمية التابعة للدولة الساسانية، وفتحت الجامعات والمدارس الدينية والعلمية اليهودية، وسمح لهم بالقضاء وإدارة عدد من السجون، بل إن الدولة استعانت بهم في بعض المهام المالية كونهم ضليعين في ذلك⁽²⁾.

3. العلاقات الدينية: العلاقة بين الزرادشتية (الديانة الرسمية للدولة الساسانية) واليهود كانت معقدة نوعاً ما باعتبار أن الزرادشتيين كانوا ينظرون إلى اليهود كفار أو غير مؤمنين إلا أنهم لم يشكّلوا أي تهديد لرجال الدين الزرادشتيين، ولكن هذا لم يمنع من حدوث مضايقات في بعض الأحيان، وهذا الأمر اختلف بحسب اختلاف الحكام الساسانيين أنفسهم - كما أشرت - فنجد مثلاً في زمن شابور الثاني (310 - 381م) إذ حدث أن انقلب على اليهود واضطهدهم واتهم رئيس أكاديميتهم راين نعماني تلاميذه، وكان عددهم اثني عشر ألفاً بالتهرب من الضرائب بتسجيلهم للدراسة مرتين في العام الواحد⁽³⁾.

ثم تغيرت الأوضاع عند تسلم يزدجرد الثاني (439 - 457م) زمام الأمور؛ إذ شهدت أوضاع اليهود في بلاد فارس عدة تغييرات ملحوظة تأثرت بالعوامل

(1) Neusner, vol03, P. 37 - 38.

(2) نصرية، مهرانز، فرزندان استر، مجموعة مقالات تاريخ اليهود في إيران. طهران، 1387ش، ص 45 - 51 بتصرف.

(3) ميخائيل السرياني، حولية ميخائيل السرياني، ج1، ترجمة: غريغوريوس يوحنا. دار ماردين. حلب، 1996، ص 183.

السياسية والاجتماعية والدينية. فعلى الصعيد السياسي كانت بلاد فارس تتمتع بنوع من الاستقرار السياسي؛ كونه كان ملكاً قوياً، ولكنه لا ينفي وجود توترات مستمرة مع الإمبراطورية الرومانية، وهذا بدوره انعكس على بعض الفئات في المجتمع الفارسي، بما في ذلك اليهود الذين تحملوا تبعات هذه الصراعات⁽¹⁾، إلا أنهم تعايشوا داخل المجتمع الفارسي، وشهدت علاقاتهم أوقاتاً من التعايش السلمي مع الزرادشتيين، مما ساعد على تعزيز الهوية الثقافية والدينية لليهود ومشاركتهم في النشاطات التجارية والاقتصادية، مما منحهم بعض النفوذ في المجتمع، إلا أن النفوذ الواسع للزرادشتية بوصفها ديناً رسمياً للدولة أدّى إلى التشدد مع اليهود ومنعهم من الاحتفال بأعيادهم الرسمية لاسيما الاحتفال بيوم السبت بتأثير من رجال الدين الزرادشت⁽²⁾.

وفي عهد الإمبراطور الساساني فيروز (459 - 484م) وبسبب تكرار الاضطرابات الدينية بين الزرادشتيين واليهود قام فيروز بحركة اضطهاد واسعة ضدهم على إثر سلبهم لرجلين من رجال الدين الزرادشت في أصفهان، وقام بقتل عدد كبير من اليهود وسبى أبناءهم وسلمهم لمعابد المجوس⁽³⁾.

4. الانتقال إلى الإسلام: بعد ظهور الإسلام وانتشاره في بلاد فارس، تغيرت الديناميكية بشكل كبير. بعض اليهود اعتنقوا الإسلام، في حين استمر آخرون في ممارسة الديانة اليهودية. وقد أدى انتقال السلطة من الساسانيين إلى العرب

(1) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 1، تحقيق: محمد عبد الرحمن الشاغوري، دار الأندلس، بيروت، 1986، ص 150 - 153 بتصرف.

(2) رستم، أسد، الروم في سياستهم وحضاراتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ج 1، دار المكشوف، بيروت، 1956م، ص 75.

(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 1، دار صادر، بيروت، 1995، ص 159.

المسلمين إلى تغيرات جذرية في البنية الدينية والسياسية في المنطقة، مما أثر على العلاقة بين اليهود والحكومة الجديدة.

هذه بعض الأحداث السياسية والدينية التي أثرت على العلاقة بين الساسانيين واليهود في بلاد فارس خلال المدة الزمنية المشار إليها. يجب ملاحظة أن هذه بعض النماذج المنتقاة وليست جميعها فكما هو معروف عن الإمبراطورية الساسانية أنها تتصف بطول مدة حكمها التي تزيد على الأربعة قرون، وكثرة ملوكها.

الخاتمة:

تشغل دراسة تاريخ الجاليات في ظل الإمبراطوريات في العالم القديم وبالأخص اليهودية منها أهمية كبيرة كونها تشكل سلاحًا ذا حدين يمكن استثماره ويمكن إقصاؤه بالشكل الذي يؤدي إلى تبعات وخيمة على الدولة وسياساتها المتبعة.

تتصف العلاقات بين الاثنين بكونها قد تأثرت بعدة أحداث سياسية ودينية كانت عاملاً في تحولات كبيرة في تاريخ اليهود فيما بعد، ومن هذه الأحداث الجانب الديني المتمثل بنمو الديانة الزرادشتية بوصفها ديناً رسمياً للدولة الساسانية، وما رافق ذلك من تأثير على الأقليات الدينية ومن ضمنها اليهود، ناهيك عن الاضطهادات السياسية التي تحكم فيها طبيعة العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية والساسانية وتأثير هذه العلاقة على اليهود، فأحياناً تشهد تقريباً لهم وأحياناً إقصاء من نفوذهم الذي تمتعوا به.

وبشكل عام فهذا لا يمنع من القول: إن اليهود قد تمتعوا في ظل الدولة الساسانية بنوع من الهدوء والاستقرار النسبي في ظل بعض الأباطرة الذين حكموها لاسيما في عهد يزدجرد الأول وابنه.

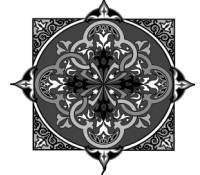
المصادر والمراجع:

1. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الكتب العلمية، بغداد، 1987.
2. بر شريعتي، بروانة، اضمحلال الإمبراطورية الساسانية وسقوطها. ترجمة: أنيس عبد الخالق محمود. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. بيروت، 2020.
3. الخشاب، يحيى، إسلام الفرس، بحث ضمن كتاب تراث فارس، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1959 م.
4. راوندي، مرتضى، تاريخ اجتماعي إيران، بلا. مط، إيران، بلا. ت.
5. رستم، أسد، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب. دار المكشوف. بيروت، 1956.
6. رستم، أسد، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب. مؤسسة هندواي. بيروت، 2018.
7. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987 م.
8. العابد، مفيد رائف محمود، معالم تاريخ الدولة الساسانية عصر الأكاسرة (226 - 651)، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1999 م.
9. عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس. بلا. مط، بلا. ت.
10. عبودي، هنري. س، معجم الحضارات السامية، طرابلس، 1991،
11. كريستنسن، أرثر. إيران في عهد الساسانيين. ترجمة: يحيى الخشاب. مراجعة: عبد الوهاب عزام. دار النهضة العربية. بيروت، 1982.
12. كشاورز، كريم، تاريخ إيران. بلا. مط. طهران، 1389 ش.
13. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تحقيق: محمد عبد الرحمن الشاغوري، دار الأندلس، بيروت، 1986.
14. مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام. دار الزهراء للإعلام العربي، بيروت، 2006.
15. ميخائيل السرياني، حولية ميخائيل السرياني. ترجمة: غريغوريوس يوحنا. دار ماردين. حلب، 1996.

16. نتصر، أمون، يهود إيران. منشورات أنديشه. أورشليم، 2014.
17. نصرية، مهنراز، فرزندان استر، مجموعة مقالات تاريخ اليهود في إيران. طهران، 1387ش.
18. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي. دار صادر. بيروت، 1995م.
19. يهوديان أصفهان، www.iranjewish.com

المراجع الأجنبية:

1. H. W. F. Saggs, History of Babylon, British Museum Press, 1988.
2. Idem , A History of the Jews in Babyloina , Lieden , 1966.
3. Neusner , J. Jacob, Jews in Iran " , Cambridge History Of Iran Cambridge University Press, 1993.
4. Saggs, H. W. F. History of Babylon. British Museum Press, 1988.
5. Encyclopædia Iranica <https://iranicaonline.org/articles/hormozd-kusansah>.



النظم والمعاملات الزراعية والمالية ببلاد المغرب الأدنى في عصر بني زيري من خلال كتب الفقه والنوازل (4 - 6هـ/ 10 - 12م)

د. ماجدة مولود رمضان الشرع⁽¹⁾

الملخص:

شهدت بلاد المغرب الأدنى خلال المدة الزمنية ما بين القرنين الرابع والسادس الهجري/ العاشر والثاني عشر للميلاد ظهور إمارة مغربية الأصل تمتد أصولها إلى قبيلة صنهاجة الحضرية من بني زيري (316 - 543 هـ / 972 - 1148 م)، التي تميزت بتأسيس كيان سياسي مهم كان له الفضل في أن يكون لهذا الكيان خصوصية اقتصادية في التعاملات اليومية لسكان المغرب الأدنى، حيث اعتمد الاقتصاد الزيري على جُملة من المعاملات المالية التي نظّمت هيكلية التعامل في النشاطين الزراعي والتجاري ومنها نظام الشراكة، والمساقاة، والمزارعة، والإجارة (الكراء) في الجانب الزراعي، والقراض، والسمسرة، والإجارة (الكراء) في الجانب التجاري،

(1) أستاذ مشارك في التاريخ الإسلامي - قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طرابلس (ليبيا).

فضلاً عن النقود والموازين والمكاييل التي اعتمدها في عمليات البيع والشراء.

Summary

During the time period between the fourth and sixth centuries AH/ tenth and twelfth centuries AD, the lower Maghreb witnessed the emergence of an emirate of Moroccan origin whose origins extend to the urban Sanhaja tribe of the Beni Ziri (316 - 543 AH/ 972 - 1148 AD), which was distinguished by the establishment of an important political entity to which it was credited. In order for this entity to be an economic privacy in the daily dealings of the inhabitants of lower Morocco, where the Ziri economy was adopted On a set of financial transactions that organized the structure of dealing in agricultural and commercial activities, including the system of partnership, musaqat, sharecropping, and leasing (rent) on the agricultural side, and loans, brokerage, and leasing (rent) on the commercial side, in addition to the money, weights, and measures that they adopted in their operations. Buying and selling.

توطئة:

تميزت بلاد المغرب الأدنى خلال القرنين الرابع والسادس الهجريين/ العاشر والثاني عشر الميلاديين زمن الإمارة الزيرية بنشاط اقتصادي واسع شمل أعمده الثلاثه، الزراعة، التجارة، الصناعة، وسبب هذا النشاط راجع إلى الخطط الاقتصادية المنظمة التي اتبعها الزيريون في إدارة مشاريعهم، والفتاوى الفقهية التي نظمت العملية الاقتصادية سواء في الزراعة أو في التجارة أو في الصناعة.

كانت النظم والمعاملات المالية الزراعية من الأنشطة الاقتصادية المهمة التي تميز بها سكان المنطقة، وفي هذا البحث سيكون الحديث عن خمسة محاور وهي:

1. المعاملات الزراعية.
2. المعاملات التجارية.
3. النقود.
4. الموازين والمكاييل.
5. الضرائب والجبايات.

1 - المعاملات الزراعية:

تطلب النشاط الزراعي في المغرب الأدنى - كما ستحدث عنه لاحقاً - جملة من المعاملات الزراعية كالشراكة والمزارعة، والمساقاة، والإجارة، لتنظيم العملية الإنتاجية بين ملاك الأراضي الزراعية والقائمين على زراعتها وهم العمال، فالمذهب المالكي نظم هذه العملية، فقال في الشراكة، إنه لا يجوز لأحد الشريكين أن يتصرف بغير إذن صاحبه، فإن فعل ذلك فيعدّ في هذه الحالة بمنزلة الغاصب، فإذا زرع أحد الشركاء بأرض مملوكة لهم أو بنى فيها، فإن زرعهُ يُتلف وبناءه يُهدم، وهناك رأي آخر في ذلك بأن الزرع والبناء يتركان، وعليه دفع كراء لشريكه وله قيمة بنائه الذي بناه، لشبهة الشراكة⁽¹⁾.

أما المزارعة وتسمى أيضاً المغارسة، فهي الشركة في الزرع أو الشركة في الحرث⁽²⁾، وتلزم بالعقد، وتصبح باطلة إذا كانت الأرض من طرف أحد الشريكين،

(1) الجزيري، عبد الرحمن، الفقه على المذاهب الأربعة، ج3، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1969م، ص 69.

(2) الملطأوي، حسن كامل، فقه المعاملات على مذهب الإمام مالك، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1982م، ص 114.

والمتمثلين في المالك، والشريك الذي منه العمل والآلات⁽¹⁾.

والمساقاة هي أن يدفع الرجل كرمه أو بستان نخله إلى شخص يتولى مهمة سقايتها وإصلاح حالها مقابل سهم معلوم من غلتها، وهي شبيهة بعقد معلوم ما بين اثنين، وعلى الرغم من اتفاق اللغويين والفقهاء على هذا العقد المسمى بعقد خدمة الشجر أو المساقاة، فإنه يتعدى هذه الخدمة إلى أخرى وهي تنقية الشجر من الأعشاب والقيام بعملية التقليم⁽²⁾.

وقول مالك بن أنس في المساقاة: "وهي في كل أصل نخل أو كروم أو زيتون أو تين أو رمان أو فرسك أو أشبه من الأصول جائز، وهي أيضًا في الزرع إذا خرج واستقل فعجز صاحبه عن سقيه وعمله وعلاجه، فالمساقاة في ذلك جائزة"⁽³⁾.

أما الإجارة وهي استئجار الأرض من قبل شخص يقوم بحرثها وزراعتها وسقيها، مقابل أجر معلوم سواء كان ذلك الأجر ذهب أو فضة أو غلة زراعية⁽⁴⁾، وهي كذلك العقد الذي ينص على منفعة الآدمي⁽⁵⁾.

ومن الفتاوى الفقهية التي تناولت تلك المعاملات الزراعية من خلال تجربة بعض الفقهاء الذين عاصروا الإمارة الزيرية، ما ذكره الدَّبَّاع أن أبا خلدون البلوى كان على شراكة في زراعة أرضه مع أحد فتيان قريته، فقدم الأول ثورين وبذور إلى

(1) الجزيري، الفقه، ج3، ص4.

(2) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، اختلاف الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) ص153، الملطاي، فقه المعاملات، ص111.

(3) الطبري، المصدر السابق، ص153.

(4) المصدر نفسه، ص141.

(5) الجزيري، الفقه، ج3، ص97.

الثاني⁽¹⁾، ولم يذكر المصدر أن البلوي قد أخذ شيئاً من هذه الشراكة، لزهده.

وسئل القابسي (ت 403 هـ / 1012 م) عن رجلين اشتركا في زراعة أرض، فتولى أحدهما إحضار الدواب والبذور على أن يكون له أربعة أخماس الزرع، والآخر يقوم بزراعة الأرض (اليد العاملة) وله خمس الزرع، فهل هذه الشراكة صحيحة أم لا؟ فأجاب القابسي، لكل ما شرط من الزرع سواء كان جيداً أولاً⁽²⁾، كما سئل السيوري (ت: 462 هـ / 1069 م) عمّن حرث أرضاً ببقرة، ثم اشترك مع آخر على أن يزرع هذه الأرض، فلما جاء وقت الحصاد، أراد الأول الذي حرث الأرض أن يستحوذ على الزرع؛ باعتباره البادئ في حراثة الأرض، فأجاب السيوري: زرع القليب (الحرث) بينهما كغيره، ويرجع صاحب القليب على شريكة نصف أجرته، بعد يمينه أنه وما وهبه إياه⁽³⁾.

وإن الشراكة بين الناس هو أن يخرج العامل البذور أو نصفه⁽⁴⁾، وبذلك يكون كل من القابسي والسيوري قد أجازا الشراكة في الزرع، بأن يقدم الطرف الأول الأرض، والثاني البذور وجهده في زراعتها، لكن بالرجوع إلى الفقه المالكي يتبين العكس، فيشار في الشراكة بأنها شراكة في الزرع بموجب عقد، وهي لا تجوز إلا إذا تساوى الطرفان في أدوات الإنتاج، وهي إذا كان لأحدهما الأرض فيجب عليه تقييمها بالنقود أو عروض التجارة قبل البدء بالعمل الزراعي، فإذا عملت أجرة

(1) الذباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج3، تح، محمد الأحمد أبو النور، محمد ماضور، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت). ص153.

(2) المنشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب، ج8، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص158.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص138.

(4) المنشريسي، المعيار المعرب ج8، ص138.

الأرض يقوم الطرف الثاني (العامل) بتقدير قيمة عمله، وكذلك الأدوات الزراعية، وبالتالي تجعل قيمة الأرض مقابل قيمة العمل والأدوات، ثم يكون البذر مناصفة بينهما، فإذا اشتركا على هذا المنوال كان الإنتاج بينهما كل على حسب ما قدمه، فإذا تساوت القيمتان كان الربح مناصفة، ولا يأخذ أحدهما أكثر من الآخر إلا إذا كانت قيمة ما قدمه أكبر⁽¹⁾.

أما بالنسبة إلى المساقاة، فقد سئل السيوري عمَّن له بستانين منها ما يعمل بالساقية (النواعير) ومنها ما يعمل بماء آخر، وله رجال يعملون فيها بإجارات مختلفة، فالذي يعمل في السانية له الخمس والآخر له العشر، فهل تجوز هذه الإجارة أم لا؟ وأجاب السيوي بعدم جوازها⁽²⁾، كما سئل أيضًا عمَّن له سواقي في ضياع ولها مياه مختلفة من مياه الآبار والمواجل (الماء الكبير والماء الصغير)، فالذي يعمل بالماء الصغير يأخذ خمس ما تخرجه الأرض، ومن يعمل بالماء الكبير يأخذ عشر ما تخرجه الأرض فهل هذه الإجارة فاسدة أم لا؟ فأجاب بعدم جوازها أيضًا⁽³⁾.

ويمكن السبب في عدم إجازة هذه المعاملة لاعتمادها على الأجر العيني لا النقدي؛ في حين أن المذهب المالكي ينص على وجوب أن تكون الإجارة مقابل شيء معلوم، حيث قال مالك بن أنس في المساقاة والإجارة: "لا ينبغي أن تساقى الأرض البيضاء؛ لأنه من الممكن أن يفكر صاحبها في كروها بالدنانير، والدنانير وما أشبه ذلك من الأثمان المعلومة، فالذي أعطى أرضه البيضاء بالثلث أو الربع مما ينتج منها، فذلك مما يدخله الغرر لأن الزرع يقل مرة ويكثر أخرى، وربما

(1) الجزيري، الفقه، ج3، ص4.

(2) الونشريسي، المعيار المغربي، ج1، ص365.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص270 - 271.

لا يكون هناك زرع، فيكون صاحب الأرض قد ترك شيئاً معلوماً يصلح أن يكري به أرضه وأخذ غرراً لا يدري أيتّم أم لا؟ فهذا مكروه⁽¹⁾. وهناك نوع آخر من الإجارة يختص باستئجار أصحاب الأراضي الزراعية، وأصحاب أشجار الزيتون بمن يعمل على حراستها، فكان هؤلاء يأخذون أجرة على حراستهم وهي عينة من ثمار الزيتون، فقد سئل ابن أبي زيد عن حراس الزرع بعد نباته أو الزيتون بعد نواره على أن يأخذوا أجرتهم منه، فأجاب بعدم جواز ذلك⁽²⁾، بل بشيء معلوم حيث قال مالك بن أنس: بأنه لا يجوز أن يستأجر الرجل على أن يعمل شيئاً إلا بأجر معلوم يعلمانه من قبل⁽³⁾، أيضاً سئل عن حراس الأرض الزراعية يأخذون نظير حراستهم لها على كل قفيز مدّاً أو ثلاثة، ومنهم من يحرسها بنصيب معلوم من الأقفزة، فأجاب (ابن أبي زيد ت 386 هـ / 996م): أما بالنسبة لأخذ المُدّين أو الثلاثة فجائز، وأما استئجارهم نظير قفزة معلومة، فإن ذلك لا يجوز إلا بعد الحصاد وليس قبله، ويكون على قدر المحصول⁽⁴⁾.

وكانت عملية جني ثمار الزيتون في المغرب الأدنى تُؤدّى من قبل مستأجرين يقومون بها، مقابل نسبة من الإنتاج، فسئل ابن أبي زيد عن حزار الزيتون على أنه إذا كان وقت الحَزَر يخرصون فيه الزيتون ويأخذون على ذلك الحزر كل قفيز كذا وكذا، فأجاب بعدم إجازة هذه الإجارة، وقال: إنها إذا وقعت كان الخِرَاص (الحازر) أجرته فيما حَزَرَ نقدًا⁽⁵⁾.

(1) الطبري، اختلاف الفقهاء، ص 142.

(2) الوشرسي، المعيار المعرب، ج 1، ص 225.

(3) المصدر نفسه، ج 8، ص 226.

(4) المصدر نفسه، والصفحة.

(5) المصدر نفسه، ج 8، ص 228.

كما سُئِلَ أبو حفص العطار عن رجل استأجر الحصاد بلقاط على ما يفعله أهل البادية، فأجاب بعدم جواز ذلك⁽¹⁾، وسُئِلَ ابن أبي زيد عمَّن استأجر أرضه مقابل ربع ما يزرع فيها من كتان، فأجاب عدم جواز ذلك⁽²⁾، مستنداً إلى ما ذهب إليه مالك عندما سُئِلَ عن رجل أجَّر أرضه بمائة صاع من ثمر أو حنطة مما يخرج منها أو من غيرها فكره ذلك⁽³⁾، ربما يكون السبب في عدم قدرة البعض على زراعة أراضيهم، أو لعجزهم في ذلك، أو لعدم وجود أشخاص مقرين يقومون بزراعة الأرض، أو ربما يكون السبب كما يذكر الونشريسي هو حماية أصحاب الأرض من الضرائب والجبايات التي قد تفرض عليهم من قبل السلطة الحاكمة، فقد سُئِلَ القابسي عمَّن اكرتِ أرضه مدة عام، فادعى المكتري أنه إنما اكرتها بهذا الثمن؛ ليكفيه غرم السلطان، وأنكر الآخر وله جاه⁽⁴⁾.

2 - المعاملات التجارية:

تنوعت المعاملات التجارية عند الزيريين تنوعاً ملحوظاً؛ وهذا راجع إلى نوعية التجارة التي تمارس سواء بين مدن المغرب الأدنى أو مع دول الجوار، فالمعاملة النقدية تقع في مدن المغرب الأدنى بين البائع والمشتري، ويشير إلى ذلك الدَّبَّاح الذي ذكر أن أبا الفضل الغدامسي (ت 349هـ / 960م)، قد أعطى لخدمه دينارين ليشتري بهما من سوسة عسلاً وسميداً وزعفران⁽⁵⁾، إضافة إلى أبي علي بن خلدون البلوي الذي كان قد اشترى من سوق القيروان ثورين بمبلغ

(1) المصدر نفسه، والصفحة.

(2) المصدر نفسه، والصفحة.

(3) الطبري، اختلاف الفقهاء، ص 148.

(4) الونشريسي، المعيار المعرب، ج 8، ص 281.

(5) الدبّاح، معالم الإيمان، ج 3، ص 86.

قدره واحد وأربعون دينارًا ذهبًا⁽¹⁾.

إضافة إلى تلك المعاملة هناك أخرى وتسمى (السمسرة) وهي أن يؤجر التاجر رجلًا ما لبيع عروض تجارته سواء كانت ثيابًا أو دوابًا، ويسمى عادة هذا المستأجر باسم (السمسار) الذي لا تتعدى وظيفته النداء على بيع هذه البضاعة أو تلك بسعر معين يحدده صاحب البضاعة، ويتقاضى أجرًا على ذلك⁽²⁾، وهذه المعاملة شبيهة اليوم بمهنة المزاد العلني. وسئل أبو عمران الفاسي (ت 430هـ / 1039م) عمّن نصب نفسه مسؤولًا لبيع الثياب أو الدواب أو الرقيق في الأسواق ثم يدّعي تلفها أو تلف ثمنها، فأجاب عليه اليمين سواء كان مؤتمنًا أو غير مؤتمن، لأن البائع هو الذي أضاع سلعته⁽³⁾، وسئل ابن أبي زيد عن النّخّاس ينادي في بيع عبده فلم يتمكن البيع فردهم إلى صاحب هذه التجارة (تجارة الرقيق) فباعها بالذي أعطى أو أقل أو أكثر فأجاب: أجرته ثابتة إذا لم يجمع صاحبها على إمساكها فباعها وللنّخّاس أجر⁽⁴⁾.

كما سئل القابسي عن السمسار إذا عرض سلعة ما وأوقفها على ثمن معين فقال له صاحبها: اجتهد في بيعها، فقال له السمسار هذا آخر العطاء (السعر) ومضى عنه فدفعه صاحبها إلى سمسار آخر، وباعها بالسعر الذي حدده صاحب السلعة، فهل للسمسار الأول أجر أم لا؟ فأجاب: إذا كان يبيعه قريب من السعر الذي وضعه التاجر، فالأجر بين السمسارين لكل واحد منهما بقدر عنايته⁽⁵⁾.

وسئل ابن أبي زيد عمّن أقره السمسار على ثوب لتاجر ثم مضى ليشاور صاحبه

(1) المصدر نفسه، ج 3، ص 152.

(2) الونشريسي، المعيار المعرب، ج 8، ص 361.

(3) الونشريسي، المعيار المعرب، ج 8، ص 360.

(4) المصدر نفسه، ج 8، ص 359.

(5) المصدر نفسه، ج 8، ص 359 - 360.

فأمره بالبيع، فلما أتى السمسار ليقضي الثمن، قال له التاجر لا أرضاه والسمسار يعلم أنه أخرج الثمن من عنده لا يأخذه أحد إلا بأقل مما أعطاه فيه، فأجاب: ليس للسمسار الحق في إخراج الثمن من عنده، لأن بيع المزايدة لازم لصاحب العطاء، وإن أخرجه السمسار من عنده بغير إذن صاحبه فانكسر في يده لزمه ما نقص⁽¹⁾.

وطبيعة عمل هؤلاء السماسرة كما يذكر ابن أبي زيد أنهم وكلاء طوافون متجولون في الأزقة وفي الأسواق⁽²⁾.

إما المعاملات التجارية الخاصة بالتعامل المالي مع دول الجوار (التجارة الخارجية)، فتتمثل في القراض الذي هو نوع من المشاركة بين صاحب المال والمقارض الذي نفقته في سفره وطعامه وكسوته تقع على كاهل صاحب المال، وتكون الأرباح مقسومة بين الاثنين بنسب متفق عليها⁽³⁾.

والخسارة في هذا القراض فتكون على صاحب المال⁽⁴⁾. ومن المسائل الفقهية التي اختصت بهذه المعاملة ما سئل عنه المازري (ت 536هـ / 1141م) بخصوص رجل دفع مالاً قراضاً لآخر؛ ليسافر به للمشرق الإسلامي، وكُتِبَتْ وثيقة بين صاحب القراض والمقارض، فاشترى الرجل بضاعة من المكان المذكور وحملها على مركب، فلمَّا وصل جزيرة لانبدوشة الإيطالية انفتح المركب وخشي عليه الغرق فرجع سالمًا إلى مدينة المهديّة، ودفع حق البضاعة لصاحب القراض، وطالبه

(1) المصدر نفسه، ج 8، ص 361.

(2) المصدر نفسه، ج 8، ص 319.

(3) مالك بن أنس، الموطأ إسعاف المبطأ برجال الموطأ، ط 5، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1419هـ - 1999، ص 598، محمد منذر قحف، الاقتصاد الإسلامي، ط 2 دار

القلم، الكويت، 1981، ص 157.

(4) الجزيري، الفقه، ج 3، ص 34.

بالوثيقة، فقال له صاحب المال: إن البضاعة لا تزال محددة بزمن في استيفائها، فسافر الرجل مرة أخرى حتى انتهت المدة الزمنية في الوثيقة بخصوص البضاعة، وجلب معه أضعاف المال الأول من غيره، ونسى طلب الوثيقة فبقي مع الثاني (صاحب قراض آخر) خمسة عشر عامًا، دون ذكره أن له قبله شيئاً وافترق واحتاج، ولم يذكر شيئاً حتى توفي، وكان قد خاصمه على مال القراض قبل وفاته بالسنة على عشرة دنانير، فأجاب المازري بأن هذا متوقعاً على شهادات العامل (المقارض)⁽¹⁾.

وسئل أيضاً عن تاجر دفع إلى آخر دنانير قراضاً ليسافر بها إلى جزيرة صقلية، ثم غاب صاحب المال، فلما قدم من سفره سأل الأخير المقارض عن الدنانير فقال: كنت في قارب لطيف غير قاربي الذي عادة أسافر فيه فادّعى أنه لقيه عدو في البحر، وأنه سلّم تلك الدنانير إلى قائد العدو، فأجاب المازري: بعدم ملزمته البينة فيما قاله المقارض على ضياع الدنانير المرابطية، نظراً لخوفه على نفسه⁽²⁾.

وسئل ابن أبي زيد عن رجل دفع لآخر مالاً قراضاً، وهو صاحب مركب، على أن يعمل في أي تجارة شاء وفي أي بلد أراد، والكرء والربح يكون بينهما، فأنكر ابن أبي زيد هذا القراض⁽³⁾، نظراً للكرء الواقع على كاهل المقارض الذي هو الطرف الثاني، وأحياناً يكون المقارضان مستأجرين في الأصل، فقد سئل القابسي عن الذي دفع إلى رجل آخر مالاً وقال له: أستأجرك على أن تمضي بهذه السلعة إلى بلد كذا فتبيعها وتقيم في بيعها بضعة أيام، ولك في الأجرة مبلغ قدره كذا وكذا، وتعمل بها قرضاً على النصف وتشتري وتقدم إلى هنا⁽⁴⁾.

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، ج8، ص207.

(2) المصدر نفسه، ج8، ص207.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص205 - 206 - 207.

(4) المصدر نفسه، ج9، ص119.

وأحياناً يكون القراض عرضاً من عروض التجارة، فقد سئل القابسي عن رجل دفع إلى آخر عروضاً وقومها، وجعل تلك القيمة في رأس مال القراض بالعروض المقومة مال القراض، فسافر المقارض وهلك في عرض البحر⁽¹⁾، وفي ذلك قال مالك بن أنس: إنه لا ينبغي أن يقارض أحد إلا في العين، ولا ينبغي المقارضة في العروض، لأنها تكون على أحد الوجهين، إما أن يقول له صاحب العرض: خذ هذا العرض فبعه، فما خرج من ثمنه فاشتر به على وجه القراض⁽²⁾.

هذا فيما يختص بالقراض، أما الشركة فهي عبارة عن جمع رأس مال معين بين شخصين، شريطة أن يكون هذا الجمع بينهما بالتساوي، وكان تجار المغرب الأدنى يعتمدون على هذه المعاملة في تجارتهم الخارجية، حيث يستأجرون مراكب لحمل الأمتعة والزاد إلى البلدان المراد المتاجرة معها، فسئل ابن أبي زيد عن أشخاص قاموا بشحن الطعام في مركب ولكل واحد منهم حصة فيه⁽³⁾.

أما بخصوص معاملة الوكالة فقد كان تجار المنطقة يوكّلون أشخاصاً عنهم للقيام بتجارة لهم، سواء كان ذلك بإرسال المال معهم أو شيء من عروض التجارة، فسئل السيوري عمّن بعث معه بمال يشتري متاعاً فقدم من سفره زاعماً أن البضاعة ضاعت⁽⁴⁾، كما سئل ابن أبي زيد عمّن أبضع معه بضاعة فعرض له مقام بلد في سفره، فوجّه بها إلى صاحبها فلم تصل إليه⁽⁵⁾.

وسئل القابسي عمّن أمر رجلاً يشتري له سلعة مقدر قيمتها بالدنانير، فاشترى له

(1) الونشريسي، المعيار المعرب، ج9، ص119.

(2) مالك بن أنس، الموطأ، ص602.

(3) الونشريسي، المعيار المعرب، ج8، ص307.

(4) المصدر نفسه، ج9، ص86.

(5) المصدر نفسه، ج9، ص100.

لكن بالدين⁽¹⁾، وسئل أيضًا عن رجل وكل آخر بيع سلعة، فباعها لكنه جحد ثمنها⁽²⁾. أما الإجارة (الكراء)، فقد سئل ابن أبي زيد عمّان استأجر رجلاً للحج بدنانير وطعام، فلما وصل إلى مصر طُرد وحجّ وحده، ورجع إلى المغرب يطلب كراءه⁽³⁾، كما سئل المازري عن مكترين لقارب من صقلية وصل إلى المهدية وهو بين شريكين فادّعى الركاب وصدقهم أحد الشريكين أن كراء هذا المركب متوجه إلى قابس، وادعى الشريك الثاني أنه متوجه إلى المهدية، فأجاب المازري: أن الذي صدقهم يسلم إليهم منافع النصف ويحلف في النصف الآخر، ويحلفون ويفسخ بقية المسافة، وتباع المنافع عليهم ويردها أحدهم نفسه إذا رفض الآخر، أو الانفصال عن الشركة في القارب⁽⁴⁾.

3 - النقود:

تعدّ النقود من المقومات الأساسية في العملية التجارية، فعن طريقها يقع شراء أو بيع أية سلعة، وتميّز النظام النقدي عند الزيريين بالشمولية والتنوع من حيث الدراهم ودنانير الفضة والذهب والنحاس، وكما هو معروف فقد كان النظام النقدي في الإمارة الزيرية مرتبطًا بعملة الدولة الفاطمية (296 - 567هـ / 909 - 1171م) لكن عقب القطيعة السياسية والمذهبية عام 435هـ / 1043م التي أعلنها المعز بن باديس (406 - 453هـ / 1015 - 1061م)، تغيرت الأمور، فقد وجدت عملة خاصة بالزيريين عرفت بالدينار التجاري، وقد كُتب على إحدى وجهيها هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾

(1) المصدر نفسه، ج 9، ص 120.

(2) المصدر نفسه، والصفحة.

(3) المصدر نفسه، ج 9، ص 231؟

(4) الونشريسي، المعيار المعرب، ج 8، ص 305.

[آل عمران 45]، وكذلك: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وأمر المعز بن باديس بعدم تداول العملة الفاطمية في الأسواق⁽¹⁾.

ويلاحظ أن المعز بن باديس لم تكن له رغبة في كتابة اسمه على هذا الدينار التجاري؛ وسبب ذلك راجع إلى عدم إلحاق الضرر بالحجاج الزيريين القاصدين الحج من خلال المضايقات التي قد تُمارَس عليهم من طرف السلطة الفاطمية الحاكمة في مصر، والتي تقوم بمراقبة كل شخص يدخل أراضيها، فيضطر الحاج الزيري إلى تصريف الدينار التجاري هذا بالعملة المصرية ونصيبه العقوبة والحرمان⁽²⁾.

وذكر رأفت النبراوي أن النقود الزيرية الذهبية ضربت على عدة طُرز، منها ما هو بثلاثة هوامش دائرية وعلى وجهين، حيث سُجل تاريخ ضربها على الهامش الخارجة للظهر، وهناك طراز بهامش واحد وكتابات مركزية مع نقش التاريخ على هامش الظهر⁽³⁾.

هذا وقد ذكر سعيد حامد أن بمدينة طرابلس دنانير ذهبية كانت قد سُكَّت عام 370هـ/ 981م أي قبل القطيعة المذكورة بسنوات عدة، وتحمل هذه الدنانير الصبغة الفاطمية في ضربها، حيث كُتِب على أحد وجهيها: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، أَرْسَلَهُ

(1) ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المُعَرَّب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، تح. ج. س. كولان، إلفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، (د.ت)، ص 278.

(2) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية، ج 1، مكتبة المنار، تونس، 1972م، ص 445 - 446.

(3) التاريخ الهجري على النقود الإسلامية، مجلة العصور، دار المربخ، الرياض، مج 4، ج 2، 1989، ص 223.

الله بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ"، وعلى الوجه الآخر: "لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عليّ خَيْرُهُ صَفْوَةُ اللَّهِ"، وعلى الطوق الذي يحيط بالدينار الذهبي عبارة: "بسم الله ضُرب هذا الدينار بطرابلس عام 370هـ/ 981م⁽¹⁾"، وكذلك عبارة: "عبدُ الله وَوَلِيُّهُ نِزار الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين". وكما عثر أيضًا على دنائير مماثلة لها في طرابلس، لكنها سُكَّت في سنوات مختلفة 415 - 425 - 437هـ / 1024 - 1034 - 1046م⁽²⁾.

واختلفت طريقة التداول بالدرهم والدنانير بين مناطق المغرب الأدنى، فيشير المقدسي إلى أن الدرهم والدنانير هي عملة بلاد الجريد⁽³⁾، بينما ذكر الدرجيني أن العملة النحاسية (الخندوس) هي التي يتعامل بها أهل جزيرة جربة، فذكر أن أبا صالح اليراني قد اختصم إليه رجلان كان أحدهما قد باع للآخر سلعة بستين ولم يذكر أي نوع هي من الأثمان، فقال المشتري: إنما اشتريت بقراريط الخندوس، وقال البائع إنما لي عليه ذهب، وقال المشتري: لا أعرف الذهب فقال أبو صالح للبائع: خذ منه ما ذكر، وإلا فخذ سلعتك، لأن أهل جربة يعرفون التبايع بالخندوس⁽⁴⁾.

وشهدت بلاد المغرب الأدنى عقب الهجرة الهلالية إليها عام 441هـ / 1049م تنوعًا لا بأس به في سك عملات جديدة، لكنها ليست من جانب أفراد السلطة الحاكمة بل من بعض ولايتها، فمثلاً والي مدينة قابس والمدعو "رشيد بن كامل"

(1) المسكوكات العربية، مجلة أثار العرب، مصلحة الآثار بالمدينة القديمة، طرابلس، ع2، مارس، 1991، ص 354 - 355.

(2) المرجع نفسه، ص. ص 98 - 99.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، 1909م، ص 230.

(4) طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، تح، إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر، 1974م، ص 354 - 355.

سك عملة باسمه من الدينار الذهبي، لقب فيها بالألقاب الملوكية، وعرفت هذه العملة "بالرشدية"⁽¹⁾، كما سك والي مدينة صفاقس والمدعو "حمو بنو مليل" ديناراً عُرف بالعشارى عام 449هـ / 1057م، وفعل خلفه الشيء نفسه، حيث ضرب عملة خاصة بمدينة صفاقس عام 461هـ / 1069م⁽²⁾.

وكان لعملية تغيير العملة المتداولة في بلاد المغرب الأدنى عقب القطيعة - كما ذكر سابقاً - أثر على قيمة العملة الجديدة، فقد سئل السيوري عمّن له دنانير ودراهم مشوبة بكم تجب الزكاة فيها⁽³⁾، وسئل أيضاً عمّن له مائتي درهم من العملة الجديدة، فهل يعطي منها خمسة دراهم؟ وهل يجوز التراطل بها وبعضها أفضل من بعض وقبولها من جانب الناس فيربحون فيها أو يدفعونها لأنها لا تظهر الأخرى⁽⁴⁾.

كما سئل اللخمي عمّا يضربه السلطان بالقيروان والمهدية وغيرهما من السكك يشتري بها الناس ويأخذها الجند في أرزاقهم، ولا غنى للناس عن التصرف فيها فما رأي الفقه في ذلك؟ فأجاب: اختلف أهل العلم في مبايعة مستغرقى الذمة، فمن مانع مجيز بمثل القيمة والأمر في الدنانير والدراهم عندي أخف الدعاوى الضرورة إليها⁽⁵⁾، وسئل آخر عن مراطة الدراهم القديمة بالجديدة المحدثه الآن، والقديمة كانت أكثر فضة فأجيب بأن المراطة جائزة؛ لأنه يعطي الجديدة منفصلة لانتفاع له بما في القديمة من زيادة الفضة، إذا لو سكت القديمة خسر فيها ويغرم فيها لتصير جديدة، وكان قد أجزى مراطة التبر الجديد بالمسكوك⁽⁶⁾.

(1) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية، ق1، ص 450.

(2) المرجع نفسه، والقسم والصفحة.

(3) الونشريسي، المعيار المعرب، ج1، ص 367.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 386.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص 74.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص 107.

4 - الموازين والمكاييل:

كانت الأبطال في المغرب الأدنى تزن بستة عشرة أوقية لكل رطل، وكل أوقية تقدر بواحد وعشرين درهماً⁽¹⁾، أما الكيل فيقدر بالقفيز الذي يساوي ثمان ويات، والوبية أربعة أثمان، والثمينة ستة أمداد بمدّ أوفى من مد النبي ﷺ⁽²⁾، أي بكيل قرطبة الذي يقدر بخمسة أقفزة غير ستة أمداد⁽³⁾، ويعرف الكيل الزيري بالصحفة والتي تقدر بثمانية قادوس ويقدر الأخير بثلاثة أمداد بمد النبي ﷺ⁽⁴⁾.

إذاً يلاحظ أن نظم الوزن والكيل عند الزيريين تشتمل على الرطل والقفيز، والصحفة، وتختلف قيمة كل منهم على حسب السلعة الموزونة بها، وفي عدد من المدن المغربية.

5 - الضرائب والجبايات:

كانت السلطة الزيرية تقوم بفرض ضرائب وجبايات في مختلف مدن المغرب الأدنى؛ لشري خزيتها وخزينة الدولة الفاطمية بمصر⁽⁵⁾، فيذكر البكري بعض تلك المدن التي فرضت عليها الضرائب منها مدينة سوسة التي قُدرت جبايتها على الثياب التي تصنعها بحوالي ثمانين ألف مثقال من الذهب، وجباية مدينة قسنطينة مائتي ألف دينار، ومدينة بونة تقع بالقرب من القيروان، تقدر بعشرين ألف دينار،

(1) القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 5، المطبعة الأميرية، القاهرة (د.ت)، ص 114.

(2) البكري، عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، ج 2، تح. أدريان فان ليوقن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس (د.ت)، ص 678.

(3) المصدر نفسه، ص 727.

(4) المصدر نفسه، والصفحة.

(5) الشاذلي بويحي، الحياة الأدبية في عهد بني زيري، مج 2، تر، محمد العربي، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس 1999، ص 431.

ومرسى الخرز بعشرة آلاف دينار⁽¹⁾.

والمؤسسة الإدارية التي تتولى مهمة جباية هذه الضرائب هي بيت المال أو ما يعرف بديوان الجباية، الذي يتولى إدارة مداخيل الإمارة الزيرية ومصروفاتها؛ بفرض المكوس والأعشار والجزية، وإنفاقها حسب قول حسن حسني عبد الوهاب: على المنافع العامة للإمارة، وينقسم هذا الديوان في مهمته إلى أعمال منها: (الصدقة - الزكاة، الغنيمة) والخراج والجزية، والإقطاعات التي من مهمتها توزيع الأرض الموات، واستخلاص أعشارها، والمحاسبات التي تنحصر مهمته مراقبة الأعمال السابقة⁽²⁾.

الخاتمة

صفوة القول في هذا المبحث: يُستنتج أن النظام الاقتصادي الذي اتبعه الزيرون خلال مدة ازدهارهم في المغرب الأدنى كان قائماً على أسس نظمت العملية الزراعية والتجارية للإمارة، التي اتبعت الفقه المالكي في تنفيذ تلك الأسس، ويلاحظ أن النظام النقدي الزيري قد اتخذ صفة الاستقلالية عقب المقاطعة السياسية والمذهبية التي أُعلنت عام 435هـ / 1043م من قبل المعز بن باديس، ولكن هذه الاستقلالية النقدية أصبحت خاصة كل مدينة من مدن المغرب الأدنى؛ حيث استغل بعض ولاة تلك المدن الظرف السياسي والاقتصادي الذي مرت به الإمارة بعد الهجرة الهلالية عام 441هـ / 1049م، وأخذ كل والٍ يسك عملة خاصة به كما فعل والي كل من مدينة قابس وصفاقس، وكان لهذا التعدد في العملة أثره في قيمة التداول بها، ثم عرض بعض المسائل الفقهية عن ذلك.

(1) البكري، المصدر السابق، ج2، ص 691 - 719 - 717 - 718.

(2) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية، ص 53 - 54.

إضافة إلى ذلك يلاحظ أن الزيريين وضعوا نظامًا محددًا في موازينهم ومكاييلهم، وهي قائمة على وحدتي القفيز والصحفة، وكذلك اعتمدوا على الضرائب والجبايات في إثراء خزintهم.

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر العربية:

1. ابن أنس، أبو عبد الله مالك، ت 179 هـ / 795 م، الموطأ (إسعاف المبطأ برجال الموطأ) منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط 5، 1419 هـ - 1999.
2. البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487 هـ / 1094 م) (المسالك والممالك، الجزء 2، تحقيق: أدريان فان ليوقن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس (د.ت)).
3. الجزيري، عبد الرحمن بن محمد بن عوض (1299 - 1360 م)، (الفقه على المذاهب الأربعة)، ج 3 - 4، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1969.
4. الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670 هـ / 1271 م)، (طبقات المشائخ بالمغرب)، ج 2، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر، 1974 م.
5. الدَّبَّاع، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري توفي (996 هـ)، (معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان)، ج 1، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، محمد ماضور، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).
6. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ / 925 م) - (اختلاف الفقهاء)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
7. ابن عذارى، أبو عبد الله محمد المراكشي كان حياً عام (712 هـ / 1312 م) (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب)، ج 1، تحقيق: ج. س. كولان، إيفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا.
8. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821 هـ / 1418 م) - (صبح الأعشى في صناعة الإنشا)، ج 3، المطبعة الأميرية، القاهرة (د.ت).
9. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله (ت 387 هـ / 997 م)، (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، طبعة ليدن، 1909 م.

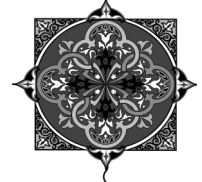
10. الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقيا والأندلس والمغرب)، ج 3 - 8 - دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

ثانيًا - المراجع العربية والمُعرّبة:

1. بويحيى، الشاذلي، الحياة الأدبية بأفريقية في عهد بني زيري، مج 2، تر، محمد العربي، عبد الرزاق، المجمع التونسي، تونس، 1999م.
2. عبد الوهاب حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، ج 1، مكتبة المنار، تونس، 1972م.
3. قحف، محمد منذر، الاقتصاد الإسلامي، دار القلم، الكويت، ط 2، 1981م.
4. المملطاوي، حسن كامل، فقه المعاملات على مذهب الإمام مالك، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1982م.

ثالثًا - المجلات والدوريات العلمية:

1. حامد، سعيد علي، المسكوكات العربية، مجلة آثار العرب، مصلحة الآثار بالمدينة القديمة، طرابلس، ع 2، مارس، 1991م.
2. النبراوي، رأفت محمد، التاريخ الهجري على النقود الإسلامية، مجلة العصور، دار المريخ، الرياض، مج 4، ج 2، 1989م.



الرحلات الأوربية إلى حضرموت

"الرحلة الهولندية إلى حضرموت عام 1931م أنموذجاً"

د. نجلاء سعود مبارك بن عقيل⁽¹⁾

د. عبدالعزيز سعيد سالم بازرة⁽²⁾

ملخص البحث:

تناول البحث الرحلة الهولندية إلى حضرموت عام 1931م. وقد هدف البحث إلى تبيان دوافع الهولنديين من رحلتهم إلى حضرموت والهدف الرئيسي للبعثة ونتائجها العلمية والسياسية. وتعتبر هذه الدراسة حلقة من حلقات دراسة نشاط الرحالة الأوروبيون لحضرموت حيث استعرض الباحثان سير الرحلات الهولندية وأهدافها ودوافعها.

وقد اتبع الباحثان منهج البحث التاريخي. وجاء البحث في ثلاثة فصول؛ تناول الفصل الأول الرحلات الأوربية إلى حضرموت وتضمن في مبحثين الأول: الاهتمامات الأوربية المبكرة بحضرموت والثاني: تاريخ الرحلات الأوربية ودوافعها والجوانب التي تناولتها. وتناول الفصل الثاني دوافع هولندا في رحلتها إلى حضرموت. وجاء

(1) أستاذ مساعد - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة حضرموت.

(2) أستاذ مساعد - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة حضرموت.

في مبحثين الأول: الأهداف السياسية للبعثة الهولندية إلى حضرموت. والثاني: الأهداف الاقتصادية.

وتناول الفصل الثالث: رحلة دانيال فان ديرمولن وهيرمان فون فيسمان عام 1931م. وتضمن الفصل سير رحلة دانيال فان مولن وهيرمان فون فيسمان. ونتائج الرحلة وأسباب نجاحها.

وقد أظهرت نتائج البحث أهداف الرحلة الهولندية والنتائج التي حققتها فقد جاءت هذه الرحلة العلمية السياسية لتلق أضواء جديدة على أهمية حضرموت وتراثها وتاريخها.

كلمات مفتاحية: حضرموت - الهولنديين - دانيال فان ديرمولن - ديار عاد - هيرمان فون.

Abstract

The research dealt with the Dutch mission to Hadramout in 1931 AD. The research aimed to reveal the motives of the Dutch from their trip to Hadramout. The orientalist motives for Daniel van der Meulen's trip and the results of the scientific and political trip. This study is considered one of the episodes of studying the activity of European travelers to Hadramout, where the researcher reviewed the most prominent results of these trips, indicating their motives and objectives. The researcher followed the historical research method. The research came in three chapters; The first chapter dealt with the motives of the European trips to Hadramout. It included two topics, the first: about the European motives for the trips and their results. The second: on the objectives of the Orientalists in studying the history of

Hadramout. The second chapter dealt with the objectives of the Dutch mission. It came in two sections, the first: the political objectives of the Dutch mission to Hadramout. The second: the scientific objectives of the Dutch mission and its most prominent results. The third chapter deals with the travels of Daniel Van Dermeulen. The chapter included two topics, the first: the itinerary of Daniel van Meulen and Hermann von Wissmann in 1931 AD. The second: the results of Mullen and Hermann's scientific trip and the reasons for its success. The results of the research showed the objectives of the Dutch mission and the results it achieved. This political scientific journey came to shed new lights on the importance of Hadramout, its heritage and history. The research was also accompanied by some illustrative maps showing the course of the Dutch mission, the most famous areas it visited and the antiquities it discovered.

Keywords: Hadramout - the Dutch - Daniel van der Meulen - Diyar Ad - Hermann von.

مقدمة:

شكل البعد الحضاري لحضرموت دورًا مهمًا في تتابع البعثات والرحلات الأوربية لها، فكانت محط أنظار الكثير من الرحلات التي توالى على المنطقة خلال فترات زمنية متفاوتة. فحضرموت احتلت موقعًا جغرافيًا متميزًا على الخريطة العالمية، وباتت عرضة للدول الاستعمارية الأوربية، كل تلك العوامل والمميزات أسهمت بصورة واضحة في تقاطر القوى الاستعمارية عليها، ومع بروز مرحلة التوسع الاستعماري الأوربي الحديث وانتشار موجات الرّحالة، وجوابي الآفاق، ووصولهم إلى أصقاع المعمورة ظهر الهولنديون في ميدان التنافس والصراع على

حضرموت إبان الثورة الصناعية الأوربية أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادي.

تبرز أهمية البحث في تسليط الضوء على الرحلة الهولندية، والتعرف على أهدافها السياسية والعلمية، ودراسة التراث الذي خلفته الرحلة.

أهمية الموضوع ودواعي اختياره:

تكمن أهمية الموضوع ودواعي اختياره في الآتي:

1 - تعد الرحلة الهولندية وثيقة مهمة تضيف إلى معارفنا معلومات مفيدة وقيمة عن حضرموت.

2 - تأتي أهمية الموضوع أيضًا من حيث أن الرحلة قدمت عرضًا وتصورًا للحياة الاجتماعية والاقتصادية للمناطق التي زارتها من حضرموت، ووصفت مناطقها وعرجت على جبالها وهضابها ووديانها.

3 - أبانت الرحلة الوضع السياسي والاقتصادي لحضرموت من خلال ما دون في كتاب الرحلة.

الدراسات والأبحاث السابقة:

بحسب اطلاعنا وبحثنا عن الموضوع في بعض الدراسات البيولوجرافية فإن الرحلة الهولندية إلى حضرموت عام 1931م لم تحظ بدراسة مفردة لكن هناك دراسات وأبحاث تناولت حضرموت في كتابات الرّحالة وأبرزها:

- 1 - الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت لأحمد سعيد باحاج.
- 2 - حضرموت في المؤلفات العربية والأجنبية للدكتور عبدالله سعيد باحاج.
- 3 - المستكشف هاري سانت جون فيلبي ورحلته إلى حضرموت للدكتور مسعود عمشوش.

وغيرها من الكتابات التي تحدثت عن الرّحالة الأوربيين الذين أتوا إلى حضرموت، إضافة إلى ما كتبه الرّحالة أنفسهم عن حضرموت وأحوالها وتاريخها. ولكن تلك الدراسات لا تخرج عن كونها دراسات خاصة في مواضيعها، ولم نجد دراسة تناولت الموضوع من زاوية تاريخية بحثة أو بشكل مستقل خاص.

إشكالية الموضوع:

تفترض الدراسة مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالرحلة الهولندية إلى حضرموت بدءاً من الظروف السياسية والاجتماعية لحضرموت خلال الرحلة. ولماذا هذا التوجه الهولندي في منطقة واقعة تحت النفوذ البريطاني؟ وما الدور الذي قامت به الرحلة.

وما هو أثر تلك الرحلات والبعثات؟ هذه الأسئلة وغيرها تفترضها الدراسة وتحاول الإجابة عنها بمنهج علمي.

منهج الدراسة:

أتبع الباحثان في هذه الدراسة المنهج الوصفي.

تمهيد:

أهمية حضرموت وحدودها وموقعها الجغرافي

أسهمت حضرموت بدور متميز في التاريخ، حيث شهدت قيام حضارات وممالك قديمة فيها. وهي أرض تقع في المنطقة الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية، بين خطي طول 47,53 شرقاً، وخطي عرض 15,19 شمالاً⁽¹⁾. يحدها من الشرق سيحوت وبلاد المهرة ومن الغرب خط يبتدئ شرق بئر علي ويمتد في

(1) الشاطري. محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، ج1، ص14، دار المهاجر، تريم، الطبعة الثالثة، 1994م.

انحرف نحو الغرب إلى غرب وادي عرمة، ويحدها من الشمال الربع الخالي ومن الجنوب بحر العرب⁽¹⁾. تنقسم حضرموت طبيعياً إلى قسمين وادي حضرموت (حضرموت الداخل) وأهم مدنه سيئون وتريم وشبام، وحضرموت الساحل وأهم مدنه المكلا والشحر وغيل باوزير⁽²⁾. ورد ذكرها في المصادر القديمة حيث ذكرت في النقوش العربية الجنوبية كما ذكرت في المصادر اليونانية والرومانية. واختلف المؤرخون في تعليل اسمها وكل مؤرخ نقل ما وصل إليه من تعليقات⁽³⁾. سميت حضرموت نسبة إلى أحد أبناء قحطان بن عامر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح كان اسمه حضرموت وكان أول من نزل الأحقاف. وكان أول من نزل الأحقاف، وإذا حضر حرباً أكثر من القتل وسفك الدماء⁽⁴⁾. لا يوجد إحصاء رسمي لعدد سكان حضرموت خلال فترة الرحلة، إذ لا توجد سجلات للأحوال المدنية، ولم يتم تعداد السكان في العواصم والمدن، حيث يقدر البعض سكان حضرموت خلال تلك الفترة بثلاثمائة وخمسين ألفاً⁽⁵⁾.

(1) باوزير. سعيد عوض، معالم تاريخ الجزيرة العربية من قبل الإسلام حتى منتصف القرن العشرين الميلادي، ص 289، مركز حضرموت للدراسات التاريخية، المكلا، حضرموت، الطبعة الثالثة، 1438هـ، 2017م.

(2) باوزير. خالد سالم. موانئ ساحل حضرموت دراسة إنثوأثرية، ص 6، مكتبة دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1996م.

(3) الناجي. عبدالله بن أحمد، حضرموت فصول في الدول والأعلام والقبائل والأنساب، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الثانية، 1999م.

(4) جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 3، ص 130، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1980.

(5) الجعدي. عبدالله سعيد، الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت 1918 - 1945 م، ص 16، 17، دار الوفاق، عدن، الطبعة الثانية، 2019م.

الفصل الأول: الرحلات الأوربية إلى حضرموت

أولاً: الاهتمامات الأوربية المبكرة بحضرموت:

أسهمت حضرموت بدور متميز في التاريخ فكانت مركزاً لاستقطاب الرّحالة الأجانب لما تتميز به من موقع جغرافي فريد، وقد حرص الرّحالة الأجانب على كثرة الرحلات لها، فنراهم بين الفينة والأخرى يؤمون هذه المناطق على ما بها من مناخ مغاير لأجواء بلادهم التي غادروها، وعلى تباين العادات والتضاريس.

أما أسباب شهرة وأهمية حضرموت بالنسبة للرحالة الأجانب فهي تعود إلى:

1 - الموقع الجغرافي المهم لحضرموت على طريق التجارة. حيث تشكل أهمية استراتيجية بحكم موقعها، وامتلاكها للعديد من الموانئ المهمة التي لعبت دوراً نشطاً في مجال التبادل التجاري.

2 - مساهمة أبناء حضرموت في نشر الإسلام والدور ومشاركتهم في الفتوحات الإسلامية وهجرة أعداد كبيرة منهم إلى الخارج كفاتحين أو تجار⁽¹⁾.

3 - أقامت حضرموت علاقات تجارية واسعة مع العديد من أقطار آسيا وأفريقيا.

4 - إن حضرموت هي منطقة واسعة المساحة غنية بمواردها وقد أتى هذا الغنى من السيولة النقدية التي تنهمر عليها من مهاجريها، ووفرة حاصلاتها الغالية الثمن⁽²⁾.

5 - يساعد أدب الرحلات في ملأ فجوات إنسانية تحتاجها الدراسات الاجتماعية كما تعد كتب الرحلات مادة خام للدراسات الأكاديمية. ولأن الرّحالة من بلدان

(1) عمشوش. مسعود سعيد، أهمية حضرموت للرحالة والمستشرقين الاجانب على مر التاريخ، حلقة نقاش بعنوان الترجمة بحضرموت وأهميتها في الدراسات التاريخية، المكلال 21 / 3 / 2016م.

(2) غالب. يحيى محمد أحمد، الهجرات اليمنية الحضرمية إلى اندونيسيا، ص 27، الطبعة الأولى، 2008م، دار تريم للدراسات، حضرموت.

أجنبية، وغالباً أوربية، فهم ينظرون إلى مجتمعاتنا من زاوية تختلف عن الزاوية المألوفة لدينا التي توارثناها جيلاً بعد جيل⁽¹⁾.

ثانياً: تاريخ الرحلات الأوربية إلى حضرموت:

من الصعب أن يحدد الباحث تاريخ بدء الرحلات الأوربية إلى حضرموت، فليس هناك تحديد واضح ودقيق لبدايتها. حيث لا يعرف بالضبط من هو أول أوربي أتى إلى حضرموت، ولا في أي وقت كان ذلك، فقد ورد إليها كثير من الرّحالة والمستكشفين والتجار الأوربيين خلال فترات زمنية متعاقبة. حيث تشير الدراسات التاريخية إلى أن هذه المنطقة قد شهدت رحلات جغرافية استكشافية منذ أزمنة قديمة حيث كانت حضرموت تشتهر بتجارة اللبان والبخور، ويذهب بعض الباحثين إلى أن أقدم رحلة لأوربي إلى حضرموت كانت رحلة الأب بايز اليسوعي⁽²⁾. ويعد ادولوف بارون فون فريدا⁽³⁾ أول رحالة استطاع التوغل داخل حضرموت سنة 1843م وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات المهمة، ولكن للأسف لم يعرف عنه إلا القليل نتيجة للظروف الصعبة التي رافقت عملية نشر المذكرات، حيث فقدت الخرائط والرسومات الخاصة بالرحلة في حين توفي الرّحالة دون أن يعلم به أحد ولم يتمكن من نشر مذكراته بالشكل المطلوب، فقد نشر فريهر مالتزان رحلة فون فريدا تحت اسم (رحلة فون فريدا في حضرموت: بلاد بن عيسى وبلاد حجر)⁽⁴⁾. فكانت رحلة فون فريدا إلى حضرموت ذات أهمية

(1) فان درمولن. رحلة في جنوب الجزيرة العربية، ص 5، ترجمة د. محمد سعيد القدال، الطبعة الأولى، دار جامعة عدن، عدن، 1999م.

(2) العقيلي. نجيب، المستشرقون، ج 1، ص 360 دار المعارف، مصر، 1964م.

(3) أدولف بارون فون فريدا رحالة الماني دخل حضرموت تحت اسم مستعار هو عبد هود.

(4) باحاج. أحمد سعيد، الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت، ص 23، مكتبة الجاسر، جدة، الطبعة الأولى، 1988م.

بالغة؛ لأنه أول من وقف وكسر حاجز العزلة التي كانت مفروضة على حضرموت، ويعد الرحالة الأعظم في حضرموت؛ لأنه ألهب التجربة والذين جاءوا من بعده قدّموا أقل مما قدم⁽¹⁾. وبالرغم من نجاح رحلة فريدا إلا أن هناك بعض الجوانب التي أثارت الشكوك حول هذه الرحلة منها رحلته إلى منطقة البحر السافي⁽²⁾ التي أثارت الكثير من الجدل والشكوك في صحتها⁽³⁾.

وفي عام 1844م وصل حضرموت عالم النبات ج. ج. بيكر، وقام بدراسة أحوال النبات فيها. ثم نشر نتائج رحلته هذه في لندن. ثم زار حضرموت مجموعة من الأوربيين، وقد نشر هـ. ج. كارتر في عام 1851م نتائج هذه الرحلة دراسة بعنوان (الساحل الجنوبي الغربي للجزيرة العربية). ثم تأتي رحلة ليوهيرش 1893م وهذه الرحلة بدأت من عدن إلى الشحر ثم سيحوت وقشن ثم عاد إلى المكلا ثم توجه مرة أخرى إلى عدن، وكان أول أوربي يزور شبام ويقترب من أسوارها ويدخل أسواقها ويصف حالها⁽⁴⁾. كما زار ليوهيرش سيئون وتريم وكتب ملخصاً لرحلته في الدورة الجغرافية باسم: (رحلات في حضرموت عام 1894م)⁽⁵⁾، واتسمت رحلته

(1) فان درمولن، وفون فيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 23، وترجمة وتعليقا الدكتور محمد سعيد القدال، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1998م.

(2) البحر السافي: هو الرّبع الخالي.

(3) باحاج. الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت، ص 84.

(4) باحمدان. محمد سالم، شبام في كتابات بعض الرحّالة، ص 11، الطبعة الأولى، 1445هـ، 2024م، مكتبة المتميز، المكلا.

(5) أصدر كتاباً ضم فيه رحلاته ومغامراته باسم: رحلات إلى جنوب البلاد العربية وبلاد المهرة وحضرموت، تعريب عبدالكريم الجلاصي، منشورات القاسمي، الشارقة، 1439هـ، 2018م.

في مجملها بالاهتمام بالآثار والنقوش والأدلة التاريخية⁽¹⁾، واستغرقت رحلته من الساحل إلى الداخل ستة أشهر⁽²⁾. نشر هيرش ملخصاً لرحلته في الدورية الجغرافية باسم رحلات في حضرموت عام 1894م. وعلى إثر نجاح بعثة هيرش لحضرموت في عام 1893م، وبعد بضعة شهور من ذلك التاريخ، قام جيمس ثيوودور بنت برفقة زوجته بزيارة إلى حضرموت. بدأت رحلتهما من المكلا. رافقهما في هذه الرحلة خبير مسح طبوغرافي هندي الجنسية، يدعى إمام شريف خان بهادر الذي استطاع مسح المنطقة بشكل جيد. وصلت الرحلة إلى شبام ووادي سر وقبر النبي صالح ووادي عدم ورأس حويرة والمشهد، وقام بمحاولة ثانية ناجحة في 1894م سجل فيها وصفاً للمنطقة التي مر بها خاصة وادي عدم، وعادت بعثته سالمة إلى المكلا في شهر مارس 1894م. وقد أشار بنت في تقريره الذي أعده عن رحلاته إلى المؤثرات الهندية على الحياة في حضرموت خاصة في الأثاث والأسلحة والحلي، وقبل وفاته نشر سجلات رحلاته إلى حضرموت في بعض الدوريات المتخصصة، كما نشرت زوجته تفاصيل رحلاته في عام 1900⁽³⁾.

وفي عام 1898م وصل إلى حضرموت كل من ميللر ولندبرج بقصد جمع المزيد من المعلومات التاريخية والاجتماعية عن حضرموت وجنوب الجزيرة العربية، وذلك بتمويل من أكاديمية الفنون في فينا بالنمسا. وقد اتجها أولاً إلى حضرموت ثم وصلا إلى حصن الغراب (قنا) ومناطق أخرى في حضرموت⁽⁴⁾.

(1) باحاج. عبد الله سعيد، حضرموت في المؤلفات العربية والأجنبية، ص 77، مكتبة الدراسات الفكرية والنقدية، الطبعة الأولى، 1425هـ، 2004م.

(2) ميولين وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 23.

(3) باحاج. الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت، ص 28.

(4) باحاج. المرجع السابق، ص 14.

وفي عام 1902م وصل ولهم هين إلى قشن وعاش شهرين في شبه أسر ولم يستطع الوصول إلى حضرموت، وخلال الشهرين تمكن من جمع معلومات جغرافية عن حضرموت ثم نشرها في ما بعد تحت عنوان (يوميات في جنوب الجزيرة العربية) في المجلة الجغرافية في فينا عام 1914م⁽¹⁾.

وفي العام 1918م وفد إلى حضرموت الكابتن لي وارنر مندوباً عن الحكومة البريطانية لمعرفة أحوال هذه المنطقة، وقد زار وادي دوعن عن طريق وادي حمم. وهو أول أوروبي يصل إلى دوعن عن طريق وادي حمم. كما زار شبام ومناطق أخرى في وادي حضرموت وكان مهتماً بالأوضاع الاجتماعية وخصوصاً طبقات المجتمع في حضرموت، وكذلك أعطى عناية خاصة بالأوضاع الاقتصادية في الداخل وخاصة مصادر المياه وزراعة الحبوب والتمر وتربية النحل، وأشار إلى جودة العسل المنتج في وادي دوعن. وقد نشر في ما بعد نتائج رحلته إلى حضرموت في تقرير بعنوان (ملاحظات عن حضرموت)⁽²⁾.

وفي عام 1919م قدم إلى حضرموت اتوي ليتل بطلب من السلطان غالب بن عوض بن عمر القعيطي⁽³⁾ بقصد إجراء دراسة مسحية للمناطق الساحلية من حضرموت وللتعرف على الثروة المعدنية. وقد أورد نتائج دراسته العلمية هذه في كتاب صدر باللغة الإنجليزية في القاهرة بعنوان (جغرافية وجولوجية المكلا).

(1) ميولين وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 23.

(2) ميولين وفيسمان. المرجع السابق. ص 23.

(3) غالب بن عوض بن محمد بن عمر القعيطي الياضي: سلطان المكلا والشحر. ولي بعد وفاة أبيه، آخر سنة 1328 هـ وضم إلى بلاده وادي دوعن شمالي والجنوبي، ووادي حجر وميفع والريدة وبالحفاف. وكانت إقامته على الأكثر في حيدر أباد الدكن (بالهند) وتوفي بها ودفن إلى جانب أبيه بمقبرة أكبر شاة بحيدرآباد الدكن.

ويعد الكتاب من أهم المراجع عن جغرافية وجيولوجية ساحل حضرموت ووادي حجر في تلك الفترة، وهو لم يترجم بعد إلى اللغة العربية بالرغم من أهميته العلمية الكبيرة⁽¹⁾.

وفي نهاية العقد الثالث من القرن العشرين أي في عام 1929م وصلت المكلا طائفة عسكرية بريطانية تحمل بعثة استطلاع ومسح جوي مؤلفه من خبراء بريطانيين في هذا المجال برئاسة ر. أ. كوشرين وقد نشرت تقاريرها فيما بعد، وأوضحت كثيرًا من المعلومات الجغرافية عن حضرموت، وخصوصًا من حيث طبوغرافية أراضيها وما فيها من مظاهر طبيعية⁽²⁾.

وفي عام 1930م وصل المكلا الألماني هانز هولفريتز في رحلة شملت مناطق عديدة في حضرموت⁽³⁾. وزار خلالها الشحر وتريم وسيئون وتاربة وشبام والقطن وأطراف من صحراء الربع الخالي⁽⁴⁾. ومن أشهر المستشرقين البريطانيين الذين اعتنوا بالدراسات الحضرمية روبرت سرجنت حيث اهتم بدراسة التراث والتاريخ والمجتمع الحضرمي خلال فترة إقامته في حضرموت 1947 - 1948م، وأشهر أبحاثه التي قام بها مادة تاريخية حول جنوب الجزيرة العربية⁽⁵⁾. وكانت بعثة وندل فليس التي مرت بحضرموت في طريقها إلى بيحان في فبراير سنة 1995م، من أهم

(1) باحاج. حضرموت في المؤلفات العربية والأجنبية، ص 82.

(2) باحاج. المرجع السابق، ص 85.

(3) نشرت تفاصيل رحلة هولفريتز باللغة الإنجليزية عام 1995م، ثم ترجمها خيرى حماد الى اللغة العربية في بيروت عام 1961م بعنوان اليمن من الباب الخلفى، ويبدو أن هولفريتز لم يكن موضوعيًا ومحايدًا في نقلة لما شاهده أو سمعه أثناء رحلته.

(4) المرجع نفسه. ص 86.

(5) ترجم الدكتور سعيد عبد الخير النوبان مقالات سارجنت إلى اللغة العربية ونشرها بعنوان "حول مصادر التاريخ الحضرمي".

البعثات التي سيكون لما ينشر من أبحاثها أهمية في الحصول على معارف جديدة عن الحكومات الجنوبية العربية قبل الإسلام⁽¹⁾.

ثالثاً: دوافع الرحلات الأوربية إلى حضرموت:

هناك دوافع اقتصادية واجتماعية ودينية ساهمت في مجيء الرحلات الأوربية إلى حضرموت، كما وجدت دوافع أخرى سياسية وتاريخية، وكان للعوامل الدينية والمتمثلة في دراسة ما عرفت حضرموت من الحركات الدينية المختلفة التي كان يروج بها العالم الإسلامي، وتسربت إليها أفكار الخوارج كالنجدية والإباضية⁽²⁾ التي أصبحت العقيدة المهيمنة فيها منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي⁽³⁾. حيث ظلت حضرموت على مدار قرون أعقبت دخول الإسلام، ظلت منطقة غير مستقرة⁽⁴⁾. كما كانت رحلاتهم ميدانية للمعرفة واكتشاف المجهول⁽⁵⁾. كما سلطت الرحلات الأوربية الضوء أو بعض ضوء على الأوضاع الاجتماعية وخصوصاً

(1) باوزير. سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ص 17، مطبعة وحدين، المكلا، حضرموت، 2011م.

(2) الإباضية: فرقة من الخوارج منسوبة إلى عبدالله بن أباض المري أول أئمتها. أول بقعة نبتت عليها نابتة الإباضية البصرة، ثم انتشروا في شمال أفريقيا، وفي الجزيرة، واستطاعوا أن يكونوا لهم دولة في عمان استقلوا بها عن الدولة العباسية في عهد أبي العباس السفاح.

(3) سرجيس فرانتسوزوف. تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، العصور الوسيطة المبكرة (القرن الرابع - الثاني عشر الميلادي)، ج 1، ص 13، تقديم وتعريب: د. عبد العزيز جعفر بن عقيل، الطبعة الأولى 2004، المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية.

(4) نوبل بريهوني. حضرموت والمهجر السياسة اليمنية والهوية والهجرة، ص 24، ترجمة بشير العيسوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1440هـ.

(5) بن سلمان. سالم عبدالله، دوعن في الرحلات الأوربية والعربية - مشاهد وانطباعات -، ص 17، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الطبعة الأولى، 2110م.

طبقات المجتمع في حضرموت، وكذلك أعتوا بالأوضاع الاقتصادية والسياسية التي كانت سائدة في المنطقة، وخاصة أوضاع سلطنات حضرموت ومشيخاتها، والأسباب التي تدفع الناس في هذه السلطنات والمشيخات إلى العمل الثوري للتحرر من قيود الاستعمار ونفوذ أعوان الاستعمار⁽¹⁾.

ورغم ما قدمه الرّحالة الأوروبيون من معلومات مهمة عن تاريخ حضرموت خلال العصور المبكرة والعصر الإسلامي إلا أن - للأسف الشديد - الكثير منها يغلبه النقص أو البتر⁽²⁾.

رابعاً: الجوانب التي تناولتها تلك الرحلات:

1 - دراسة الهجرة الحضرمية:

من المعلوم أنّ الهجرة الحضرمية جذبت اهتمام كثير من الباحثين الأجانب حيث تناولت عدد من الدراسات العالمية الهجرة الحضرمية وتأثيرها في البلدان المهاجرة، وتشير الدراسات التاريخية إلى أن الحضارم هاجروا من موطنهم الأم حضرموت إلى دول شرق أفريقيا وجنوب شرق آسيا وجزر الهند الشرقية، وفي هذه الجزر شكلوا أعظم هجرة من نوعها في تاريخهم⁽³⁾، وكونوا مستوطنات عربية في مختلف أرجاء الأرخبيل الإندونيسي⁽⁴⁾. ونجحوا في تأسيس مراكز نفوذ سياسية

(1) ايها هويك. سنوات في اليمن وحضرموت، ص 5، تعريب خيرى حماد، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، 1962م.

(2) الشاطري. ادوار التاريخ الحضرمي، ج 2، ص 441.

(3) عمشوش. مسعود، الحضارم في مهاجرهم، ص 195، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، تاريخ الطبع، 2017م.

(4) انجرامس. دبليو إتش، حضرموت 1934 - 1935 م، ص 161، ترجمة الدكتور سعيد عبد الخير النوبان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2001م.

وأنشأوا سلطنات قضت على البوذية وأقامت على أنقاضها الإسلام⁽¹⁾، بمجهود ذاتي مرتبط بنشاط الحضارم التجاري. حيث مثلت الهجرة الحضرمية عنصراً من عناصر الامتدادات الثقافية ذات التأثيرات المتبادلة⁽²⁾.

من هنا راودت الأوربيين فكرة السفر إلى حضرموت للتعرف على أحوال الحضارم وطبيعة بلادهم مما جعل الرحالة البريطاني الشهير سيرر تشارد بيرتون يقول "من المعلوم أن الشمس لا تشرق على أرض لا يوجد فيها حضرمي"⁽³⁾. فمعظم البحوث المنشورة عن حضرموت خاصة تلك التي قام بها غير الحضارم، تناولت أسباب الهجرة، مع التركيز على دوافعها الاقتصادية⁽⁴⁾.

2 - دراسة المناطق الحضرمية:

قدمت هذه الرحلة وصفاً دقيقاً رائعاً للمناطق الحضرمية التي زارها الرحلة. وتتركز هذه الدراسة حول دراسة المواقع الأثرية القديمة، وتتبع العلاقات الاجتماعية، والحياة الاقتصادية والقيادات والسكان والتعليم. ويمكن ذكر أبرز المناطق التي تناولتها الرحلة:

1 - المكلا:

تناول ميولن المكلا في فصله الثاني من كتاب الرحلة. واصفاً أبرز معالمها

(1) البكري. صلاح، تاريخ حضرموت السياسي، ج2، ص240، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى الحلبي، 1936.

(2) الجابري. رزق سعد الله، الحضارم في شرق افريقيا، ص44، دار حضرموت، المكلا، الطبعة الأولى، 2011م.

(3) الجعدي. عبدالله سعيد، في رحاب تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر (أبحاث ودراسات)، ص19، مطبعة وحدين الحديثة، المكلا، الطبعة الأولى، 2016م.

(4) نوبل بريهوني. حضرموت والمهجر السي اسة اليمنية والهجرة، ص301، ترجمة بشير العيسوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1440هـ.

والحركة التجارية فيها. وأشار إلى ميناؤها التجاري كما أعطا وصفًا دقيقًا للقصر السلطاني الواقع في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة، وتحدث عن منازلها البيضاء ذات الطوابق المتعددة، وأبرز الحرف فيها كصناعة النسيج والأحذية الجلدية وأبرز السلع التي تباع في أسواقها كالفواكه والسمك المجفف والتبغ والتوابل والحبوب وزيت السمسم⁽¹⁾.

2 - سيئون:

وهي من أكبر بلدان حضرموت القديمة⁽²⁾، وصف ميولين هذه البلاد بالمدينة الجميلة والنظيفة وعبر عن حبه واعجابه بها وبقصورها البيضاء وبساتينها الرائعة⁽³⁾. التقى ميولن خلال زيارته المدينة علي بن منصور الكثيري⁽⁴⁾ سلطان سيئون، وكذلك محمد بن منصور ابن اخ سلطان تريم⁽⁵⁾.

3 - الشحر:

كانت رحلة ميولن للشحر بتنسيق من الوزير أبوبكر بن حسين المحضار الذي أعد حافلة لنقل البعثة⁽⁶⁾. من أهم ما دونته الرحلة عن الشحر سور المدينة وشوارعها ومبنى الحكومة الواقعة في الجزء الغربي للمدينة⁽⁷⁾.

(1) ميولين وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 37.

(2) ابن عبيد الله. عبدالرحمن السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص 614، دار المنهاج، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م.

(3) ميولين وفيسمان. المرجع السابق، ص 143.

(4) علي بن منصور بن غالب الكثيري: ولده بسيئون سنة (1298 هـ)، تولى الحكم بعد وفاة أبيه منصور بن جعفر سنة (1347 هـ) في عهده دخلت البلاد تحت الاستشارة. توفي فجأة بسيئون سنة (1357 هـ).

(5) المرجع نفسه. ص 144.

(6) المرجع نفسه. ص 39.

(7) المرجع نفسه.. ص 49.

قدّم ميولن تقريراً مفصلاً عن الشحر موضعاً الحالة الاقتصادية للمدينة ذكراً عدد سكان المدينة (9000) نسمة⁽¹⁾.

4 - بروم:

في أول مشهد لمقدمه إلى حضر موت قدّم مولن وصفاً لبروم فتحدث عن خليجها⁽²⁾ الذي يحمي السفن من الرياح الموسمية الجنوبية الغربية⁽³⁾. كما سجّل ميولن وصفاً لطبيعة بروم الجغرافية حيث أشار إليها بأنها مدينة تنحصر بين جبال لا تترك سوى مساحة صغيرة لبساتين من النخيل ومزارع الذرة الشامية. كما قدّم وصفاً رائعاً لمسجدها ذو اللون الأبيض ولقصر السلطان القعطي البارز فيها، وكذلك للمنازل الحجرية البيضاء ولقوارب الصيد ووصف هذه المناظر بالصورة الجميلة المثيرة للدهشة في هذه البقعة من الصخور الجرداء والصحراء⁽⁴⁾. كما أشار ميولن إلى تجارة الأسماك في بروم، ووصفها بأنها المصدر الوحيد للدخل لسكان المنطقة⁽⁵⁾.

5 - شبام:

في أثناء رحلة ميولن لشبام تكلم عن النشاط التجاري للمدينة، فقدّم وصفاً دقيقاً عنها، حيث وصفها بأنها سوقاً تجارياً مكتظة بالسلع ومشحونة بالحاجات. كما تحدث عن الضرائب والمرتبات والهبات التي تصرف لسلطان شبام، حيث تجبا

(1) باحمدان. شبام في كتابات بعض الرّحالة، ص 34.

(2) وهو ميناء صغير غربيّ مدينة المكلا بمسافة (30 كم) تقريباً، كان بندراً مأموناً للسفن الشراعية أيام الرياح الموسميّة، تأوي إليه السفن عند اضطراب الأمواج وهيجان البحر.

(3) ميولين وفيسمان. حضر موت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 31.

(4) المرجع السابق. ص 31.

(5) المرجع نفسه. ص 260.

ضريبة ربع ريال على كل حمولة جمل تدخل بوابة شبام، وتخصص 1٪ من إنتاج المزارع التي تروى بالأقطار لخزينة الدولة، ولا تفرض الحكومة ضرائب على الأراضي التي يرونها أصحابها بمجهودهم الخاص⁽¹⁾. أما ضرائب السلع في شبام على كل بهار دخل من الموانئ القعيطية نصف ريال وعلى كل بهار من محلات أخرى من محميات عدن واليمن⁽²⁾. ووصف بناء المدينة الذي يأخذ شكل القلعة الكبيرة، وهو الأمر الذي يجعلها مركزاً يصعب اختراقه والنفوذ إليه⁽³⁾. كما تحدث عن القطاع الزراعي الذي يعد من أهم مجالات التجارة التي اشتهرت بها المدينة، والتي تعتمد في زراعتها على مياه السيول.

قدّم ميولن تقريراً مفصلاً عن شبام موضعاً الحالة العلمية والاجتماعية والعسكرية للمدينة حيث ذكر عدد سكان المدينة (8000) نسمة وعدد جنودها⁽⁴⁾. ومدرسة المدينة⁽⁵⁾ وعدد طلابها، وعدد مساجدها، ونسبة المسافرين من عدد سكان المدينة. وما اشتهرت به المدينة من الصناعات الحرفية⁽⁶⁾.

5 - دو عن:

استغرقت الرحلة إلى دو عن ستة أيام، بدء مولن وفيسمان رحلتها مباشرة يوم 9 مايو 1931م ومرا على وادي حمم وثلة السفلى ووادي اللصب مروراً بمنطقة بين

(1) المرجع نفسه. ص 138.

(2) انجرامس. حضرموت 1934 - 1935م، تقرير حول الحالة في حضرموت، ص 104.

(3) باصرة. صالح علي، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، ص 70، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، الطبعة الأولى، 2001م.

(4) باحمدان. شبام في كتابات بعض الرحّالة، ص 34.

(5) مدرسة الهدى التي أسسها علي بن صلاح القعيطي سنة 1339هـ.

(6) ميولين وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 138 - 140.

الجبال وكور سيان وبريرة⁽¹⁾. ثم وصلت إلى عقبة الجحي ونزل الرحالة وادي دو عن حيث اخترقاه إلى وادي حضر موت بعد أن مرا بصيف والهجرين والمشهد⁽²⁾. كان دليل الرحلة إلى دو عن عمر بن عبدالله باكر دس ويلقب بالموتور⁽³⁾ تحدث ميولن النشاطات البشرية في دو عن، وتوزيع الحياة النباتية والحيوانية بالإضافة إلى ماتحويه هذه المناطق من آثار تاريخية كبقايا آثار عيبان في المشهد⁽⁴⁾.

ومن أهم مناطق دو عن التي استقرت فيها الرحلة:

أ - الخريبة:

وهي أكبر وأقدم مدينة في دو عن كما يصفها ميولن. قام فيسمان بتسليق عقبتها، بها أهم سوق تجاري قديم بدو عن⁽⁵⁾.

ب - حريضة:

وصف ميولن مبانيها والتعليم والحالة الاقتصادية فيها وعدد سكانها (3000) نسمة وزار وطاف بمساجدها⁽⁶⁾.

(1) قام البرفسور ومورد مان من برلين بفك رموز الصورة التي اخذها ميولن وفيسمان فوجدها كلها نقوش لأسماء اعلام.

(2) باحاج. الرحلات والدراسات الجغرافية لحضر موت، ص 36.

(3) سمي بالموتور لأنه تحرك من المكلا عصرًا ووصل القوية بدو عن اليوم الثاني ظهرًا وقد قطع المسافة بسرعة عالية حتى اطلق عليه ذلك اللقب (اي بسرعة السيارة). فسمي الموتور لسرعته وخفته. لإيصال الرسائل من المكلا إلى دو عن. ينظر مجلة حضر موت العدد (7)، ص 76.

(4) بن سلمان. دو عن في الرحلات الأوربية والعربية (مشاهدات وانطباعات) 1843 - 1957م، ص 57.

(5) ميولين وفيسمان. حضر موت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 90.

(6) ميولين وفيسمان. المرجع السابق، ص 133.

ج - المشهد:

وهي أرض محايدة بين منطقتي القعيطي والكثيري. فيها العديد من الآثار التاريخية⁽¹⁾.

6 - حريضة:

وصف ميولن مبانيها الطينية ومساجدها الثمانية وعدد سكانها والتعليم فيها، كما وصف الحالة الاقتصادية لسكان حريضة، كما اشاد بالاستقبال السخي الذي لاقاه في حريضة⁽²⁾.

7 - ريدة الدين:

تقع ريدة الدّين في الهضبة الغربية الوسطى من هضبة حضرموت الجنوبية، وتحديداً المرتفعات الغربية، وهي النقطة المركزية لإقامة بدو الدين. في زيارة ميولن لريدة الدين قدم وصفاً للريدة وللحياة الصعبة التي يعيشها سكانها من الفقر وشغف العيش⁽³⁾. كما تحدث عن حركة باعقيل⁽⁴⁾ التي قامت في المنطقة، والأسباب التي دفعت الدّين للوقوف معها.

(1) بن سلمان. دوعن في الرحلات الأوربية والعربية (مشاهدات وانطباعات) 1843 - 1957 م، ص 57.

(2) ميولن وفيسمان. المرجع السابق، ص 136.

(3) المرجع نفسه. ص 113.

(4) هو السيد محمد بن عمر بن علوي بن محمد بن عقيل بن عبدالرحمن السقاف. ولد ونشأ بسربايا من أرض جاوة، بإندونيسيا. وهو أحد التجار الحضارمة الذين كانوا في إندونيسيا امتلاك ثروة طائلة حاول أن يؤسس له مركزاً خاصاً له في قيدون بالاعتماد على دعم وتأييد قبيلة الدّين وحلفائهم، فارتبط بحلف سياسي عسكري معهم، وقد لعب الشيخ سعيد بن سالم باغشمي الديني دوراً رئيساً فيه حيث أصبحت مناطق الدّين مركزاً لحركته ومواقع أمامية لصد الهجمات القعيطية.

الفصل الثاني: دوافع هولندا في رحلاتها إلى حضرموت ونتائجها

لدراسة دوافع هولندا إلى حضرموت لا بد لنا أن ننظر إلى معطيات الفترة التاريخية التي وقعت فيها الرحلات. وقد تبرز هنا تساؤلات من قبيل.. لماذا هذا الاهتمام الهولندي لمنطقة واقعة تحت النفوذ البريطاني؟ فقد احتلت هولندا جزء كبير من أرخبيل الملايو، كما كان لهولندا مع معظم الدول الإسلامية مصالح اقتصادية وعلاقات بحرية وسياسية، وكانت هولندا تستعين بمستشاري جامعة ليدن في كل ما يحتاج إلى الترجمة من العربية وإليها، الأمر الذي أدى إلى زيادة الاهتمام باللغة العربية ودراساتها. وكان عملاء الشركة الشرقية الهولندية ينقلون كل ما يجدون من المخطوطات الإسلامية في هذه المستعمرات إلى جامعة ليدن⁽¹⁾.

أولاً: الدافع السياسي:

كان الغالب على نشاط الرحلات الهولندية الدافع السياسي حيث هدفت هولندا من إرسال بعثاتها وراحتها إلى حضرموت من أجل معرفة تفاصيل بلاد حضرموت الجغرافية، والاجتماعية، حيث أنّ هناك عدداً كبيراً من الحضارم يعيشون في مستعمرات هولندا في جزر الهند الشرقية، وأصبح لهم وزناً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً. فكانت هولندا تريد أن تقف على الأوضاع في موطن الحضارم الأم عسى أن يساعدها ذلك في ضبط حكمها في مستعمراتها هناك، كما أوضح ذلك فان در مولن قائلاً: "أصبحت للحكومة الهولندية رغبة واهتمام كبير لمعرفة الحقائق الصحيحة عن الموطن الأصلي لعدد كبير من رعاياها"⁽²⁾.

(1) الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية. بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية والمنعقدة في الرياض في المدة من 24 - 27 رجب 1421هـ، الموافق 21 - 24 أكتوبر 2000م، الجزء الثاني، ص 614، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، 1424هـ. من مقال لأحمد علي. جامعة ليدن والدراسات العربية، مجلة الحج، ع 12، ص 5، 1371هـ.

(2) فان درمولين، وفون فيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 6.

وقد كلفت الحكومة الهولندية فان دير بيرخ في عام 1886م بتوجيه من الحكومة الهولندية بتأليف كتاب عن حضرموت لمعرفة الوطن الأصلي للمهاجرين من أبناء حضرموت إلى إندونيسيا التي كانت مستعمرة هولندية آنذاك. فآلف كتابه (حضرموت والمستعمرات العربية في المحيط الهندي)، واستطاع أن يضع خريطة مفصلة لحضرموت، وتم تصحيح هذه الخريطة من قبل سلاح الجو البريطاني في المنطقة⁽¹⁾. وكانت الحكومة الهولندية تشدد في تطبيق قوانين المهاجرة على المهاجرين الحضارم فكانت تحصرهم في جهات خاصة، ولا تسمح لهم بالتجول من بلد إلى بلد إلا بإذن خاص⁽²⁾. وعندما تحولت جزر الهند الهولندية بعد الحرب العالمية الأولى إلى جمهورية إندونيسيا الجديدة، عانى الحضارمة مشقة متزايدة من جراء قيود النقد التي فرضتها الدولة الجديدة وعدم سماحها بإخراج الأموال من البلاد، على النحو الذي كان سائداً قبل الحرب⁽³⁾.

ثانياً: الدافع الاقتصادي:

بدأ النشاط التجاري الهولندي في أوائل القرن السابع عشر بعد أن أصبح مركزهم التجاري في المخا من أهم مراكز تجارة البن الذي كانوا يصدرونه إلى فروع الشركة الهولندية للهند الشرقية في شمال غرب الهند وبلاد فارس⁽⁴⁾.

(1) ميولن وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 6، ص 24.

(2) البكري. تاريخ حضرموت السياسي، ج 2، ص 242.

(3) ايغا هويك. سنوات في اليمن وحضرموت، ص 25.

(4) العمري. حسين عبدالله، اتصال الغرب باليمن وأهم بعثاتهم في العصر الحديث، مجلة دراسات يمنية، العدد (42) ص 60، مجلة فصلية تصدر عن المركز اليمني للدراسات والبحوث اليمني، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 1990م، ربيع ثاني، جماد الأولى، جماد الثانية، 1411هـ، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

حيث دخل الهولنديون مجال التنافس في البحار الشرقية في أوائل القرن السابع عشر، وأسسوا شركة الهند الشرقية الهولندية الاستعمارية في عام 1602م⁽¹⁾. التي كان يقوم بإدارتها مجلس مقره في أمستردام، وتشرف عليه الحكومة الهولندية. وقد وجهت هذه الشركة في 1614م أسطولاً إلى البحر الأحمر يقوده دي بروكه للحصول على المعلومات اللازمة لتنشيط حركة التبادل التجاري في البحر الأحمر، ووصلوا إلى جنوب الجزيرة العربية وكان هدفهم التبادل التجاري، فدرسوا الأحوال الاقتصادية بها⁽²⁾. وجمعوا المعلومات عن مدنها الساحلية مثل عدن والمخا والشحر وقشن. ففي العام 1614م وصل القبطان بيتر دي بروكه إلى عدن قادماً من الهند بناء على توجيه من الحاكم العام الهولندي فيها. ثم عاد إلى الجزيرة العربية مرة ثانية عام 1616م. ثم قام دي بروكه برحلة ثالثة حوالي عام 1618م زار فيها عدن وسقطرى. وفي هذه الرحلة جاء معه هولندي آخر هو "فان جيل" الذي ذهب من عدن إلى صنعاء والمخا. وتوصل الهولنديون إلى تفاهم مع حكام حضرموت واليمن على التعاون التجاري واستخدام موانئهم في التجارة الهولندية، ولكن هذا الاتفاق فشل في الاستمرار بعد مدة قصيرة.

وفي القرن السابع عشر اتبع الهولنديون سياسة جديدة، كان محورها العناية بالتجارة في المقام الأول ثم تأتي القوة الحربية لحماية التجارة في المقام الثاني. لهذا

(1) تأسست شركة الهند الشرقية الهولندية للتجارة مع البلاد الواقعة مابعد رأس الرجاء الصالح برأس مال قدره ستة ملايين وستمائة ألف فلورين - خمسة أمثال رأس مال الشركة الإنجليزية، وتمتعت بامتيازات كثيرة ودخلت في صراع مع شركة الهند الشرقية الانجليزية التي قد تأسست قبيل الأولى في عام 1599م وانتهى أمرها "شركة الهند الشرقية الهولندية" بنهاية القرن الثامن عشر (1799م). حيث واجهت منافسة قوية من شركة الهند الشرقية البريطانية ومن سائر الشركات التجارية. ولكن الشركة أفلست ثم ألغيت عام 1799م.

(2) باوزير. خالد سالم، ميناء عدن دراسة تاريخية حضارية، ص 56، دار الوفاق للدراسات والنشر، 2013م.

دخلت هولندا حلبة الصراع في البحار الشرقية بوجه عام وعند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر بوجه خاص لتحقيق أهدافها الاستعمارية. وبالرغم من أن هولندا كانت موجودة في الخليج العربي خلال القرن الثامن عشر فإنه كان وجوداً محدوداً مقارنة بما كان لهم من قوة وسيطرة خلال القرن السابع عشر فكانت السفن الهولندية تصل إلى سواحل الجزيرة العربية في القسم الجنوبي من البحر الأحمر، خصوصاً إلى ميناء المخا الذي اشتهر بتجارة البن. فأخذ الهولنديون بعد تحريرهم من الحكم الإسباني عام 1581م يباشرون التجارة في ما بين البحار منافسين بذلك البرتغال والإنجليز⁽¹⁾.

أما أول اتصال للهولنديين في اليمن فقد تم في شهر أغسطس من العام 1614م، وقد حاول الهولنديون فتح لهم وكالة تجارية في عدن. وعلى الرغم من أن حاكم عدن قد استقبل الهولنديين استقبلاً طيباً فإنه قد طلب منهم مغادرة ميناء عدن حفاظاً على مشاعر التجار المقيمين في عدن الذين عدوا مجيء الهولنديين إلى عدن يشكل خطراً على مصالحهم، وقد استجاب قائد الأسطول الهولندي لمطلب حاكم عدن فأبحر شرقاً تجاه ميناء الشحر وتمكن من إقامة وكالة هولندية هناك. ثم أبحر بعد ذلك إلى البحر الأحمر ووصل إلى ميناء المخا سنة 1620م فاستقبله حاكمها استقبلاً ودياً. وحصل بيتر فان أيضاً على تصريح من حاكم المخا لزيارة مدن اليمن المختلفة، وعلى توصية لحكام اليمن ليحسنوا معاملته⁽²⁾.

وقد استمرت التجارة الهولندية مدة غير قصيرة حتى تمكنوا من زراعة البن في جزر الهند الشرقية والغربية عام 1712م كما توصلوا إلى تفاهم مع حكام

(1) أباضة. فاروق عثمان، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839 - 1918م، ص 59، 60، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة. 1987م. أباضة. عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839 - 1918م.

(2) أباضة. عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839 - 1918م، ص 59، 60.

حضر موت على التعاون التجاري واستخدام موانئهم في التجارة الهولندية، ولكن هذا الاتفاق فشل في الاستمرار بعد مدة قصيرة فوجه الهولنديون أنظارهم للخليج العربي⁽¹⁾. ثم وصلوا إلى الهند، وعقب وصولهم للهند حاولوا احتكار نقل تجارة الشرق إلى أوروبا عن طريق رأس الرجاء الصالح، وتسويقها في أوروبا عن طريق لشبونة، وإغلاق مدخلي البحر الأحمر والخليج العربي في وجه السفن التجارية العربية والهندية لكنهم فشلوا في ذلك⁽²⁾.

لقد أدى تعامل الهولنديين مع الموانئ اليمنية في وقت مبكر، وبصورة أكثر من غيرهم إلى أن ينعكس ذلك في المستقبل على الهجرة التي انطلقت من موانئ الساحل الحضرمي باتجاه اندونيسيا، التي أصبحت مستعمرة هولندية، سواء من خلال عمل الكثير منهم في السفن الهولندية، أو من خلال السفر عليها إلى مهجرهم الحيوي في الشرق الأقصى⁽³⁾.

الفصل الثالث: رحلة دانيال فان ديرمولن وهيرمان فون فيسمان

إلى حضرموت عام 1931م.

أولاً: نبذ عن صاحبي الرحلة:

1 - دانيال فان در مولن، Meulen, Van Der:

رحالة هولندي، من المستشرقين المهتمين بتاريخ حضرموت، ولد في بلدة لارن في مقاطعة جيلدرلاند بهولندا سنة 1894م، تخرج من جامعة لايدن، ووظف في حكومة الهند الشرقية 1915 - 1923م حيث عين في 1915م ضابطاً استعمارياً في

(1) اباضة. المرجع السابق، ص 61.

(2) غالب. الهجرات اليمنية الحضرمية إلى اندونيسيا، ص 37.

(3) غالب. المرجع السابق ص 39.

جزر الهند الشرقية، ثم عين ممثلاً لهولندا في جدة 1926 - 1932 م ثم لدى الإمام يحيى، ووزيراً لدى العربية السعودية 1941 - 1945 م، ومستشاراً للحاكم العام في جاوة 1945 - 1948 م، ومنظماً ورئيساً للإذاعات العربية في هولندا 1948 - 1950 م. وقد صحب الجغرافي الألماني فون فيسمان إلى حضرموت عام 1931 م⁽¹⁾. قضى عقدين من الزمان في الجزيرة العربية تمتد من 1926 م إلى 1945 م⁽²⁾.

2 - هيرمان فون فيسمان Hermann von:

هيرمان فون فيسمان عالم جغرافي ألماني، طوف في الشرق الأوسط ونشر عنه أبحاثاً نفيسة⁽³⁾. ولد في 2 سبتمبر 1895 م في اتزويلز، درس الجغرافيا في فيينا، ثم وضع لنفسه اسماً من خلال أبحاثه. كان أستاذاً للجغرافيا في جامعة توبغن. قام بمساهمات في الجغرافيا التاريخية للجنوب العربي قبل الإسلام وفي العلوم والآداب مع ماريما هوفدر في ماينز عام 1962 م معتمداً على النقوش وعلى ما كتبه الأقدمون لا سيما اليونان والرومان. توفي في النمسا في الخامس من سبتمبر 1979 م بعد أن تجاوز الرابعة والثمانين من العمر⁽⁴⁾. وقد كان يعد العدة لكتابه عن جزيرة العرب عند بطليموس والكتاب القدماء ولكن الوفاة حالت بينه وبين انجازه. زار اليمن في رحلة علمية مع كارل رايتنس عام 1927 - 1928 م حيث قام بدراسة قيمة فيما يتعلق

(1) العقيقي. المستشرقون، ج2، ص774.

(2) فان درمولن. وجوه في بلاد العرب، ص22 ترجمة نجيب سعيد باوزير، الطبعة الأولى، 1437هـ، 2016، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، حضرموت، المكلا.

(3) العقيقي. المرجع السابق، ج2، ص672.

(4) الغول. محمد علي، هيرمان فون فيسمان، مجلة ريدان. حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، (العدد الثاني)، ص7، 8، 1979 م تصدر عن المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، كريتر، عدن.

بتضاريس اليمن ومناخها ونباتاتها، وقام بعدد من البعثات برفقة مولن إلى جنوب الجزيرة العربية، وهي المنطقة التي أصبحت من أهم ما ركز عليها في أبحاثه⁽¹⁾.

ثانيًا: رحلات دانيال فان حضر موت إلى حضر موت؛

قام دانيال برحلات ثلاث إلى حضر موت⁽²⁾ في السنوات 1931م، و1939م، و1945م⁽³⁾.

1 - الرحلة الأولى 1931م:

وهي الرحلة الاستكشافية الأولى إلى حضر موت برفقة الدكتور هيرمان فون فيسمان كان وصول الرحلة إلى عدن في نهاية شهر أبريل عام 1931م وتحصل مولن وفيسمان على إذن من السلطات البريطانية بدخول حضر موت في الأول من شهر مايو عام 1931م، لكن هذا الإذن كان مقتصرًا على التجول في المناطق الساحلية؛ لأن مناطق حضر موت الداخل ظلت حتى بعد نهاية الحرب العالمية الأولى تحت سيطرة القبائل والحكام المحليين واقتصر النفوذ البريطاني على إرسال الطائرات الحربية في طلعات جوية فوق داخل حضر موت من أجل الاستطلاع⁽⁴⁾.

2 - الرحلة الثانية 1939م:

كانت هذه الرحلة أيضًا برفقة العالم الألماني هيرمان فون فيسمان. انطلقت هذه الرحلة من عدن إلى شقرة ومنها إلى لودر ومنها إلى نصاب، وواصل سيره إلى وادي مرخة ووادي جردان، واخترق جول الصوط، واجتاز عقبة باتيس ليصل إلى

(1) الغول. مجلة ريدان. العدد الثاني، ص 7، 8.

(2) فان درمولن. وجوه في بلاد العرب، ص 22.

(3) المرجع السابق. ص 22.

(4) باحاج. الرحلات والدراسات الجغرافية لحضر موت، ص 35، 36.

رخية ومنها إلى عمد ثم انتقل إلى حريضة وهين وشبام وعاد إلى المكلا، وتنقل في بعض مدن الساحل، ثم عاد إلى المكلا.

تعتبر هذه الرحلة التجربة الأكثر نضجاً من السابقة، وكان حصيلة هذه الرحلة كتابه الذي نشر عام 1947م باسم (من عدن إلى حضرموت). رحلة في جنوب الجزيرة العربية) وصف البلاد التي زارها وما تحويه، كما تتبع طريق تجارة البخور. وأشار إلى طرق الري ومستقبل الزراعة في حضرموت. تضمن الكتاب مجموعة من الصور الإيضاحية وخارطة توضح سير الرحلة والرحلات السابقة⁽¹⁾.

3 - الرحلة الثالثة 1945م:

وقد روى جوانب من رحلته الثالثة في كتابه (وجوه في بلاد العرب)⁽²⁾. حيث أفرد فصلاً مهماً بعنوان (أبوبكر بن شيخ الكاف باني حضرموت الحديثة) كما تحدث في هذا الفصل عن حضرموت وأبرز معالمها.

ثالثاً: الحالة السياسية لحضرموت زمن الرحلة:

كانت حضرموت في هذه الفترة مقسمة بين السلطنتين القيعطية والكثيرية، ففي عام الرحلة 1931م كانت حضرموت بسلطنتيها الكثيرية والقيعطية واقعة تحت الحماية البريطانية، ولهذا جاءت الموافقة على الرحلة عبر البوابة البريطانية. وكانت الحالة العامة في حضرموت تتلخص في نقطتين أو مادتين: عطب في عجلة الحكومة فلا تتحرك ولا تسير، وركود في جانب الأمة فلا تكاد تبدي أية حركة تدل على الحياة إذا استثنينا صيحات يرسلها الحضارم في مهاجرهم من حين لآخر حيث

(1) بن سلمان. دوعن في الرحلات الأوربية والعربية (مشاهدات وانطباعات) 1843 - 1957م، ص 49، 50.

(2) ينظر: مقدمة مترجم كتاب وجوه في بلاد العرب وقد نقل مترجم الكتاب الاستاذ نجيب عوض باوزير ذلك عن نجل مولن السيد بيرندفان در مولن.

كانت حضرموت مسرحاً للفوضى والاضطراب، التي تفت من عضد المجتمع وتنهك قواه الانتاجية، إذ لم تستطع سلطة ما طول تلك المدة أن تحتفظ بكيانها أو توطد دعائمها وتضع بنيانها على أساس ثابت نتيجة الضعف المادي والإداري الذي اتصفت به جميع السلطات المحلية التي حاولت أن تفرض وجودها في أثناء تلك الحقبة من تاريخ حضرموت⁽¹⁾.

رابعاً: رحلة دانيال فان دير مولن 1931م:

أصدرت الحكومة الهولندية أوامرها لدانيال فان در مولن - القنصل الهولندي بجدة لتجهيز بعثة بقيادته للسفر إلى حضرموت للتعرف على أرضها وشعبها. بدأ فان در مولن رحلته إلى حضرموت في صيف عام 1931م يصحبه فيها صديقه العالم الجغرافي الألماني فون فيسمان. وأول منطقة انطلقت منها الرحلة عدن حيث كان وصول الرحلة إلى عدن ثم توجهت الرحلة إلى المكلا ومنها توجهها عن طريق وادي دوعن إلى شرق وادي حضرموت، ورجعا إلى المكلا عن طريق وادي عمد وريدة الدين ووادي حجر⁽²⁾.

1 - مدة رحلة دانيال فان درمولين:

الفاصل الزمني بين الرحلة وعصرنا الراهن ثلاثة تسعون عاماً وبضعة أشهر، حيث استغرقت الرحلة من المكلا إلى وادي حضرموت والعودة ستة أسابيع من تسعة مايو إلى 21 يونيو عام 1931م⁽³⁾.

(1) باوزير. سعيد عوض، معالم تاريخ الجزيرة العربية من قبل الإسلام حتى منتصف القرن العشرين الميلادي، ص 335، مركز حضرموت للدراسات التاريخية، المكلا، حضرموت، الطبعة الثالثة، 1438هـ، 2017م.

(2) ميولين وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 7.

(3) ميولين وفيسمان. المرجع السابق، ص 5.

2 - طريق الرحلة:

اتبع مولن وفيسمان لبعض الوقت الطريق الذي سلكه فون فريدا وذلك من خلال رحلتهم إلى داخل البلاد وايضاً في طريق العودة منها، كما استفادا من الملاحظات التي سجلها ومن الخارطة التي رسمها، ذكر فون فريدا في خط سير رحلته انه مر بالخرية في وادي دوعن ثم انتقل إلى عمد وحورة وشبوة ومنطقة البحر السافي في اطراف الربع الخالي من الجهة الجنوبية الغربية، ثم قفل راجعاً إلى عمد والخرية⁽¹⁾.

في 26 مايو 1931م غادرت الرحلة سيئون إلى تريم ثم قامت بزيارة قسم وسنا وعينات وحصن العر والسوم والفغمة. وفي الثالث من شهر يونيو 1931م وصلت الرحلة قبر النبي هود وبير برهوت وهو من أهم أهداف الرحلة. وكانا أول غربيين وصلا إلى هذه المنطقة⁽²⁾.

وفي 10 يونيو 1931م وصلت الرحلة وادي عمد ومن هناك اتجهوا إلى ريدة الدين ثم دخلا وادي يبعث، وفي 15 يونيو 1931م وصلت الرحلة وادي حجر ثم الصدارة وميفع ثم عادت الرحلة المكلا عبر بروم في 21 يونيو 1931م⁽³⁾.

خامساً: أهم أهداف رحلة دانيال فان دير مولن:

1 - الأهداف السياسية:

كانت الرحلة ذات طابع سياسي فالرحلة مرتبطة بسياسة هولندا الاستعمارية التوسعية⁽⁴⁾ وهدفها الكشف عن بعض أسرار حضرموت⁽⁵⁾ والتعرف على المواطن

(1) باحاج. الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت، ص 36.

(2) باحاج. المرجع السابق، ص 38.

(3) باحاج. حضرموت في المؤلفات العربية والأجنبية، ص 36.

(4) ميولين وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 6.

(5) العقيقي. المستشرقون، ج 3، ص 673.

الأصلي للمغتربين من أبناء حضرموت⁽¹⁾. وكانت هولندا تريد ان تقف على الاوضاع في موطن الحضارم الأم عسى ان يساعدها في ضبط حكمها في مستعمرتها هناك⁽²⁾. خاصة بعد تزايد عددهم ونشاطهم في جزر الهند الشرقية حيث بلغ عددهم في تلك الجزر حوالي 80 الف نسمة⁽³⁾. حيث كان الهولنديون منذ وقت مبكر يتوجسون من الوجود الحضرمي في مناطق نفوذهم في اندونيسيا، فكانت الحكومة الهولندية تشدد في تطبيق قوانين المهاجرة عليهم فكانت تحصرهم في جهات خاصة، ولا تسمح لهم بالتجول من بلد إلى بلد إلا بإذن خاص⁽⁴⁾.

و من اهداف الرحلة السياسية توثيق العلاقة بين الإدارتين الهولندية والبريطانية في المستعمرات. فكانت هولندا تريد تطبيعها حيث كتب مولن يقول: "وانا على يقين من ان خير واحدا سوف ينبثق من هذه الحرب وهو اختفاء اخر الكراهية وعدم الثقة إلى شعبنا ارثاً من الماضي، حتى نستطيع ان نعمل سوياً يدًا في يد من الجهل الحضاري العظيم الممتد امامنا"⁽⁵⁾.

كما أنّ من أهداف الرحلة السياسية الدفاع عن السياسة البريطانية والدفاع عن الحضارم الذين يؤيدون تلك السياسة⁽⁶⁾. كما أنّ للرحلة اهداف استخباراتية حيث حرص صاحب الرحلة على ذكر الكثير من الأرقام والإحصائيات الحساسة والدقيقة كعدد القوة العسكرية القعيطية زمن السلم من (5000) جندي، منهم (3000) من الجنود الزنوج العبيد، ويوجد منهم في شبام (1000) في الخدمة المستديمة بينما

(1) باحاج. المرجع السابق،، ص 86.

(2) ميولين وفيسمان. المرجع نفسه، ص 6.

(3) باحاج. المرجع نفسه،، ص 86.

(4) البكري. تاريخ حضرموت السياسي، ج 2، ص 242.

(5) ميولين. رحلة في جنوب الجزيرة العربية، ص 6.

(6) ميولين وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 8.

(500) في الاحتياطي⁽¹⁾. كما ذكر عدد سكان المناطق الحضرمية؛ وهي بحسب التعداد التقريبي (المكلا 120000 / شحير 1500 / الشحر 9000 / شبام والقطن والقرى المجاورة لها 20000 / حريضة / سيئون 150000 / تريم 12000)⁽²⁾، وربما كان ذلك من الإحصيات التي تذكر عادةً ضمن الوصف العام في كتب الرحلات لكنها في هذه الرحلة الرسمية تدخل في صميم الأهداف الإستخبارتية⁽³⁾.

2 - الأهداف العلمية:

تعد رحلة مولن وفيسمان 1931 من أكثر الرحلات نجاحاً وتحقيقاً لأهدافها خاصة الأهداف العلمية فكانت الرحلة ذات طابع علمي تمثل في الآتي:

1. اهتمام فيسمان بالجوانب الجغرافية والجيولوجية أثناء الرحلة وتمكنه من رسم خريطة لحضرموت وأخذ العديد من الصور الفتوغرافية الرائعة، التي تمثل سجلاً حياً لحضرموت في ذلك الوقت وما زالت تحصى بالتقدير⁽⁴⁾. كما تمكنت الرحلة من جمع معلومات جغرافية و جيولوجية للكثير من مناطق حضرموت كالتكوينات الجيولوجية بمنطقة المكلا وضواحيها ووادي دوعن وعمد ووادي حجر⁽⁵⁾.

2. تعرف مولن وفيسمان على الأحوال الطبيعية والبشرية للمنطقة وكذلك النشاطات البشرية وتوزيع الحياة النباتية والحيوانية فيها.

(1) ميولين وفيسمان. المرجع السابق، ص 139.

(2) المرجع نفسه، ص 63.

(3) الجعدي. عبدالله سعيد، حضرموت رؤية هولندية من الداخل (رحلة دانيال فان درمولن)، مجلة حضرموت الثقافية. مجلة فصلية تصدر عن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والنشر، ص 37، العدد (27) رمضان 1444هـ، مارس، 2023م.

(4) المرجع نفسه. ص 6.

(5) باحاج. الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت، ص 36.

3. حلا لغز برهوت حيث رسما له خارطة تخطيطية لمداخله وتجوفاته الداخلية.
4. تمكنت الرحلة من جمع معلومات مفصلة عن زيارة قبر النبي هود عليه السلام.

5. نجح كل من مولن وفيسمان في الوصول إلى قلب حضرموت الداخل وتغلغلوا داخل الأودية الرئيسية فيها، مثل وادي حضرموت، وادي دوعن، وادي عمد، وادي حجر وجمعوا المزيد من المعلومات عن طبيعة الأرض والأنسان⁽¹⁾.
6. استفادت الرحالة من تجارب الآخرين فكانا على معرفة تامة بالحضارة وطباعهم وسلوكهم، لذا كانا تعاملهم مع الناس فيه كثير من التقدير والاحترام⁽²⁾.

3 - أهم الإنجازات العلمية للرحلة:

سجل الرحالة نتائج رحلتهم في كتاب ألفا ونشراه عام 1932م باسم حضرموت: ازاحة النقاب عن بعض غموضها، وهو كتاب حافل بالمعلومات الجغرافية يندر الحصول على مثلها دون القيام بمثل هذه الرحلة الشاقة⁽³⁾.

تكمن أهمية كتاب حضرموت إزاحة النقاب عن بعض غموضها في:

1. تعرض الكتاب للكثير من القضايا الحضرمية خاصة تلك القضايا التي تثير اهتمام الباحثين كالهجرة الحضرمية وطبيعتها.
2. إن الكتاب يصور جوانب من الحياة في حضرموت عام 1931م.
3. الكتاب ضرب من ادب الرحلات رفيع المستوى.
4. إن الكتاب يصور انطباع الأوروبيين عن الحياة في البلاد العربية.

(1) باحاج. الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت، ص 85.

(2) ايفا هويك. سنوات في اليمن وحضرموت، ص 25.

(3) باحاج. المرجع السابق، ص 83.

4 - دراسة آثار حضرموت:

كشفت الرحلة عن كنز كبير من كنوز حضرموت وهي الآثار. حيث تعرف مولن وفيسمان على ماتحويه مناطق حضرموت من آثار تاريخية وفحصا بدقة متناهية تلك الآثار، واخذا العديد من الصور⁽¹⁾. وأهم الآثار التي درستها الرحلة:

1. أنقاض قوم عاد.
2. جبل غمدان.
3. قلعة العر.
4. مقابر الملوك وبئر برهوت.
5. فحص النقوش في المشهد ورييون⁽²⁾.

5 - أهداف أخرى:

1. الهدف من تلك الرحلات تعريف أوربا على مناطق مجهولة بالنسبة لها فقد كانت بئر برهوت وقبر هود عليه السلام بل حضرموت كلها غير معروفة تمامًا لأوربا إلا من ثنايا بعض مجهودات بعض الرحالة فحقق فان وفيسمان سبق كشفني فكانا أول أوربيين يصلان إلى قبر هود عليه السلام وبئر برهوت⁽³⁾.

2. استكمال اختراق جزيرة العرب استكشافياً.
3. ان المؤلف ورفيقه، يعشقان الترحال وارتياذ المناطق المحفوفة بالصعاب⁽⁴⁾.

(1) ميولين وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 15.

(2) ميولين وفيسمان. المرجع نفسه.. ص 5.

(3) المرجع نفسه. ص 6.

(4) المرجع نفسه. ص 6.

سادساً: دوائر الاتفاق والاختلاف بين رحلة فان مولن وفون فريدا:

لقد تأكد لدى فيسمان أثناء المسح الميداني والتعرف على وادي عمد بأن فون فريدا وصف الوادي بطريقة تختلف عن ماهو عليه على الطبيعة، كما أنه فشل فشلاً ذريعاً في وصفه للمنطقة مما حدا بفيسمان إلى الاعتقاد بأن فريدا لم يقم بهذه الرحلة بنفسه. اما رواية البحر السافي فأنها رواية تثير الشك. حيث يعتقد فيسمان بأن فريدا سجل هذه الرواية من خلال سماعه للحكايات التي كان اصحاب القوافل يرددونها عن هذه الظاهرة. اما في ما يخص رحلته إلى صيف وهي الحد الشمالي لها وإلى وادي حجر فان وصفه لتلك المناطق يعتبر وصفاً جيداً ومطابقاً للواقع. وعلى أية حال فان فون فريد لا يزال يعتبر أعظم مكتشف لحضرموت لم يتمكن من أتى بعده أن يحدو حدوه⁽¹⁾.

1 - النظرة الدينية عند ميولن:

قامت جمهورية هولندا على أساس المبادئ البروتستانتية الكالفينية عام 1609م، وهي بمثابة انطلاقة للحركة الصهيونية المسيحية في أوروبا التي تأثرت بها الكثير من الشخصيات الأوروبية ومنهم فان ميولن. قد ترسخت النزعة الدينية في أذهانهم وهو ماظهر في انطباعاته وكتاباتاته المليئة بنبرة التعصب والغلو.

تحدث المؤلف حديثاً مستفيضاً عن مناطق حضرموت وأهلها المتعصبون دينياً - كما يدعي - وكان يسأل نفسه أحياناً هل هذه حضرموت المنعزلة، المتعصبة⁽²⁾.

تناول مولن في رحلاته الثلاث وضع اليهود الموجودين في اليمن ومولن من

(1) باحاج. الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت، ص 39.

(2) ميولين وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 137.

المؤيدين للبرنامج السياسي للحركة الصهيونية⁽¹⁾.

2 - مولن ونقد الحياة الاجتماعية في حضرموت:

اهتمت الرحلة بدراسة الحياة الاجتماعية في حضرموت، وكانت البلاد خلال هذه الفترة تعاني من اضطراب في الأمن ونقص في الأرزاق وهي نتاج الحياة السياسية القائمة التي أثرت في الحياة الاجتماعية والسياسية تأثيراً بالغاً جداً.

تحدث ميولن عن الظاهرة القبلية الفوضوية، وانعدام الأمن والثأر الدموي حيث تناول ميولن آثار الثأر ونتائجه الاجتماعية وأشار إلى ما خلفته هذه الظاهرة.

كما اهتم مولن بالهجرة الحضرمية كأهم ظاهرة اجتماعية زمن الرحلة وذلك من خلال أمور عدة منها رصدته لحركة الانتقال من جاوه، في أيام وصوله الأولى، وقدر نسبة الحركة السنوية للمهاجرين قدومًا ومغادرة بألف مسافر سنويًا، كما تحدث ميولن عن اختلاط الدم العربي بالجاوي⁽²⁾.

ومما سجله ميولن صورة الحياة الاجتماعية للأثرياء الحضارمة وذلك البون في مستوى المعيشة بينهم وبين أغلبية السكان، وكان ينتقد الأثرياء الحضارم لأنهم لم يجشّموا أنفسهم عناء العمل على اصلاح بلادهم وتقصيرهم في خدمتها ويستثني من ذلك ابوبكر بن شيخ الكاف الداعم السخي للتعليم والصحة في حضرموت.

اشاد ميولن بالكرم العربي، بوصفه سلوكًا يرتفع على الاتجاهات الفردية التي ميزت الحضارة العربية. ولفت مولن فيها غياب الحواجز بين كبار القوم وصغارهم، وفسر ذلك (بالحياة الديمقراطية)⁽³⁾.

(1) ميولن. رحلة في جنوب الجزيرة العربية، ص 9.

(2) الجعدي. مجلة حضرموت الثقافية، العدد (27)، ص 37.

(3) ميولن وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 137.

سابقاً: أبرز الأشخاص الذين قابلهم مولن أثناء رحلته:

تواصل مولن مع عدد كبير من افراد المجتمع الحضرمي كباراً وصغاراً فاتصل بعلية القوم من حكام وتجار وقيادات دينية وقبلية ومنهم:

1 - المؤرخ سعيد عوض باوزير:

خلال زيارة فان دير مولن لحضرموت الثالثة 1944م التقاء بالمؤرخ سعيد عوض باوزي⁽¹⁾. وتناقشا معاً حول بعض مسأله. وقد وصف باوزير مولن بالعلامة المستشرق. وقد نشر نجيب سعيد عوض باوزير كتاب بعنوان (حياة جديدة) تحدث عن التقاء والده بميولن في القطن ومناقشتها معاً لبعض الأمور التاريخية،⁽²⁾ ودار بينهما حديث حول الأطلال التي تقع بين قريتي السوم والخون على أكمة تقع في وسط الوادي وأخبره "مولن" أنه وجد فيها كتابة دلت على انها آثار قلعة حربية لإحدى الممالك الكندية القديمة، يقول باوزير بأن هذه الأطلال

(1) سعيد عوض باوزير: ولد بغيل باوزير سنة 1915م، تلقى دراسته الأولية في معلامة البكري بغيل باوزير، ثم التحق برباط بن سلم، وامتدت دراسته فيه عشر، ثم زاول مهنة التدريس ثم كاتباً بمجلس القضاء الأعلى بالمكلا ولم يدم فيه طويلاً. ثم قاضياً ثم مدرساً بمدرسة المعلمين ثم عمل أميناً لمكتبة المعارف بغيل باوزير وفي هذه المدة ألف كتبه التاريخية الثلاثة. توفي في 25 أكتوبر 1987م.

(2) باوزير. نجيب سعيد، حياة جديدة، - سيرة ذاتية وشهادات، سعيد عوض باوزير، ص 57، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الطبعة الأولى، 2003م. والمؤرخ باوزير اتصف بحواراته ولقائه بالمستشرقين الذين زارو حضرموت فالتقى للمستشرق البريطاني الدكتور روبرت سارجنت حيث جرت بينهما علاقة صداقة. كما التقى بالمستر فريفت الذي استقدمته الحكومة البريطانية لوضع خطة لتطوير التعليم في حضرموت، فوصلها في 27 مارس 1938م، وقضى عشر ايام بمدن ساحلها، التقاه باوزير عندما كان مديراً لمدرسة الهدى بالقطن عندما زارها فريفت. ينظر: باوزير حياة جديدة، ص 43.

تدعى حصن بلقيس⁽¹⁾. وتناقش مولن مع باوزير حول بئر برهوت حيث دخل مولن بئر برهوت وقال انه لم يجد فيها شيئاً يذكر غير انه يرجح أنها كانت مأوى لبعض القبائل التي ربما لجأت إليها في حروبها للأحتماء بها. وقال إن الخرافات التي حاكها التاريخ حول هذه الظاهرة الطبيعية إنما هي من نسج الخيال⁽²⁾.

2 - أبو بكر بن شيخ الكاف:

استعرض ميولن انجازات الكاف في حضرموت في كتاب الرحلة وكتبه الأخرى، وكان معجباً به أشد الأعجاب به وبدوره في دعم التعليم والصحة⁽³⁾.

يقول مولن عنه "السيد أبي بكر بن شيخ كان أول من أدخل السيارات إلى حضرموت وشق الطرق إلى سيئون وتريم، وأول من بنى المدارس ودعمها مادياً، وأول من جلب طبيباً هندياً يعمل في حضرموت"⁽⁴⁾.

3 - أبو بكر بن حسين المحضار:

من أول الشخصيات التي التقاء بها ميولن أثناء رحلته السيد أبو بكر بن حسين المحضار وزير الدولة القيعية الذي أعطا ميولن الاذن بالسفر في المناطق الداخلية من حضرموت شريطة أن يتولى عبيد الدولة حراسة الرحلة⁽⁵⁾.

4 - علي بن صلاح القيعي⁽⁶⁾:

(1) حياة جديدة، ص 57، 58.

(2) باوزير. حياة جديدة، ص 58.

(3) ميولين وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 86.

(4) باراس. سالم محمد بوجود، كتاب (حضرموت إزاحة النقاب عن بعض غموضها) ملاحظات وآراء، مجلة حضرموت الثقافية. مجلة فصلية تصدر عن مركز حضرموت

للدراستات التاريخية والنشر العدد (7) رجب 1439هـ، مارس، 2018م، ص 80.

(5) ميولين وفيسمان. المرجع السابق، ص 38.

(6) علي بن صلاح بن محمد بن عمر القيعي، ولد بقرية خريخر قرب الهجرين، الكنديين،

التقى ميولن بعلي بن صلاح في شبام أثناء رحلته وتناول في قصره الطعام⁽¹⁾.

5 - السلطان علي بن منصور الكثيري:

استعرض ميولن مع السلطان الكثيري الكثير من القضايا السياسية والاقتصادية وأهم القضايا التي تناولها اللقاء أوضاع الحضارم في جاوه. كما ناقش الجانبان سبل تحسين الأوضاع الاقتصادية التي تمر بها حضرموت⁽²⁾.

6 - عمر بن أحمد باصرة⁽³⁾:

التقى ميولن به في عوره في قصره وتناول معه الإفطار وأخذ معه بعض الصور⁽⁴⁾.

7 - محمد بن منصور الكثيري:

ابن اخ سلطان تريم. التقى به في قصر السلطان علي بن منصور الكثيري⁽⁵⁾.

8 - حامد بن علي الجعدي.

وقد أعجب ميولن به ولباسه الجاوي.

9 - محمد بن هاشم بن طاهر.

وهو عالم حضرمي لعب دورًا في دعم التعليم والصحة في جاوه⁽⁶⁾.

10 - عبدالله الحامد.

وتوفي بالريضة سنة (1368 هـ). كتب عن أخباره السياسية وحوادث عصره ابنه الأصغر الأستاذ عبد العزيز بن علي، وصدر الكتاب عن دار جامعة عدن في سنة (1999 م).

(1) المرجع نفسه. ص 137.

(2) ميولين وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص 148.

(3) عمر بن أحمد باصرة: حاكم دوعن تلقى تعليمه بالأزهر الشريف، توفي سنة (1350 هـ).

(4) ميولين وفيسمان. المرجع السابق. ص 86.

(5) المرجع نفسه. ص 144.

(6) المرجع نفسه. ص 199.

ووصفه بأنه له المعرفة بتاريخ حضرموت القديم⁽¹⁾.

11 - علي العطاس:

وهو رفيق ميولن في الرحلة ويلقبه ميولن أحياناً بعلي البدوي⁽²⁾.

12 - محمد بن منصور الكشيري.

13 - مصطفى بن أحمد المحضار⁽³⁾.

14 - عبدالله الحامد.

15 - سالم بن جعفر بن طالب.

16 - محمد بن هاشم بن طاهر⁽⁴⁾.

17 - عوض بن سعود بن شملان الجعيدي⁽⁵⁾.

ثامناً: التقرير العام للرحلة:

قدّمت الرحلة معلومات مفيدة وقيمة عن حضرموت، ووضعت أساساً متيناً للتعرف عليها، فقدّمت عرضاً وتصوراً للحياة الاجتماعية والاقتصادية للمناطق التي زارتها من حضرموت. وبحسب المعلومات التي خرجت بها الرحلة فإن النظرة الأولية تؤشر إلى أن حضرموت لا تمثل ثقل سكاني واقتصادي يمكن ان يهدد المستعمرات الهولندية. وأشارت إلى ضرورة أن تؤدي هذه الزيارة إلى تواصل

(1) المرجع نفسه. ص 199.

(2) المرجع نفسه. ص 156.

(3) بن سلمان. دو عن في الرحلات الأوربية والعربية (مشاهدات وانطباعات) 1843 - 1957 م، ص 54.

(4) ميولين وفيسمان. المرجع السابق. ص 156.

(5) المرجع نفسه. ص 225.

الصلات بين حضرموت وهولندا. كما أشار التقرير إلى أنّ تجربة الحضرمي مع الأجانب محدودة. وأنّ أسباب ضعف حضرموت هو انعدام الوحدة. كما أشار التقرير إلى أن البلاد بدأت تستيقظ وبدأت تدرك اهتماماتها المشتركة، وبدأت تصبوا للوحدة ولسلطة مركزية قوية.

تاسعاً: الآثار الإيجابية والسلبية لرحلة فان دير مولن لحضرموت:

1 - الآثار الإيجابية:

من الآثار الإيجابية للرحلة الآتي:

1. أنها وصفت حضرموت ومناطقها وأهلها وبيوتها وصفاً دقيقاً رائعاً.
2. أنها ضمت معلومات علمية جديدة عن حضرموت وما تخفيه من كنوز أثرية ومعالم حضارية.
3. بينت الرحلة سر قوة الحضارمة في الدين الإسلامي وثقافتهم المسالمة.
4. اتسم أسلوب الرحالة بالطرح المتزن وتجنب النظرة الأوربية الاستعلائية نحو الآخر؛ التي كثيراً ما تلاحظ في كتابات الرحالة والمستشرقين الأوروبيين.
5. أنها اقترحت الصعاب والأخطار لتدوين كل مشاهدات الرحلة. فاعتمد الرحّالة بشكل أساسي على مشاهداتهم وتجاربهم الخاصة، ثم اعتمدوا بعد ذلك على الرواة وشهود العيان.

2 - الآثار السلبية:

من الآثار السلبية للرحلة الآتي:

1. تعمّد ميولن الوصف الغرائبي المثير للدهشة والاعجاب. كالمبالغة في وصف بعض عادات سكان المناطق التي زارها وتقاليدهم.

2. لم تتحدث الرحلة عن الدور الهولندي في اضعاف الصف الحضرمي، و تشويه سمعتهم عند الإندونيسيين. والمعاملة الهولندية السيئة لهم. بل كانت الرحلة مرتبطت بسياسة هولندا الاستعمارية التوسعية⁽¹⁾.

3. أنها تدخلت في بعض خصوصيات المجتمع الحضرمي كالتركيز على وصف النساء، والحديث المبهم عن المرأة الحضرمية وحياة الأسرة⁽²⁾.

الخاتمة:

هذه اسطر وجيزة تبين بعضاً من أثر الرحلة الهولندية إلى حضرموت عام "1931م" ونتائجها. فقد وضعت هذه الرحلة أساساً متيناً للتعرف على حضرموت، ومهدت الطريق لمن بعدها وحققت نتائج باهرة لم تخطر على بال أحد، وقدمت وصفاً دقيقاً للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمناطق التي زارتها الرحلة من حضرموت.

التوصيات:

خرج البحث بعدة توصيات منها:

1. ضرورة العناية والاحاطة والالمام بكتابات الرحالة الذين كتبوا عن تاريخ حضرموت وترجمتها وطباعتها.
2. دعوة الباحثين وسكان المناطق التي زارتها رحلة ميولن أن يدلوا بدلوهم في مناقشة آراء الباحثان لأن ذلك سيساعد على تبيان الأحداث الحقيقية وتأصيلها.

(1) ميولين وفيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص6.

(2) ينظر: حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ص42، 43، 59، 89، 91، 100، 234، 235.

3. تنقيح وتفتيش الدراسات الغربية التي كتبها الرّحالة والباحثون عن حضرموت وتمييز الغث منها من السمين.
4. الاهتمام بآثار حضرموت وتراثها وتاريخها، من خلال اقامة الندوات والمحاضرات التي تكتب عن تاريخ حضرموت، فمن العيب ان نجد هؤلاء يهتمون بدراسة تاريخنا ونحن نغت في سبات عميق.
5. يجب أن يدرس تاريخ تلك البعثات في المدارس العسكرية والمدنية لما فيه من عبرة ودروس.

أهم المصادر والمراجع:

1. أباضة. فاروق عثمان، عدن و السياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839 - 1918 م، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة. 1987 م.
2. انجرامس. دبليو إتش، حضرموت 1934 - 1935 م، ترجمة الدكتور سعيد عبد الخير النوبان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2001 م.
3. ايها هويك. سنوات في اليمن وحضرموت، تعريب خيرى حماد، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، 1962 م.
4. البكري. صلاح، تاريخ حضرموت السياسي، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى علي الحلبي، 1936.
5. الجابري. رزق سعد الله، الحضارم في شرق افريقيا، دار حضرموت، المكلا، الطبعة الأولى، 2011 م.
6. الجعيدى. عبدالله سعيد، الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت 1918 - 1945 م، دار الوفاق، عدن، الطبعة الثانية، 2019 م.
7. في رحاب تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر (أبحاث ودراسات)، مطبعة وحدين الحديثة، المكلا، الطبعة الأولى، 2016 م.
8. جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1980.
9. با حاج. أحمد سعيد، الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت، مكتبة الجاسر، جدة، الطبعة الأولى، 1988 م.
10. با حاج. عبد الله سعيد، حضرموت في المؤلفات العربية والأجنبية، مكتبة الدراسات الفكرية والتقدية، الطبعة الأولى، 1425 هـ، 2004 م.
11. با حمدان. محمد سالم، شبام في كتابات بعض الرّحالة، الطبعة الأولى، 1445 هـ، 2024 م، مكتبة المتميز، المكلا. 202.
12. سرجيس فرانستوزوف. تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، العصور الوسيطة المبكرة (القرن الرابع - الثاني عشر الميلادي)، تقديم وتعريب: د.

- عبد العزيز جعفر بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، الطبعة الأولى 2004، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية.
13. بن سلمان. سالم عبدالله، دوعن في الرحلات الأوربية والعربية - مشاهد وانطباعات -، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الطبعة الأولى، 2110م.
14. الشاطري. محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر، تريم، الطبعة الثالثة، 1994م.
15. باصرة. صالح علي، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، الطبعة الأولى، 2001م.
16. ابن عبيد الله. عبدالرحمن السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، دار المنهاج، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م.
17. العقيلي. نجيب، المستشرقون، دار المعارف، مصر، 1964م.
18. عمشوش. مسعود سعيد، الحضارم في مهاجرهم، تاريخ الطبع، 2017م.
19. غالب. يحيى محمد أحمد، الهجرات اليمنية الحضرمية إلى اندونيسيا، الطبعة الأولى، 2008م، دار تريم للدراسات، حضرموت.
20. فان درمولن، وفون فيسمان. حضرموت، إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ترجمة وتعليقا للدكتور محمد سعيد القدال، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1998م.
21. فان درمولن. رحلة في جنوب الجزيرة العربية، ترجمة د. محمد سعيد القدال، الطبعة الأولى، دار جامعة عدن، عدن، 1999م.
22. فان درمولن. وجوه في بلاد العرب، ترجمة نجيب سعيد باوزير، الطبعة الأولى، 1437هـ، 2016م، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، حضرموت، المكلا.
23. الناجبي. عبدالله بن أحمد، حضرموت فصول في الدول والأعلام والقبائل والأنساب. او شذور من مناجم الأحقاف، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الثانية، 1999م.
24. نوبل بريهوني. حضرموت والمهجر السياسة اليمنية والهوية والهجرة، ترجمة بشير العيسوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1440هـ.

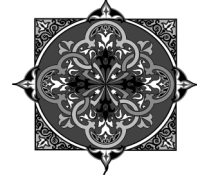
25. باوزير. خالد سالم. موانئ ساحل حضرموت دراسة إثنوآثرية، مكتبة دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1996م.
26. ميناء عدن دراسة تاريخية حضارية، دار الوفاق، 2013م.
27. باوزير. سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، مطبعة وحدين، المكلا، حضرموت، 1432هـ، 2011م.
28. معالم تاريخ الجزيرة العربية من قبل الإسلام حتى منتصف القرن العشرين الميلادي، مركز حضرموت للدراسات التاريخية، المكلا، حضرموت، الطبعة الثالثة، 1438هـ، 2017م.
29. باوزير. نجيب سعيد، حياة جديدة، - سيرة ذاتية وشهادات، سعيد عوض باوزير، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الطبعة الأولى، 2003م.

الدوريات والمجلات:

30. الجعيدى. عبدالله سعيد، حضرموت رؤية هولندية من الداخل (رحلة دانيال فان درمولن) مجلة حضرموت الثقافية. مجلة فصلية تصدر عن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والنشر، رمضان 1444هـ، مارس، 2023م.
31. باراس. سالم محمد بجود، كتاب (حضرموت ازاحة النقاب عن بعض غموضها) ملاحظات وآراء، مجلة حضرموت الثقافية. مجلة فصلية تصدر عن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والنشر العدد (7) رجب 1439هـ، مارس، 2018م.
32. الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية. بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية والمنعقدة في الرياض في المدة من 24 - 27 رجب 1421هـ، الموافق 21 - 24 أكتوبر 2000م، الجزء الثاني، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، 1424هـ.
33. عمشوش. مسعود سعيد، أهمية حضرموت للحالة والمستشرقين الاغانب على مر التاريخ، حلقة نقاش بعنوان الترجمة بحضرموت وأهميتها في الدراسات التاريخية، المكلا 21 / 3 / 2016م.
34. العمري. حسين عبدالله، اتصال الغرب باليمن وأهم بعثاتهم في العصر الحديث، مجلة دراسات يمنية، العدد (42) مجلة فصلية تصدر عن المركز اليمني للدراسات

والبحوث اليمني، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 1990م، ربيع ثاني، جماد الأولى، جماد الثانية، 1411هـ، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

35. الغول. محمد علي، هيرمان فون فيسمان، مجلة ريدان. حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة، (العدد الثاني)، 1979م تصدر عن المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، كريتر، عدن.



مدن الحجاز من خلال كتب الرحلات الحجية المغربية إبان ثلاثينيات القرن العشرين

نورالدين أحميان **Noureddine Ahmiane**⁽¹⁾

ملخص

حظيت مدن الحجاز بحضور قوي في كتب الرحلات الحجازية المغربية، حيث أقدم المغاربة على تدوين مشاهداتهم وانطباعاتهم حول هذه المدن، لاسيما مكة والمدينة. لذا تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز وضعية مدن الحجاز خلال ثلاثينيات القرن العشرين، من خلال كتب الرحلات الحجية المغربية، والتي تكمن أهميتها في تدوين مشاهدات وانطباعات عاشها أصحابها، وحيث أن المملكة العربية السعودية كانت في بداية تشكلها؛ فإن وضعية البنيات التحتية

(1) باحث في التاريخ المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب. أستاذ بالأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق.

Investigador en la historia, Facultad de Artes y Ciencias Humanas - Sais, Universidad Sidi Mohammed Ben Abdullah, Marruecos. Profesor de la Academia Regional de Educación y Formación del Este.

Ahmiane@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0007-3191-9772>.



والتجهيزات كانت ما تزال ضعيفة مقارنة مع ما تقدمه هذه الكتابات عن المدن الأوربية، مما جعلها تستأثر باهتمامهم.

الكلمات المفتاحية: الرحلات الحَجَّية، مدن الحجاز، مكة، المدينة، جدة، المملكة العربية السعودية، المغاربة.

Hejaz Cities through Moroccan Hajj Travel Books in the 1930s

Abstract:

The cities of the Hijaz had a strong presence in Moroccan Hijazi travel books, as Moroccans recorded their observations and impressions about these cities, especially Mecca and Medina. Therefore, this research paper aims to highlight the situation of the cities of the Hijaz during the thirties of the twentieth century, through Moroccan Hajj travel books, the importance of which lies in recording the observations and impressions experienced by their owners. Since the Kingdom of Saudi Arabia was in the early stages of its formation, the situation of infrastructure and equipment was still weak compared to what these writings provide about European cities, which made them attract their attention.

Keywords: Hajj trips, Hijaz cities, Mecca, Medina, Jeddah, Saudi Arabia, Moroccans.

مقدمة

شد المغاربة منذ بزوغ الإسلام الرّحال إلى الديار المقدسة لأغراض مختلفة، وكان أهمها لتأدية مناسك الحج، فألفوا مصنفات حول رحلاتهم هذه، عُرفت بكتب الرحلات الحجّية، وتضمنت الكثير من المعطيات حول بلاد الحجاز، وسنركز في

هذه الورقة البحثية على حضور مدن الحجاز في الرحلات الحجّية المغربية خلال الثلث الأول من القرن العشرين، التي تعدُّ مرحلة انتقالية في تاريخ منطقة الحجاز، التي شهدت سنة 1924م استلاء الجيوش السعودية على الطائف ثم السيطرة على مكة والمدينة، وانتقال لقب ملك الحجاز في عام 1926م إلى ابن سعود، وبعدها بعام أصبح عبد العزيز بن سعود ملكًا على نجد أيضًا، وتوحيد الحجاز ونجد سنة 1932م، تحت اسم المملكة العربية السعودية.

ركزت كتب الرحلات الحجّية أساسًا على مدن مكة والمدينة وجدة، التي أخذت حيزًا مهمًا في هذه المصنفات، وعلى الرغم من اعتمادنا في هذه الدراسة على رحلات متقاربة في الزمن (ثلاثينيات القرن 20)؛ فإن الصورة التي تقدمها كل رحلة تختلف عن الأخرى، لاختلاف مؤلفي هذه الرحلات من حيث التكوين، والوسط الاجتماعي الذي نشأ فيه والمنطقة التي ينحدر منها.

مثّلت سنوات ثلاثينيات القرن الماضي مرحلة تكوّن وبناء دعائم دولة آل سعود، التي عملت على تحديث البلاد وتطوير منشآتها، في مختلف الميادين، في محاولة لتنمية المدينة السعودية، مستعينة بتجارب بعض الأقطار الأخرى سواء العربية أم الغربية. لذا يسعى هذا الإسهام إلى إبراز خصائص المدينة السعودية خلال ثلاثينيات القرن العشرين من خلال وصف الرحلات الحجّية المغربية، مع الوقوف عند الجهود المبذولة من قبل السلطات السعودية قصد تطوير وتحديث شبكة المدن. فما طبيعة حضور مدن الحجاز في كتب الرحلات المغربية؟ وكيف نظر المغاربة إلى هذه المدن؟

1 - البنيات الثقافية والدينية:

التعليم أولى خطوات التحديث:

أعطى الرّحالة المغاربة القاصدين بلاد الحجاز لتأدية مناسك حجهم أهمية كبرى لوصف المؤسسات الثقافية والتعليمية، وفي مقدمتها المدارس، ومنها

تلك الموجودة بمكة، كمدرسة المسعى الابتدائية الأميرية الموجودة في شارع المسعى⁽¹⁾، ثم المعهد السعودي الإسلامي الموجود بالشارع نفسه (المسعى)، الذي أسسه الملك عبد العزيز بن سعود، وأعده الشيخ حافظ وهبة⁽²⁾ مستشار الحكومة الحجازية، لتكوين المعلمين، تُدرّس فيه العلوم الشرعية (من علم التوحيد والتفسير والفقه والحديث)، وعلوم اللغة (النحو والصرف والإملاء والخطابة والإنشاء)، بالإضافة إلى الانفتاح على اللغة الإنجليزية، ويتولى التدريس في هذا المعهد أساتذة من الحجاز ومصر⁽³⁾.

كما اشتملت المدينة أيضًا على مدرسة الفلاح الموجودة بشارع القشيشية، تُدرّس فيها العلوم الدينية والعربية إلى جانب العلوم الحديثة واللغة الإنجليزية، وتستوعب ثمانمائة تلميذ؛ وقد أسسها الشيخ المثري محمد علي زينك الهندي عام 1330هـ/ 1912، المتكفل بجميع مصاريفها، وله مدرسة أخرى بجدة⁽⁴⁾. لقد ظهرت بمكة، المدارس الحرة التي أسسها بعض الأفراد، كما كان الشأن بالمغرب أيضًا الذي عرف خلال هذه المرحلة ظهور المدارس الحرة التي كانت تابعة للأحزاب الوطنية. والشيء نفسه ينطبق على "المدرسة السلطانية بمكة، وهي مؤسسة هندية كبرى تجمع في أحضانها طبقات المسلمين من مختلف جهات الدنيا، وتُدرّس فيها العلوم الدينية باللغة العربية وأيضًا بلغات أجنبية أخرى كالأفغانية والإيرانية

(1) إدريس بن محمد الجعدي، رحلة حاج مغربي زمن الحماية الفرنسية 1930، تحقيق عز المغرب معنينو، أبوظبي، (2018)، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار السويدي للنشر، ط. 1، ص 79.

(2) حافظ وهبة: (1889 - 1967) دبلوماسي مصري، حصل لاحقًا على الجنسية السعودية، شغل عدة مناصب سياسية منها سفير المملكة العربية السعودية في المملكة المتحدة، ومستشار الملك عبد العزيز.

(3) الجعدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 78.

(4) نفسه، ص 79.

والتركية وغيرها، و"تقوم نفقات هذه المؤسسة الحرة من تبرعات الزوار؛ نظراً لكون الحكومة السعودية لا تعتمد على مداخيل سنوية قارة، لذلك لا توجد لديها مدارس رسمية بل كل التعليم في الحجاز آنذاك حريقوم على أكتاف أبناء البلاد ومساعدة زوار بيت الله"⁽¹⁾، ويستتج من كلام أحمد معينو أن أغلب المدارس كانت عبارة عن مدارس حرة، أسست من قبل الأهالي وتبرعات الحجاج.

حدد الرهوني في سنة 1937 عدد مدارس العلوم والكتاتيب التي تحتضنها مكة في 63، مستوعبة حوالي 1150 تلميذاً في زمن رفعت باشا التركي⁽²⁾، إلا أن الرهوني لا يذكر عددهم خلال سنة 1937، كما تحتضن المدينة مكتبتين، توفر عددًا من الكتب العربية والتركية والهندية⁽³⁾.

وبالنسبة للمدينة المنورة، تحدث الرهوني عن 17 مدرسة ابتدائية للعلوم الأولية، و12 مدرسة للصبيان⁽⁴⁾، ويظهر أن عددها كان أقل مما كان عليه الأمر في مكة، وكانت هذه المدارس والمعاهد تُكوّن الشباب وهم متشبعين بمبادئ الحكومة السعودية المؤسسة على إماتة البدع المحدثثة وإحياء السنة المحمدية، لكن مع إفراط وشدة⁽⁵⁾ في بعض المسائل⁽⁶⁾. كما احتوت المدينة المنورة على

(1) أحمد معينو، ذكريات ومذكرات، (دون تاريخ)، طنجة، مطبعة سبارطيل، ج. 3، ص 30.

(2) صدر أعظم عثماني لمدة ست سنوات، ما بين 1895 حتى وفاته في 1901 خلال فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني.

(3) أحمد الرهوني، الرحلة المكية (1355 - 1356 هـ / 1937 م)، (1941)، تطوان، منشورات معهد الجنرال فرانكو للأبحاث العربية الإسبانية، مطبعة الأحرار، 1941، ص 171.

(4) نفسه، ص 170.

(5) وصلت هذه الشدة إلى درجة أن قول الجعيدي: "ولا تدخل مسجداً أو محلاً للزيارة أو غيره إلا وتجد به جنوداً واقفين يراقبون أحوال الزائرين، ربما يفعلون شيئاً خارجاً عن الدين". الجعيدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 74.

(6) نفسه، ص 74.

18 مكتبة مقابل مكتبتين فقط بمكة، هذا بالإضافة إلى المكتبة التي كانت توجد بمسجد عثمان والتي ضمت 21255 كتابًا، وهذا ما يبرز ازدهار الحياة الثقافية بالمدينة مقارنة مع مكة⁽¹⁾.

المساجد والاستفادة من التحديث:

حظيت المساجد باهتمام بالغ من قبل الرحالة المغاربة، وقد خصص الرهوني حيزًا مهمًا للحديث عن مساجد مكة، وتحديد مواقعها، مثل: مسجد الفتح، ومسجد القبلتين، ومسجد الأعلى، ومسجد السقيا، ومسجد أبي بكر، ومسجد عثمان... وأهمها المسجد النبوي، الذي تحدث عنه بتفصيل بتحديد أبعاده وموضعه وتاريخ بنائه ومختلف الإصلاحات التي شملته مع مرور الزمن، ومنبره⁽²⁾. وبلغ عدد المساجد بمكة 67 مسجدًا صغيرًا، إضافة إلى 6 جوامع كبرى⁽³⁾؛ هذا مقابل 17 مسجدًا بالمدينة⁽⁴⁾.

وتحدث صاحب الرحلة المعينية هو الآخر عن المسجد الحرام من حيث أبوابه ومناراته، فذكر عدم إخضاعه لأي تغير منذ حجة الشيخ ماء العينين سنة 1858، باستثناء استبدال القناديل بالمصابيح الكهربائية⁽⁵⁾، وهكذا نستشف أن البلاد عرفت نوعًا من التحديث ولو جزئيًا من خلال الاعتماد على الطاقة الكهربائية، إذ كان المسجد ينور بقناديل الزيت إلى أن تمكن الشريف حسين سنة 1338هـ/ 1919م من إدخال الطاقة الكهربائية، لكن بقوة تيار كهربائي ضعيف، والذي رُفع

(1) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 171.

(2) نفسه، ص 172 وما بعدها.

(3) نفسه، ص 106.

(4) نفسه، ص 170.

(5) ماء العينين بن العتيق، الرحلة المعينية، (2004)، تحقيق محمد الظريف، أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط. 1، 2004، ص 153.

خلال مدّة حكم الملك عبد العزيز، مما مكن من زيادة عدد المصاييح، وجعلت ليل المسجد الحرام كنهاره⁽¹⁾.

2 - المرافق الاجتماعية:

وُجد في مكة المكرمة عدد من المرافق الاجتماعية المختلفة، حددها الرهوني سنة 1937 على الشكل التالي: حمامان، و20 سقاية للماء و20 صهريجاً⁽²⁾، إضافة إلى 19 رباطاً يأوي فقراء المدينة، و8 مطاحن، و60 فرنًا، و95 مقهى، و3000 دكان، ومتجران كبيران للمجوهرات⁽³⁾. وفيما يخص المدينة المنورة، قدم الرهوني جردًا لمختلف المرافق الاجتماعية بها: فهي تتكون من 80 دورًا للفقراء (التكايا)، و21 سقاية للماء، ومستشفى واحدًا و18 رباط (أي زاوية تأوي الفقراء) وقلعة واحدة وحمامان، وبها مقر للحكومة، و932 ما بين دكان ومخزن، و18 فرنًا، و36 مقهى، و4 منازل للصبغة، وهي كثيرة الفنادق⁽⁴⁾.

وإذا قمنا بمقارنة هذه المرافق الاجتماعية بما يوجد بمكة خاصة ما يرتبط بالحياة اليومية للسكان، فنجد أن الأفران كان عددها 60 بمكة مقابل 18 بالمدينة المنورة، والمقاهي 95 مقابل 36 بالمدينة. كما أن رواجها التجاري كان أقل من ما هو عليه الحال بمكة، فعلى الرغم من اشتغالها على حوالي 932 دكانًا إلا أن ذلك يظل ضعيفًا مقارنة مع مكة. مما يجعلنا نستشف أن عدد سكان المدينة كان أقل مما هو بمكة، ويؤكد ذلك الرهوني بقوله: "ثم وقع نقصان كبير حتى صار السكان من

(1) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، صص 102 - 103.

(2) نعتقد أن ارتفاع عدد الصهاريج راجع إلى الظروف الطبيعية ونوع المناخ الجاف الذي يسودها بسبب وقوعها في صحراء شبه الجزيرة العربية.

(3) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 106.

(4) نفسه، ص 170.

60.000 إلى نحو 15.000⁽¹⁾، إلا أنه لم يحدد أسباب هذا التراجع الذي عرفته ساكنة المدينة⁽²⁾.

أما بالنسبة للمرافق الصحية، ذكر الرهوني توفر مكة على صيدلية واحدة، ومستشفى عسكري، وآخر خاص للغرباء، بالإضافة إلى محجر صحي واحد بمكة، إلا أنه لم يعد يشتغل⁽³⁾، وهذا على عكس محجر المدينة المنورة الذي يقع التحقق فيه من الاختتام الصحية على جوازات الحجاج⁽⁴⁾، وتحدث محمد داود عن مستشفى أجياد، الذي كان يشتغل فيه عدد من الأجانب ومنهم طبيب سوري⁽⁵⁾.

إن وجود هذه المرافق، جعل الخدمات الصحية بالسعودية تشهد تحسناً خلال ثلاثينيات القرن الماضي⁽⁶⁾، التي تضمنت في عام 1937 بمدينة مكة الآتي: طبيب أسنان وأخصائي عيون، وطبيباً لأمراض المناطق المدارية، وطبيباً لأمراض النساء، وآخر لأمراض البطن، وطبيباً لأمراض الأطفال، وممرضة توليد النساء (قابلة)، وجراحاً، وكان كل هؤلاء سوريين باستثناء ممرضة التوليد المصرية. وفي المدينة المنورة وجد طبيب تركي، وفي الرياض وجد طبيب سوري وممرضة توليد، أما ينبع فلم يوجد بها أي طبيب⁽⁷⁾.

(1) الرهوني، الرحلة المكية، م. س.، ص 170.

(2) نفسه، ص 183.

(3) نفسه، ص 106.

(4) محمد داود، الرحلة الشرقية، تقديم حسناء داود، (2014)، الرباط، دار أبي رقرق، ص 106.

(5) نفسه، ص 91.

(6) S. A., Notes entitled "Sanitary Control of the Mecca Pilgrimage". En: Records of the Hajj: A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca. Health affairs and the Hajj, Vol. 9, London, (1933), p. 680.

(7) S. A., Report issued by Mr. Trott to Mr. Eden, Jadda, august 09, 1937, en:

اعتمد تدبير المستشفيات على نظام مزدوج حيث نجد المستشفيات الحكومية في جدة ومكة والمدينة وهي صغيرة وسيئة التجهيز، وإلى جانبها توجد شبكة كبيرة من المستوصفات والمستشفيات الدائمة التابعة للحكومات الأجنبية في أثناء مواسم الحج في مكة، كما في المدينة المنورة، حيث تمتلك الحكومة المصرية مستشفيات يعمل بها أطباء متخصصون، والشيء نفسه بالنسبة للهنود الذين كانت لهم عدة مستشفيات بمختلف مدن الحجاز⁽¹⁾، أما إيطاليا فقد قامت هي الأخرى ببناء مستشفى لها خلال أواخر سنوات الثلاثينيات من القرن الماضي بالمدينة⁽²⁾.



صورة لواجهة المستشفى الإيطالي الإسلامي بالمدينة في سنة 1938

CHANTRE, Le pèlerinage à La Mecque, op. cit, p 793

Records of the Hajj: A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca.

The Saudi period, (1935 - 1951), Vol. 7, London, (1933), p. 198.

(1) Luc CHANTRE, Le pèlerinage à La Mecque à l'époque coloniale (v. 1866 1940): France - Grande - Bretagne - Italie, These doctorale, Universite de Poitiers, 2012, France, p 465 - 466.

(2) Ibid. p 637.

شيدت فرنسا مستشفى خاص بها بشارع جياذ بمكة وصفه الجعدي بأنه "عبارة دار فسيحة بها بيوت نظيفة وعدة طبقات يقصدها المغاربة ومحبي الدولة الفرنسية كافة، فيجدون فيها غاية راحتهم وأمنيتهم، ومن أراد النزول بها فله ذلك"⁽¹⁾، فكان الحضور الفرنسي في هذا الجانب أقل بكثير مقارنة مع بريطانيا التي امتلكت العديد من المستشفيات بمختلف المدن⁽²⁾، وفي مقابل هذا الحضور من قبل القوى الإمبريالية نسجل غياب أي حضور إسباني في هذا الجانب، ويمكن تفسير الأمر بكون إسبانيا لم تعمل من قبل على تنظيم رحلات حجية لفائدة سكان مستعمرتها بالمغرب، وكان تنظيم الحج سنة 1937 أول تجربة في التاريخ الاستعماري لإسبانيا، هذا بالإضافة إلى غياب أي تمثيل دبلوماسي لإسبانيا فوق الأراضي السعودية.

3 - الحياة الاقتصادية بمدن الحجاز

ظهور صناعة ناشئة:

احتوت مكة على عدد من المنشآت الصناعية وصل عددها إلى 17 مصنعاً، ومدبغتين للجلود ومسلختين، و17 كوشات للجير، ومصنعاً للفخار⁽³⁾، كما وجد في مكة وحدة مصنعية لإنتاج الثلج والمثلجات⁽⁴⁾، ومرد ذلك إلى طبيعة المناخ الصحراوي الحار المنتشر بالمنطقة، مما فرض وجود مثل هذا المصنع.

لكن رغم ذلك يمكن القول بأن النشاط الصناعي كان ضعيفاً، حيث لم تتمكن السلطات السعودية من تحديث البلاد، وإنتاج كسوة الكعبة المشرفة، التي كانت تأتي من مصر منذ زمن بعيد، وفي سنة 1341 هـ / 1922 م حدث خلاف بين الشريف

(1) الجعدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 78.

(2) CHANTRE, Le pèlerinage à La Mecque, op. cit, p 463

(3) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 106.

(4) الجعدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 80.

حسين والمصريين، فتوقف الإتيان بالكسوة من مصر، وبعد استيلاء الملك عبد العزيز على مكة في سنة 1343هـ/ 1924 كساها المصريون من جديد إلا أنهم توقفوا عن ذلك، فأنشأ الملك عبد العزيز داراً للحياكة، واستمر العمل بذلك إلى غاية موسم حج سنة 1937، حينما تصالح الملك عبد العزيز مع المصريين وعادت العلاقة بين البلدين، بعدما كانت قد شهدت توتراً بسبب حادثة المحمل المصري سنة (1) 1926، فأعادوا مرة أخرى كسوة الكعبة المشرفة (2).

رواج تجاري مواكب للتدفق البشري على الحجاز:

يظهر في الرحلات الحجاجية المغربية كثرة الحديث عن الأسواق بمكة، ومن بينها سوق الحلقة، الذي تباع فيه الخضار والفواكه التي ترد من الطائف (3)، وتميزت شوارع مكة بكثرة المحلات التجارية، "المملوءة بأصناف البضائع والمأكولات المتنوعة والأدوات المنزلية، والفواكه المحفوظة، والمرببات الجاوية والهندية، ومحلات عديدة لشرب المبردات والحلويات المثلجة، وبالجملة فمدينة مكة المكرمة من المدن المهمة العظيمة في العالم تجارة وعمارة (4). أما الأقمشة

(1) في سنة 1926 اشترط ابن سعود على المصريين وصول المحمل المصري الذي يحمل كسوة الكعبة مع التخلي عن الموسيقى العسكرية المرافقة له، والتي تتعارض مع الوهابية، وقبل المصريون ذلك، لكن في أثناء مرور القافلة حدثت مناوشات وإطلاق نار على المصريين المتهمين بالكفر من قبل الوهابيين، فأعيد المحمل إلى وطنه على أعقاب ذلك، وانقطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين (مصر - السعودية) لقراءة 10 سنوات، إلى أن وُقِّعت معاهدة القاهرة في مايو 1936، التي بموجبها عاد المحمل المصري إلى الديار المقدسة، ومنحت هذه الاتفاقية للمصريين العديد من الامتيازات من قبيل تطوير شبكة الطرق، وتحسين إمدادات المياه.

CHANTRE, Le pèlerinage à La Mecque, op. cit, pp 426 - 454.

(2) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 90.

(3) الجعيدى، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 80.

(4) نفسه، ص 80.

والمنسوجات الواردة من الهند ومصر وسوريا، والبضائع المستوردة من أوروبا، فكانت توجد بحارة الشامية بشارع المسعى⁽¹⁾.

وكان شارع المسعى يؤدي إلى "طريق مسقوفة بها محلات تجارية كثيرة، تباع فيها أصناف السلع والمأكولات والتحف والهدايا التي يأخذها الحاج معه الى وطنه، ومنها إلى سوق الجدرية وبه تباع الثياب وأدوات المنزل والأقمشة وجميع البضائع، وبياب السلام تباع الكتب التي ترد من الخارج، ويوجد هناك دكاكين كثيرة للتحف وبيع الكحل والمكاحل المزخرفة وغيرها من الأشياء التي تباع للحجاج"⁽²⁾، قصد حملها إلى بلدانهم كهدايا أو تذكارات.

ذكر الرهوني بأن عدد المتاجر والدكاكين بلغ أكثر من 3000 دكاناً⁽³⁾، ولعل هذا العدد الكبير من المحلات التجارية إضافة إلى وجود مرافق اقتصادية أخرى أسهمت في خلق رواج اقتصادي بالمدينة، لاسيما خلال مواسم الحج، وجعل مكة تحتضن "سوقاً عظيماً لتجارة مكة"⁽⁴⁾، رغم أن البضائع التي تروج فيه تأتي من مناطق أخرى لاسيما المنتجات الفلاحية نظراً لمناخها الجاف.

أما أسواق جدة، فهي متسعة، دورها مبنية من الحجارة الصلبة على شكل بناءات مكة، بسيطة للغاية عديمة الرونق والبهجة، وأسواقها مكتظة بأنواع السلع وأصناف المأكولات، وبها مراكز لقناصل الدول المعترفة بحكومة آل سعود⁽⁵⁾.

العملة الرائجة في مدن الحجاز:

راجت بمكة عملات عدة، وخاصة الليرة الذهبية، والريال السعودي الفضي،

(1) الجعدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 79.

(2) نفسه، ص 79.

(3) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 106.

(4) نفسه، ص 106.

(5) الجعدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 88.

وتساوي الليرة من الذهب، 20 ريالاً ونصف سعودي، وفي الريال 22 قرشاً من الفضة وحوالي 80 هللة نحاس، وتداولت أيضاً العملات الأوربية كالفرنك الفرنسي⁽¹⁾. وأمام شيوع العملات المختلفة، فقد وُجد بالمدينة المنورة مصارف عديدة راجت فيها جميع السكك النقدية، وبالأخص النقود الحجازية والهندية والإنجليزية والفرنسية⁽²⁾؛ نتيجة توافد الحجاج من مختلف الأقطار على الديار المقدسة، لكن بالنسبة للمغاربة المتمين إلى منطقة الحماية الإسبانية كان عليهم حمل مبالغ بالعملة الإنجليزية⁽³⁾، مما يوضح عدم تداول العملة الإسبانية (البسيطة) بمدن المملكة العربية السعودية.

4 - شبكة الاتصال والمواصلات

ضعف شبكة الطرق ومحاولات التحديث؛

ركزت كتب الرحلات فيما يتعلق بالبنيات التحتية على وصف الشوارع والطرق، حيث وصف محمد داود الطريق ما بين جدة ومكة⁽⁴⁾ بأنها طريق غير

(1) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 107.

(2) الجعدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 74.

(3) AGA. (Archivo General de la Administracion en Alcala de Henares), Telegrama del Capitán Interventor Regional de Gomara al Interventor de Ued Lau, Beni Helil, Tamorot, Xauen, 18 - 01 - 1937. Caja 64 / 0749.

(4) وصف تاكيشي سوزوكي الياباني هذه الطريق التي تربط أيضاً جدة ومكة بأنها كانت جد سيئة، وقال عنها: "كان الطريق (بين جدة ومكة) في بعض الأماكن صخرياً، يعلو بنا ويهبط، ومن هنا وجب علينا أن نتماسك، وأن نلصق أجسامنا بالسيارة حتى لا نرتطم بها، من شدة الاهتزاز، كان الطريق يرتفع ويهبط بشدة".

تاكيشي سوزوكي، ياباني في مكة، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم، سارة تاكاهاشي، (2010)، الرياض، منشورات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط. 2، ص 103.

معبدة، لكنها تتوفر على محطات الاستراحة التي تُوفر الأكل والشرب⁽¹⁾، وتتميز هذه المحلات بنظافتها، وتوفر المياه على طول الطريق، وهي سهلة المنال⁽²⁾، رغم الطبيعة الصحراوية الجافة. وحسب الجعدي (1930) فقد شرعت الحكومة السعودية في إصلاح الطريق بين جدة ومكة، وصارت تنزل بها آلات الإصلاح⁽³⁾، وهي الطريق التي ذكر الرهوني بأن السلطات السعودية شرعت في تعييدها عام 1937، والمقرر الانتهاء من أشغال تهيئتها في الموسم القادم⁽⁴⁾، لكن في سنة 1938 كانت هذه الطريق (بين جدة ومكة) مرصوفة فقط على مسافة 100 متر من بوابة جدة، وقد قامت الحكومة المصرية برصف هذا الجزء كتجربة لتستطيع توقيع عقد رصف هذا الطريق إلى مكة بمواصفات هذا المقطع المنجز عند بوابة جدة⁽⁵⁾. وذكر الحجوي الذي حج في عام 1946، انعدام طرق منظمة ومزففة تزفيتاً حسناً، بالمملكة العربية السعودية، باستثناء الطريق الرابطة بين جدة ومكة، الممتد لحوالي 70 كيلومتر، وقد أُصلحت بأحباس المصريين على الحرمين⁽⁶⁾.

كما تقرر في سنة 1938 إصلاح الطريق الرابطة بين مكة وعرفات على طول 21 كيلومتر⁽⁷⁾، غير أن كتب الرحلات المغربية لم تتحدث عن هذه الطريق هل أُصلحت أم لا.

(1) داود، الرحلة الشرقية، م. س، ص 89.

(2) الجعدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 76.

(3) نفسه، ص 76.

(4) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 162.

(5) سوزوكي، ياباني في مكة، م. س، ص 103.

(6) محمد بن الحسن الحجوي، رحلة حجازية، تحقيق عبد المجيد خيالي، (2010)، بيروت،

مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، ط. 1، ص 76.

(7) "عمران الحجاز المنتظر: ما تقرر إجراؤه من الإصلاحات"، الجامعة الإسلامية، ع 1398،

5 - 11 - 1938، ص 2.

أما الشوارع والأزقة داخل مكة فقد تحدث الجعدي عن اهتمام بلدية مكة بتوسيع شوارع المدينة وتنظيفها طبق النظام الحديث، وبأن "طرق مكة فسيحة نظيفة قابلة للتحسن والتنظيم"⁽¹⁾، فإذا كان الجعدي الذي زار مكة في سنة 1930 يقول بأن شوارعها فسيحة فإن تاكيشي سوزوكي (محمد صالح) الياباني الذي حج سنة 1938 يقول عكس ذلك، خاصة الطريق المؤدي إلى الكعبة، واصفًا إياه بأنه شارع ضيق ومظلم⁽²⁾، ومن ثم فإن نظرة الرحالة إلى ما يراه حوله تختلف حسب ثقافته والوسط الذي يعيش فيه، فالجعدي المنتمي إلى مدينة سلا حيث الأحياء والأزقة الضيقة يرى بأن شوارع مكة واسعة وفسيحة مقارنة مع وسط عيشه، في الوقت الذي يرى فيه تاكيشي سوزوكي القادم من اليابان عكس ذلك.

وأكبر شوارع مكة نجد "الشارع الممتد من الغرب إلى المشرق فالشمال، ويتبدى غربًا بحي جروة ويسمى بعد مسافة قليلة بحارة الباب، ثم ينحدر شرقًا ويسمى بالشبيكة، ثم يعطف جوار الحرم المكي ويسمى حينئذ بالسوق، وفيه محلات مهمة وبناءات عديدة كدار البريد والتلغراف، ودور الحكومة الحجازية النجدية، ودار النيابة العامة، والخارجية الحجازية، ورياسة المالية والمحاسبة الداخلية، وقلم المطبوعات، وإدارة الأمن العام والمصارف، (...)، وقرب هذا الشارع تكية الأوقاف المصرية التي تفرق الصدقات على الفقراء، ولها أطباء وصيديات لصرف الأدوية ومعالجة الضعفاء مجانًا، وهي بجانب دار النيابة العامة"⁽³⁾.

أما الشارع الثاني بمكة فهو شارع أجياد الذي وُصف بأنه "أطيب شوارع مكة هواء وموقعًا، وبه دار المؤتمر الإسلامي، وإدارة صحيفة (الإصلاح) (...) وبها أيضًا

(1) الجعدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 77.

(2) سوزوكي، ياباني في مكة، م. س، ص 121.

(3) الجعدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 77.

مكتبة إدارة جريدة دار أم القرى، ومطبعتها، ومديرية المعارف العامة، والمصنع الذي أسسه الملك لصنع كسوة الكعبة المشرفة، والمعهد السعودي الإسلامي (الذي تحدثنا عنه سابقاً)، وبهذا الشارع يوجد المستوصف المغربي - الفرنسي⁽¹⁾.

يؤدي شارع أجياد إلى شارع المسعى الرابط بين الصفا والمروة عن يمين البيت الحرام⁽²⁾، وظل الشارع بدون رصف إلى أن تمكن الملك عبد العزيز من تحقيق ذلك عام 1345هـ/ 1926؛ وذكر الرهوني في عام 1356هـ/ 1937 بأن هذا الشارع سيبلط بالحجارة⁽³⁾، وحدث ذلك فعلاً، حيث تحدث الحجوي سنة 1946 بأن هذا الشارع كان مبلطاً بالحجارة تبليطاً حسناً من قبل المصريين⁽⁴⁾. كما كانت هناك "شوارع أخرى فسيحة نظيفة مملوءة، (...)، وبالجملة فمدينة مكة المكرمة من المدن المهمة العظيمة في العالم تجارة وعمارة"⁽⁵⁾.

وبمنى أربعة شوارع "اثنان قديمان والآخرا أحدثا هذه السنة (1930) حرصاً على عدم ازدحام الشقادييف والجمال، وبها دكاكين وأسواق لبيع جميع أصناف المأكولات، وتوجد فيها أيضاً عدة بناءات ودور عديدة ينزل فيها الحجاج"⁽⁶⁾، وتمت إنارة الطريق التي تربط منى بمكة، وآخر رابط بين منى وعرفة⁽⁷⁾، في إطار سعي دولة آل سعود مباشرة بعد فرض سيطرتها على السلطة إلى تحديث البلاد. ولأن سنوات الثلاثينيات شكلت بداية تكون دولة السعودية؛ فإن البنيات التحتية

(1) الجعدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 77 - 78.

(2) نفسه، ص 78.

(3) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 104.

(4) الحجوي، رحلة حجازية، م. س، ص 93.

(5) الجعدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 80.

(6) نفسه، ص 58.

(7) نفسه، ص 86.

بها كانت لا تزال ضعيفة، فأهم طريق بها هو الرابط بين المدينة المنورة ومكة المكرمة، لم يكن معبداً بعد، فقد تحدث إدريس بن محمد الجعدي سنة 1930 عن سوء هذه الطريق، فهي "كلها حجر ورمل لم يشقها يد الإصلاح، ومن العجب مرور السيارات فيها بسرعة، ومعدل السرعة نحو أربعين كيلومتر في الساعة، وربما تسير السيارات في قوة ستين أو سبعين في الساعة"⁽¹⁾.

يبدو أن هذه الطريق لم تعرف أي تحسن خلال المدة الممتدة من 1930 إلى 1937، حيث اشتكى الرهوني في رحلته سنة 1937 من ضعف البنيات التحتية، لاسيما ما يتصل بالطريق الرابطة بين مكة والمدينة⁽²⁾، بسبب رداءتها ومعاناة الحجاج معها، مما جعله يطلب من الحكومة القيام بإصلاحها⁽³⁾، وعن رداءة هذا الطريق يقول: "وتوغل السيارات في الرمال يبقى الجميع سيرا 14 ساعات في جبال رمال رخوة وفي داخل بعضها الحجارة لا يشعر الإنسان إلا والسيارة قد اصطدمت بتلك الحجارة فارتفعت وارتفع من فيها أو توعرت في تلك الرمال حتى كادت تغيب"⁽⁴⁾. ويستفاد من هذه الإشارة، وعورة المسالك الطرقية الرابطة بين مكة والمدينة، وعدم تعبيد الطرق بدليل توغل السيارات في الرمال. وإذا كان الطريق بين

(1) الجعدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 75.

(2) لم يقع الاهتمام بالنقل بواسطة السيارات في الحجاز إلا في سنة 1926، وكانت أغلب السيارات التي تستعمل من شركة فورد (Ford) أو شيفروليه (Chevrolet) أو فيات (Fiat)، وكان الوصول إلى مكة من جدة يستغرق ثلاث ساعات بدلاً من 36 ساعة بالجمال، والانتقال من المدينة إلى مكة يستغرق ما بين 15 و 18 ساعة بدلاً من 20 يوماً بالجمال، ونتيجة لهذا الأمر بدأ الاهتمام والطلب على السيارات يتزايد مع توالي السنوات، وكان استعمال السيارات في البداية يقتصر على النخبة البورجوازية لارتفاع تكاليفها.

CHANTRE, Le pèlerinage à La Mecque, op. cit, p 512.

(3) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 186.

(4) نفسه، ص 161.

هاتين المدينتين المهمتين بسبب حركية الحجاج غير معبدة، فما هو الحال بباقي طرق الدولة؟

وقد أوعز الملك عبد العزيز عدم إصلاح الطريق الرابط بين مكة والمدينة إلى ضعف الإمكانية المادية للدولة، التي لا تسمح بمثل هذه الإصلاحات، لذا كان على كل المسلمين في مختلف البلدان أن يسهموا في إصلاح هذا الطريق⁽¹⁾، وفرضت ضريبة إضافية على الحجاج قصد إصلاح الطرق بالحجاز⁽²⁾، وقدّر المهندسون المصريون تكلفة تعبيد هذه الطريق ب 360 ألف بارة مصرية، مما جعل الملك عبد العزيز يعقد العزم على إصلاحها⁽³⁾.

لكن يبدو، أنه إلى غاية سنة 1939، كانت هذه الطريق التي اشتكى منها الرهوني لا تزال على حالتها، وهو ما يستشف من قول ابن العتيق: "فلما بلغنا كراع الغميم، غاصت السيارة في خضخاض هناك، وفسد من آلتها ما عاقها عن الجري"⁽⁴⁾.

في سنة 1933 حصل مندوب شركة فورد بالحجاز على امتياز احتكار استيراد السيارات، وإنشاء محطات للتزود بالوقود على طول طرق الحج⁽⁵⁾، على أن أهم ما ميز الطرق بمختلف المناطق السعودية هو سيادة الأمن بها، وغياب أعمال النهب والسرقة بها⁽⁶⁾.

(1) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 115 - 116.

(2) S. A., Report issued by Mr. Trott to Mr. Eden, Jadda, august 16, 1938, en: Records of the Hajj: A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca. The Saudi period, (1935 - 1951), Vol. 7, London, (1933), p. 291.

(3) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، صص 161 - 162.

(4) ابن العتيق، الرحلة المعينية، م. س، ص 169.

(5) CHANTRE, Le pèlerinage à La Mecque, op. cit, p 463.

(6) Ibid. P 540 - 55441.

أما شوارع المدينة المنورة فقد أشاد الجعيدي بنظافتها، بينما عاب فيها ضيقها، رغم جهود الحكومة السعودية "لتوسيع بعض الشوارع، وقائمة على ساق الجد في شأن الرش والتنظيف في كل وقت"⁽¹⁾. وترجع هذه الحالة الضعيفة لشبكة الطرق بالسعودية إلى ضعف مداخل الدولة، وشكل الحجاج أهم هذه المداخل لأن البترول لم يكن قد اكتشف بعد⁽²⁾.

وبالنسبة لجدة، فشوارعها ضيقة جداً مما جعل المارة يضطرون إلى دفع بعضهم بعضاً، وسط زحام شديد، وهي شوارع تختلط فيها الحمير والجمال والسيارات إلى الجانب الراجلين⁽³⁾. رغم أن مدينة جدة شكلت مفتاح باب الحجاز على الخارج⁽⁴⁾، عبر مرساها في شرق البحر الأحمر، وهو أعظم مرفأ للحكومة الحجازية، إلا أنه صعب المدخل⁽⁵⁾، فتضطر البواخر إلى التوقف في وسط البحر، وينزل الركاب إلى الميناء عبر استخدام المراكب الصغيرة، "التي يصعد فيها الركاب فهي ذات قلاع تقطع المسافة بين الميناء والبابور في نحو ساعتين لصعوبة المدخل كما ذكرنا"⁽⁶⁾، ولتدارك هذا التأخير ولتطوير الملاحة البحرية أقدمت الحكومة السعودية في سنة 1934 على إنشاء شركة وطنية للنقل البحري باسم الملاحة البخارية العربية⁽⁷⁾.

وبالموازاة مع بداية تهيئة الطرق خلال سنوات الثلاثينيات، ظهر النقل الجوي بين مكة والمدينة، الذي كانت تؤمنه الطائرات المصرية، في رحلة لمدة 3 ساعات، إلا

(1) الجعيدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 73.

(2) معنينو، ذكريات ومذكرات، م. س، ص 29.

(3) سوزوكي، ياباني في مكة، م. س، ص 89.

(4) معنينو، ذكريات ومذكرات، م. س، ص 28.

(5) الجعيدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 88.

(6) نفسه، ص 89.

(7) CHANTRE, Le pèlerinage à La Mecque, op. cit, p 514.

أن الرهوني قال بأن وسيلة النقل هذه اقتصرت على الحجاج الأغنياء بسبب ارتفاع تكلفتها⁽¹⁾. ويعود ظهور النقل الجوي إلى سنة 1936 حينما استأجر بنك مصر الذي يمتلك شركة شحن خاصة به "مصر للسفن البخارية"، طائرة من شركته "إير مصر" (Air Misr) تربط بين القاهرة وجدة، من أجل السماح لأخت الخديوي السابق بالسفر جواً، ثم بعد ذلك تقرر توسيع مواد اتفاقية 1926، ففي سنة 1937 افتُتح خط جوي يربط بين القاهرة وجدة، ثم بين جدة والمدينة المنورة، لكن بسبب فرض السلطات السعودية لضريبة مرتفعة على النقل الجوي، ألغِيَ الخط في عام 1939⁽²⁾.

تطوير شبكة الاتصال ضرورة لتحقيق الانفتاح:

لكون المدينة المنورة يقصدها الحجاج من كل حذب و صوب؛ فقد عملت السلطات السعودية على توفير وسائل الاتصال بها، وفي مقدمتها "محلات للبريد والتلغراف إلى سائر الأقطار، إلا أن البريد لا يصدر إلا مرة واحدة في الأسبوع"⁽³⁾، وذكر الجعدي بأن التلغراف يصدر مرة واحدة فقط في الأسبوع، إلا أنه لم يعتمد إلى ذلك خلال حديثه عن تلغراف مكة⁽⁴⁾، وبمنى أيضاً تحدثت الكتابات عن التلغراف الذي كان يسمح بالاتصال بجميع أقطار العالم، مستفيداً من توافر الطاقة الكهربائية⁽⁵⁾.

بالإضافة إلى البريد والتلغراف عملت سلطات آل سعود على تحديث البلاد، بربط المدينة بخطوط الهاتف، التي وفرت للأهالي التخاطب "فيما بينهم بداخل البلاد

(1) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 192.

(2) CHANTRE, Le pèlerinage à La Mecque, op. cit, p 574.

(3) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 74.

(4) نفسه، ص 77 - 86.

(5) نفسه، ص 86.

فقط"⁽¹⁾، إذ لم تكن الاتصالات الهاتفية خلال هذه المرحلة (1930) متاحة خارجياً.

5 - المناخ يفرض البحث عن المياه

سيادة المناخ الصحراوي في المدينة المنورة، جعلها تعاني نقصاً في المياه، وهو ما دفع إلى العمل على جلب مياه "عين حنين"، التي تعرف أيضاً بـ "عين زبيدة" زوجة هارون الرشيد، التي أمرت بإحداث هذه القناة في جبال القبة على بعد 40 كيلومتر عبر قناة مغطاة بالحجارة تتخللها فتحات لأخذ الماء منها، وبجانب كل فتحة صهاريج لشرب السكان وأخرى خاصة لتروية عطش الحيوانات⁽²⁾. كما كان يرد إليها ماء الشرب حسب الجعيدي من "العين الزرقاء" القريبة من مسجد قباء وماؤها عذب خفيف للغاية⁽³⁾.

ولتجاوز نقص المياه بمدينة جدة، لجأت الحكومة إلى معالجة مياه البحر واستعماله، وحول هذا الأمر يقول الجعيدي: "ولا ماء فيها للشرب سوى ما يطبخ من ماء البحر"⁽⁴⁾، وهو ما يصطلح عليه اليوم بـ "تحلية المياه".

تحدث الرهوني عن "الزمازمة"⁽⁵⁾، أي الذين يوزعون ماء زمزم على الحجاج، إلا أنه لم يذكر هل كانوا يبيعون ذلك الماء مقابل أجر يتلقونه من الحجاج، أم أن السلطات كانت تتكفل بذلك، لكن وحسب ما كتبه لويس ليون يتأكد بأن المياه كانت تباع للحجاج وبأثمنة مرتفعة إن لم نقل مبالغ فيها خلال مواسم الحج⁽⁶⁾،

(1) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 74.

(2) نفسه، ص 108.

(3) الجعيدي، رحلة حاج مغربي، م. س، ص 73.

(4) نفسه، ص 88.

(5) الرهوني، الرحلة المكية، م. س، ص 77.

(6) لويس ليون طيراس، عودة الحجاج المغاربة من مكة المكرمة: وإجراءات الوقاية من عدوى الجدري على متن السفينة، ترجمة محمد أمين، (2015)، فاس، مطبعة انفو - برانت، ص 25.

وفي كل الأحوال نستنتج انتشار هذه الفئة الاجتماعية التي سمية بالزمازمة.

خاتمة

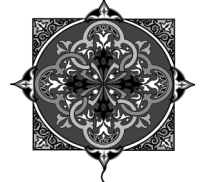
خَلَفَ المغاربة عدداً من كتب الرحلات الحجية، التي ضمنوها ظروف رحلاتهم، ومشاهداتهم وانطباعاتهم على طول محطات الطريق إلى الديار المقدسة، وكان لمدن الحجاز حضور في هذه المصنفات، مع اختلاف بين رحالة وآخر حسب تكوين كل واحد منهم، والبيئة والثقافة التي ينتمي إليها أيضاً، وفي الكثير من الأحيان عمدت هذه المصنفات إلى مقارنة مدن الحجاز مع نظيراتها الأوروبية، من جوانب شتى، مع تكريسها لطابع الانبهار والإشادة بالمدينة الغربية على عكس نظيرتها العربية.

مثلت سنوات الثلاثينيات بداية تشكل دولة آل سعود وتمكن الملك عبد العزيز من توحيد البلاد سنة 1932 فعمل بعد ذلك على تحديث البلاد على مختلف الأصعدة والمستويات، لتجاوز النقائص الكثيرة التي تعرفها الدولة الناشئة، وبسبب ضعف الإمكانيات المالية، كانت المهمة صعبة فأخذت بعضاً من الوقت. وقد واكبت كتب الرحلات المغربية عملية البناء والتحديث التي كانت عرفتها البلاد، مع التركيز بشكل أساسي على المدن المقدسة التي يقصدها الحجاج والمتمثلة في مكة والمدينة، هذا إلى جانب مدينة جدة التي كانت تشكل بوابة المغاربة إلى الحجاز.

ببليوغرافيا

- أحمد، الرهوني. الرحلة المكية (1355 - 1356 هـ / 1937 م)، تطوان: منشورات معهد الجنرال فرانكو للأبحاث العربية الإسبانية، مطبعة الأحرار، 1941.
- الجعدي، إدريس، رحلة حاج مغربي زمن الحماية الفرنسية 1930، تحقيق عز المغرب معينو، (2018) أبو ظبي، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار السويدي للنشر.
- ابن الحسن الحجوي، محمد، رحلة حجازية، تحقيق عبد المجيد خيالي، (2010)، بيروت، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، ط. 1.
- داود، محمد، الرحلة الشرقية، تقديم حسناء داود، (2014)، الرباط، دار أبي رقراق.
- سوزوكي، تاكيشي، ياباني في مكة، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم، سارة تاكاهاشي، (2010)، الرياض، منشورات مكتبة الملك عبد العزيز العامة.
- طيراس، لويس ليون، عودة الحجاج المغاربة من مكة المكرمة: إجراءات الوقاية من عدوى الجدري على متن السفينة، ترجمة محمد أمين، (2015)، فاس: مطبعة انفو - برانت.
- ابن العتيق، ماء العينين، الرحلة المعينية، تحقيق محمد الظريف، (2004)، أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع.
- "عمران الحجاز المنتظر: ما تقرر إجراؤه من الإصلاحات"، الجامعة الإسلامية، ع 1398، 5 - 11 - 1938 م.
- معينو، أحمد، ذكريات ومذكرات، (دون تاريخ)، طنجة، مطبعة سبارطيل، ج. 3.
- AGA. (Archivo General de la Administracion en Alcala de Henares), Telegrama del Capitán Interventor Regional de Gomara al Interventor de Ued Lau, Beni Helil, Tamorot, Xauen, 1937 - 01 - 18. Caja 0749 /64.
- CHANTRE, Luc, Le pèlerinage à La Mecque à l'époque coloniale (v. 1866 1940 -): France - Grande - Bretagne - Italie, These doctorale, Universite de Poitiers, 2012, France.
- S. A., Notes entitled "Sanitary Control of the Mecca Pilgrimage". En: Records

- of the Hajj: A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca. Health affairs and the Hajj, Vol. 9, London, (1933), pp. 682 - 679
- S. A., Report issued by Mr. Trott to Mr. Eden, Jadda, august 1937 ,09, en: Records of the Hajj: A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca. The Saudi period, (1951 - 1935), Vol. 7, London, (1933), pp. 217 - 189
 - S. A., Report issued by Mr. Trott to Mr. Eden, Jadda, august 1938 ,16, en: Records of the Hajj: A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca. The Saudi period, (1951 - 1935), Vol. 7, London, (1933), pp. 291 - 285



حادثة القصر السلطاني بمدينة المكلا (1946 - 1951م)

د. عبد الخالق عمر عفيف⁽¹⁾

الملخص:

تعد حادثة القصر السلطاني، ديسمبر 1950م، في المكلا من الحوادث التاريخية المهمة في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر؛ لذا فإن حتمية إعادة روايتها واستحضار أحداثها سوف تتكرر مع مرور السنين كانعكاس لفلسفات المؤرخين والباحثين والكتاب في إطار مساحة المتغيرات التي تطرأ على حضرموت زماناً ومكاناً وإنساناً.

ولهذا جاء تناولنا لها - حادثة القصر - ابتداءً من ظهور الإشكاليات الأولى حول كفاءة الحضارم في تولي مناصب الدولة من أجل إدارة شؤون بلادهم، وحالة الجدل التي دارت رحاها - آنذاك - حتى تقديم الشيخ سيف علي أبو علي باشا استقالته من منصب سكرتير الدولة القعيطية، والصراع الناشئ بين رغبة الحزب الوطني والأهالي، ورغبة المستشار البريطاني التي فرضها على إرادة السلطان صاحب فرمان فقط بتعيين القدال باشا سكرتيراً للدولة،

(1) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك، قسم التاريخ بكلية التربية - جامعة عدن.

ورفض الاستجابة لمطالب الشعب مما أشعل نائرة المتظاهرين على أعتاب أبواب القصر السلطاني فيما عرف بحادثة القصر، وموقف حضارم الداخل والخارج منها. الكلمات المفتاحية: المكلا، القصر السلطاني، الحزب الوطني، السكرتير، المستشار البريطاني.

The Sultan's Palace Incident In Al Mukalla City (1946 - 1951)

Abstract:

The incident of the Sultan's Palace, December 1950 AD, in AL - Mukalla is one of the important historical incidents in the modern and contemporary history of Hadhramaut; Therefore, the inevitability of retelling it and recalling its events will be repeated over the years as a reflection of the philosophies of historians, researchers and writers within the framework of the space of changes that occur in Hadhramaut in time, place and people.

That is why it was addressed a - the palace incident - starting from the emergence of the first problems regarding the Hadramis' competence to assume state positions in order to manage the affairs of their country, the controversy that took place at that time until Sheikh Saif Ali Al - Bu Ali Pasha submitted his resignation from the position of Secretary of the Qu'aiti State, The conflict that arose between the desire of the National Party, the people, and the desire of the British advisor, which he imposed on the will of the Sultan, the owner of the decree, by appointing Al - Qaddal Pasha as Secretary of State, He refused to respond to the people's demands, which sparked the demonstrators' anger

at the gates of the Sultan's Palace, in what became known as the Palace Incident, and the position of Hadhramis inside and outside it.

Keywords: Al - Mukalla, the Sultan's Palace, the National Party, the Secretary, the British

المقدمة:

لم تكن حادثة القصر السلطاني في المكلا عام 1950م وليدة اللحظة والحدث، وإنما جاءت نتاجاً لما وصل إليه الوعي الوطني الذي تشكلت ملامحه متأخرة بعض الشيء في حضرموت بفعل التأثيرات الخارجية العربية والمحلية.

يمكن القول إن الحادثة كانت بمثابة وثبة نحو الأمام في مستوى الوعي الوطني تجاوز بها الحضارم الوعي العربي السائد - آنذاك - والدعوة إلى الخلاص من هيمنة الأجانب على الوظائف الحكومية، وإحلال الكوادر الوطنية بدلاً منها مما دفع السلطات الاستعمارية إلى وأدها خوفاً من انتشار شرارتها إلى عدن والعالم العربي.

تعود البدايات الأولى لحادثة القصر إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث ظهرت الدعوات المطالبة بتولي الحضارم المناصب المهمة في الدولة القيعية التي غلب عليها العنصر الأجنبي، وبرزت الحاجة إلى تعيين سكرتير وطني بدلاً من الشيخ سيف بن علي أبو علي باشا بعد انتهاء مدة تعاقدته. وجراء ذلك عاشت المكلا أواخر عام 1950م حالة من الهيجان الشعبي قاد مجرى اندفاعه الحزب الوطني بغية تحقيق السيادة الوطنية للحضارم وفي الأخير انتهى بهم المطاف أمام القصر السلطاني في حادثة أريقَت فيها الدماء وتمّت المحاكمات، وأسْدَلَ الستار بتعيين القدال باشا.

لهذا احتلت أخبار حادثة القصر حيزاً واسعاً على صفحات بعض الصحف العدينية، ونقل مراسلوها تفاصيل الحادثة التي لقيت اهتماماً كبيراً لاسيما من حضارم عدن الذين كانوا يشكلون جزءاً من نسيج المجتمع العدني، وحضارم المهجر الذين ظلوا يرتبطون بالوطن الأم ويتابعون الأخبار، ويتفاعلون معها بكل مشاعرهم؛ فكتبوا يعبرون عن آلامهم وآمالهم وتطلعاتهم إلى السلطات الحاكمة في حضرموت.

لقد قسمنا الدراسة إلى تمهيد وأربعة مباحث؛ تناولت في المبحث الأول بعث الوعي الوطني في حضرموت بعد الحرب العالمية الثانية حتى بداية الخمسينيات، وتتبع في المبحث الثاني إثارة قضية إحلال الوطني بدلاً من الأجانب في المناصب الحكومية، فيما خصصت المبحث الثالث في تناول مجريات حادثة القصر السلطاني ديسمبر 1950م وانعكاساتها، وأما المبحث الأخير فقد استعرضت فيه مواقف الحضارم من حادثة القصر، وانتهت الدراسة هذه بالخاتمة وخلصت من خلالها إلى أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلت إليها، وقدمت قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

أهمية الدراسة:

تعد حادثة القصر السلطاني من الحوادث المهمة في تاريخ حضرموت، ولهذا تأتي أهمية الدراسة في كونها تسلط الضوء على الحادثة من مختلف الزوايا؛ ابتداءً من اشتعال شرارتها بعد الحرب العالمية الثانية، وبروز المطالب الشعبية بإحلال العناصر الوطنية بدلاً من الأجنبية وصولاً إلى دور الحزب الوطني في قيادة المتظاهرين من أجل تعيين سكرتير وطني وإطلاق النار عليهم أمام القصر السلطاني وما ترتب على هذه الحادثة من تداعيات.

أهداف الدراسة:

- يمكن إبراز أهمية الدراسة من خلال الآتي:
1. التعرف على التأثيرات الخارجية والداخلية في بعث ونمو الوعي الوطني لدى الحضارم ودورها في تعزيز شعورهم بإدارة شؤون بلادهم.
 2. تتبع ظهور الدعوات الأولى للحضارم في مسألة إحلال العناصر الوطنية بدلاً من الأجنبية في المناصب الحكومية العليا.
 3. عرض دور الحزب الوطني في حمل راية المطالب الشعبية بتعيين سكرتير الدولة الوطني بدلاً من الأجنبي.
 4. تقديم قراءة تاريخية لحادثة القصر من خلال المصادر التي نشرت زمن وقوعها.
 5. توضيح موقف حضارم الداخل والمهجر من الحادثة وما ترتب عليها من آثار.

منهجية الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التاريخي التحليلي الوصفي في تتبع وسرد مجريات الأحداث وما ترتب عليها من آثار مقدماً قراءة تاريخية لمختلف جوانب الواقعة التاريخية المستمدة من المصادر الصادرة زمن وقوعها.

تمهيد:

استعان معظم سلاطين الدولة القعيطية في إدارة شؤون بلادهم بوزراء أو سكرتير لكثرة إقامتهم الدائمة في حيدر أباد بالهند. وكان أول من شغل الوزارة حسين بن حامد المحضار في عهد السلطان غالب بن عوض (1909 - 1922)، واستمر على كرسي الوزارة حتى توفي في 2 يونيو 1928م. بهذا يكون أطول وزير امتدت وزارته في السلطنة القعيطية⁽¹⁾.

(1) البكري، صلاح، تاريخ حضرموت السياسي، ج2، مطبعة البابي، القاهرة، ط2، 1936، ص28. 76.

وتولى الوزارة من بعده ابنه أبو بكر بن حسين المحضار (1928 - 1934م) ولم يكن بمستوى أبيه فعزله السلطان عمر بن عوض القعيطي (1922 - 1936) وأسند الوزارة إلى سالم بن أحمد القعيطي الذي لم يدم طويلاً حتى استبدله السلطان صالح بن غالب القعيطي (1936 - 1956) وجميع موظفي عمه السلطان عمر بغيرهم من الموظفين الجدد⁽¹⁾، وعين حامد أبو بكر المحضار لمدة قصيرة، وتم عزله في عام 1937م تماشياً مع التغيرات السياسية البريطانية الجديدة بعد تقسيم المنطقة إلى مستعمرة عدن ومحمية شرقية وأخرى غربية، وعملاً بمعاهدة الاستشارة التي بموجبها تدخل إنجرامس (Ingrams)^(*) المستشار البريطاني في اختيار عناصر غير حضرية عربية وأجنبية لتولي المناصب الهامة في الدولة القعيطية من أجل ضمان

(1) البطاطي، عبد الخالق، إثبات ما ليس مثبت من تاريخ يافع في حضرموت، مطابع دار البلاد، جدة، ط1، 1989، ص88.

(*) هارولد إنجرامس (1897 - 1973): ولد في مدينة شروزبري بمقاطعة شروبشاير الإنجليزية من أب قسيس وأم معلمة، في عام 1914م استدعي للقتال في صفوف القوات البريطانية المشاركة في الحرب العالمية الأولى، وجرح في ميدان المعركة في بلجيكا وأعدته إصابته عن مواصلة القتال في الحرب، وعين في عام 1919م نائباً للحاكم العام في زنجبار (شرق أفريقيا)، ثم عين مستشاراً سياسياً في عدن عام 1934م وبعد ذلك تم تعيينه كأول مستشار بريطاني في حضرموت، وصل إليها برفقة زوجته دورين، ويعد مهندس السياسة البريطانية في حضرموت. وفي يوليو 1940م عين مدير الدولة لشؤون عدن والمحميات، ثم عين مرة أخرى مستشاراً للمحميات عدن الشرقية إلى أن غادرها في عام 1944م؛ القعيطي، عبدالعزيز بن علي صلاح، إحلال السلام في حضرموت، دراسة تاريخية لتجربة حضرموت في القضاء على الثأر القبلي 1933 - 1953م، طبع في الصين، ط1، 2009م، ص91؛ معلمة يسيرة المرحوم وليم هارولد إنجرامس، مجلة اليمن، العدد: (19)، مايو 2004، ص260؛ الدملوجي، سلمى، الحالة السياسية في ظل الحكم البريطاني غير مباشر، مجلة الثقافة الجديدة، العدد: (1)، يناير / فبراير 1988، ص9؛ المستر أنجرامس المدير العام لشؤون الدولة، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (29)، 14 يوليو 1940، ص6.

ولائها وعدم معارضتها. ومن هؤلاء الأجانب الذين تولوا الوزارة الشيخ سيف بن علي أبو علي (*) (1939 - 1950م)⁽¹⁾.

المبحث الأول: بعث الوعي الوطني في حضرموت بعد الحرب العالمية الثانية

أخذ الناس في حضرموت قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية يقبلون على الصحافة المصرية، وبرامج الإذاعات العربية، وقراءة الكتب الاجتماعية والأدبية الحديثة الأمر الذي كان له أكبر الأثر في تنبيه الأذهان إلى كثير من نواحي التطور الحديث، وبدأت تلك الحركة تحطم أسوار العزلة الفكرية التي كان يعيش فيها الحضارم⁽²⁾.

بالإضافة إلى أن الحضارم تأثروا أيضاً بالحركة الثقافية والأدبية في عدن حيث بدأ بالظهور عدد من الأندية والجمعيات التي لم يقتصر نشاطها على الجانب الثقافي

(*) الشيخ سيف علي أبو علي باشا (1894 - 1958): ولد في ماليندي بكينيا وينحدر إلى أصل عماني، تلقى تعليمه في مدارس زنجبار. وسافر إلى ممباسا وعمل في المجال الإداري وتحديداً في إدارة البريد لمدة أربع سنوات، وفي عام 1920 نقل إلى دار السلام للعمل في البريد ثم تقرر نقله إلى إدارة الأراضي والمساحة، وبعدها أعارته إلى حكومة عدن عام 1939م ليتولى منصب سكرتير الدولة القعيطية. والشيخ سيف يجيد اللغة الإنجليزية والعربية، وخلال مدته كسب ثقة السلطان صالح بن غالب وأنعم عليه بلقب الباشوية ثم منح من حكومة صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا لقب وسام الإمبراطورية O.B.E. وتوفي في زنجبار بتاريخ 15 يونيو 1958م؛ مراسل الصحيفة، أخبار حضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (153، 154)، 17 يناير 1943، ص 13؛ الرأي الحضرمي العام يتحدث عن خدمة الشيخ سيف باشا، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (421)، 16 مايو 1948، ص 4.

(1) الجعدي، عبد الله سعيد، الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت 1918 - 1945م، دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع، الشارقة، ط 1، 2001، ص 203.

(2) باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، مكتبة تريم الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 2011، ص 165.

بل تعداه إلى مناقشة مختلف القضايا السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، التعليمية المرتبطة بحياتهم اليومية.

وخلال مدة الحرب العالمية الثانية لم يتوقف النشاط الثقافي والأدبي لأبناء حضرموت. ونلاحظ من خلال صفحات فتاة الجزيرة مدى تأثير تلك الحركة في حضرموت وتفاعل الحضارم معها، اذ تنقل لنا تفاعل شباب المكلا في تأسيس نادي الإصلاح الذي يضم في صفوفه خيرة شباب المدينة الذين أخذوا على عاتقهم الاهتمام بالتربية والتعليم⁽¹⁾.

يبدو في تلك المدة الدور الذي لعبته جمعية الإخاء والمعاونة في الحياة الثقافية من خلال مشاركة أعضائها في إحياء النشاط الثقافي والأدبي في الساحل حيث حظيت بالترحيب من نادي الموظفين والإصلاح وغرفة المدرسين، فكان ذلك نوعاً من كسر حواجز العزلة الثقافية والأدبية ومد جسور التواصل بين الداخل والساحل الحضرمي⁽²⁾.

وفي السياق ذاته توالى تشكيل الجمعيات والنوادر حيث تشكلت الجمعية الثقافية^(*) في المكلا، و"نادي الشباب"^(**) في الحامي. وأخذ شباب المكلا يتفاعل

-
- (1) أخبار محلية، المكلا، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (17)، 10 مارس 1940، ص 6.
- (2) أخبار المكلا، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (98)، 30 نوفمبر 1941، ص 5؛ مراسل الصحيفة، أخبار حضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (99)، 7 ديسمبر 1941، ص 5.
- (*) كانت غاية الجمعية نشر المعارف وتنوير العقول وتدريس اللغة العربية والانجليزية والعلوم الدينية، وأبرز أعضائها السيد علوي الحبشي، أحمد باجنيد، عمر مشني، عبدالله باعنقود، محمد أحمد بركات، عبدالله باعشن وغيرهم؛ الحركة الأدبية في المكلا، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (125)، 14 مايو 1942، ص 5.
- (**) يعد أول ناد يفتتح في الحامي التابعة لواء الشحر، تولى رئاسته بدر بن أحمد الكسادي؛ مراسل الصحيفة، أخبار حضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (133)، 9 أغسطس 1942، ص 6.

مع أعداد "مجلة الرسالة المصرية" وكتابها ولاسيما الدكتور زكي مبارك الذي لقيت كتاباته إعجاباً منقطع النظير إلى درجة التفكير بتأسيس نادٍ ثقافي يحمل اسمه. وفي الشحر تأسس "نادي الشباب"، وأخذ النشاط الثقافي يشغل حيزاً في قاعة مدرسة الشحر، إذ كانت تشهد نقاشاً ثقافياً بين مدرسيها. كما بدأت دار النشر في المكلا بتأسيس غرفة للمطالعة في الشحر وغيل باوزير وسيؤون وشبام⁽¹⁾.

أما بالنسبة للصحافة فكانت محل آمال وطموح شباب حضرموت الصاعد، ويقول عيدروس أحمد الحامد العلوي: "لعل من الأمور الباعثة للدهشة والاستغراب القول بعدم وجود صحيفة واحدة للبلاد الحضرمية بالمعنى الصحيح عدا الإخاء والحدبة اللتين يصدرهما بعض الأفاضل من أبناء الأغنياء في تريم وسيؤون في نطاق ضيق وطباعة رديئة، وليتهما استمرت على هذا المنوال لسد هذه الثغرة. بل يظهر احتجاجهما عن الأنظار في المدة الأخيرة، وقد كانتا تصدران شهرياً فيما سلف". فيما يبرز رئيس تحرير فتاة الجزيرة استمرار تلقيه صحيفة الإخاء التي تصله ويتأسف على احتجاج المنبر التي أصدرها مجموعة من شباب المكلا⁽²⁾.

وهكذا يتضح لنا منذ الوهلة الأولى لصدور صحيفة فتاة الجزيرة في يناير 1940م أن أخبار حضرموت أخذت حيزاً على صفحاتها سواء عبر مقتطفات قصيرة أو بكتابات الحضارم أو عبر مراسل الصحيفة في الساحل الذي برز من خلال عمود "أخبار حضرموت"، و"شؤون حضرموت"، و"رسالة حضرموت"، فكان وصول

(1) مراسل الصحيفة، أخبار حضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (153، 154)، 17 يناير 1943، ص 13؛ مراسل الصحيفة، أخبار حضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (164)، 28 مارس 1943، ص 4؛ أبناء حضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (177)، 27 يونيو 1943، ص 8.

(2) العلوي، عيدروس أحمد الحامد، الصحافة تندب حظها في حضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (61)، 9 مارس 1941، ص 6.

الصحف الدوري من عدن إلى حضرموت إلى جانب الصحف الحضرمية رافداً من روافد بعث الروح الوطنية.

كما يمكننا ملاحظة مدى تأثير الحركة الفكرية في حضرموت وتفاعل الحضارم معها، حيث لعبت غرفة المدرسين بالمكلا دوراً ثقافياً بارزاً عندما حفل نشاطها بعدة مواضيع ناقشت مختلف القضايا الثقافية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بشأن حضرموت. واستطاع روادها الأوائل إدارة نشاطات ثقافية وأدبية هادفة أشرك فيها لفيف من الأدباء وأعيان البلاد ورجال العمل والأدب.

وتجدر الإشارة إلى أن أبرز تلك المناظرات الهادفة التي دار رحاها في غرفة المدرسين حول تعليم الفتاة وهل يسمح لها بمواصلة التعليم العالي أم أنها تقتصر على التعليم الابتدائي، ودار جدل حول ذلك الموضوع وانتهى بالتصويت لصالح التعليم العالي بأغلبية الأصوات⁽¹⁾.

ولعل أهم المواضيع الجريئة التي فتحت نقاشات ساخنة في قاعة المدرسة الحربية "هل عند الحضرمي الرغبة والروح للزعامة القيادية"، وانقسم المشاركون إلى فريقين: أحدهما مؤيد وتكون من السيد حسن محمد البار، ومحمد أحمد بركات، والفريق المعارض تكون من محمد عبدالقادر بامطرف والسيد علوي ابوبكر العطاس، وأدار النقاش السكرتير سيف بن علي أبو علي باشا والمستشار إنجرامس (Ingrams)، وكان الغرض توضيح ما إذا كان باستطاعة الحضارم إدارة بلادهم أم أنهم بحاجة إلى الأجنبي، وكانت النتيجة لصالح الفريق المؤيد لحق الحضارم في إدارة بلادهم⁽²⁾.

(1) مراسل الصحيفة، أخبار حضرموت (غرفة المدرسين وغرفة المدرسين دائماً)، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (164)، 28 مارس 1943، ص 4.

(2) أخبار حضرموت (مناظرة عامة)، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (223)، 28 مايو 1944، ص 8.

وبالمقابل ظلت الجمعية الأدبية خلال الحرب العالمية الثانية تسير النشاطات الأدبية في المكتبة السلطانية التي ناقشت مختلف القضايا الهادفة إلى بث روح العلم والثقافة⁽¹⁾. حيث فتحت افاق واسعة في مدارك روادها الذين حملوا على عاتقهم واجب الدفاع عن نشاط الجمعية، وأسهموا في إثراء الحياة الأدبية والفكرية بين الشباب الحضرمي.

والجدير بالذكر أن وعي الحضارم بالقضايا العربية ولا سيما القضية الفلسطينية كان حاضراً بعد أن أصدرت اللجنة الانجلو امريكية قراراً بدخول مائة ألف يهودي إلى فلسطين، وأوصت اللجنة أن تتولى الدولة المنتدبة إدارة فلسطين، وقدمت صك الانتداب الذي يضمن تسهيل الهجرة اليهودية⁽²⁾. حيث شهدت المكلا يوم حزن وأُعلن الإضراب في الدوائر الحكومية يوم الأحد الموافق 12 مايو 1946م ابتداءً من الساعة الثانية عشر ظهر حتى الثانية عشر من يوم الاثنين، وأطلق عليه يوم فلسطين العربية المجاهدة⁽³⁾. وأرسل عدد من الشباب والشيوخ برقية إلى إدارة اللاسلكي بتوقيع "الشبيبة الحضرمية" موجهة إلى عبد الرحمن عزام باشا أمين الجامعة العربية يذكرون فيها كل ما يختلج في نفوسهم من شتى الأحاسيس تجاه ما تتعرض له فلسطين من مؤامرات لطمس هويتها العربية الإسلامية⁽⁴⁾.

-
- (1) استجواب أدبي، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (258)، 11 فبراير 1945، ص 3؛ حول الاستجواب الأدبي، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (260)، 25 فبراير 1945، ص 3؛ رد على الاستجواب الأدبي، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (261)، 4 مارس 1945، ص 3.
- (2) مجموعة من المؤلفين، القضية الفلسطينية في أربعين عاماً (بين ضراوة لواقع... وطموحات المستقبل)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1989، ص 6؛ لقمان، محمد علي، مأساة فلسطين، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (321)، 12 مايو 1946، ص 8.
- (3) الإضراب في لحج وعدن والمكلا، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (322)، 19 مايو 1946، ص 6.
- (4) مراسل الصحيفة، رسالة حضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (322)، 19 مايو 1946، ص 8.

ويتضح لنا ان المذيع لعب دورًا بارزًا في خلق شعور السخط في الشارع الحضرمي تجاه محاولات تقسيم فلسطين، واخذ الناس يتفعلون مع حركة الدول العربية نحو مساعدة الشعب الفلسطيني.

وفي مقابل ذلك، برز بعد الحرب العالمية الثانية لدى الوطنيين الحضارم شعور بالاستياء العام من حالة التجزئة، وفرض التعرفة الجمركية بين الكيانين القيعطي والكثيري، واخذ عدد من المثقفين في تريم ينادون بضرورة قيام الوحدة الحضرمية. وهكذا برز على الساحة نشاط اللجنة التمهيدية لاتحاد حضرموت التي اقامت احتفالية شعبية القى أعضاؤها المحاضرات التوعوية الداعية إلى اتحاد حضرموت الطبيعية وتوضيح العوامل المساعدة على قيام الاتحاد حيث اعتبرت الاتفاقيات المبرمة بين القيعطي والكثيري تحت الاشراف البريطاني حجر الاساس لاتحاد اقليم حضرموت سياسيًا. وكان للمحاضرة التي القاها السيد محمد بن هاشم ابرز قيادات اللجنة التمهيدية اثر كبير في التوعية باتحاد حضرموت وتوحيد الحكومات القائمة وإجراء إصلاحات سياسية تمكنها من الوصول إلى ركاب الاقطار العربية الأخرى سعيًا إلى تحقيق الوحدة العربية الشاملة⁽¹⁾. حيث يوضح ان هذا الاتحاد المرجو لحضرموت سوف يشمل الجوانب الثقافية والتعليمية والسياسية والاقتصادية مما يحقق زوال التجزئة وينعكس بالرخاء على حضرموت، ويستشهد بتصريح وزير الخارجية البريطاني أنطوني إيدن (Anthony Eden) في عام 1943م عن الوحدة قائلاً: "ان حكومته تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب لتعزيز وحدتهم الاقتصادية او الثقافية او السياسية ولكن من الجلي ان الخطوة الأولى لتحقيق هذا المشروع يجب ان تكون من العرب أنفسهم"⁽²⁾.

(1) حول اتحاد حضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (334)، 11 أغسطس 1946، ص 3.

(2) حول اتحاد حضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (336)، 25 أغسطس 1946، ص 6.

ويتضح لنا ان الصراع القيعطي الكثيري على المناطق الحدودية وتعميق حالة التجزئة دفع جماعة الوحدة في تريم إلى وضع فكرة لمشروع جنيني بالكيفية التي يتم فيها وحدة حضر موت. وتقوم هذه الفكرة على انتخاب سلطة تشريعية تمثل الشعب، تعمل إلى جانب السلطة التنفيذية تمكن الحضارم من إدارة شئون بلادهم ورعاية مصالحهم تحت حكومة موحدة بعيداً عن حالة التجزئة والفوضى السائدة⁽¹⁾. ويبدو أن بث الدعوة للوحدة في الساحل لم تلقى لتأييد المطلوب مما اثار نوعاً من الاختلاف في وجهات النظر في شتى الجوانب الاقتصادية والسياسية الاجتماعية.

وفي ظل هذا الاختلافات السائدة بين الجماعات الداعية إلى الوحدة في الداخل مع الجماعات في الساحل حيث سادت أجواء سوء التفاهم وعدم الثقة بينهما⁽²⁾. أعلن في أبريل 1947م عن قيام الحزب الوطني، وحدد مبادئه في الولاء للعرش القيعطي، وتحقيق المساواة في الحقوق والواجبات، وخدمة المصلحة العامة، وأوضح بأنه سيكرس نضاله في الحفاظ على الدولة القيعطية، وقيام مجلس تشريعي يمثل الشعب، والعمل على تنمية الوعي القومي⁽³⁾. وفي العام ذاته أعلن في يوليو 1947م عن تأسيس الرابطة الحضرمية، واتخذت من المكلا مركزاً رئيساً لها، وحددت أهدافها بالسعي لتكوين رأي مستنير وتقوية العلاقة بين الحضارم في الداخل والمهجر لخدمة بلادهم والتقريب بين الشعب والسلطات المحلية ومحاربة الجهل والفقر والمرض والفساد الخلقي ونشر الفضيلة والمحافظة على الشعائر الإسلامية والعمل على اصلاح الحياة الاقتصادية⁽⁴⁾.

(1) صوت الأمة إلى الراي العام، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (344)، 27 أكتوبر 1946، ص 4.

(2) مراسل الصحيفة، رسالة حضر موت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (348)، 1 ديسمبر 1946، ص 5.

(3) الحزب الوطني... مبادئه وأغراضه، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (368)، 20 أبريل 1947، ص 1.

(4) الرابطة الحضرمية، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (382)، 27 يوليو 1947، ص 2.

ولكن ما يهمنا هنا الإشارة إلى وجه نظر قيادة المكونات السياسية من الوحدة، حيث يوضح الناطق الرسمي باسم الحزب الوطني أحمد سالم باعشن رؤيته للوحدة الحضرية قائلاً إنه: "لا يرى مشروعاً للوحدة الحضرية ولكنه يؤمن بوجود فكرة لتوحيد حضرموت". ويرى أن فكرة الوحدة تقوم على ضم المنطقة الكثيرة إلى الدولة القيعية لسهولة اندماج الأصغر في الأكبر. فيما يرى محمد بن سالم السري أبرز قيادات الرابطة الحضرية أن الوحدة فكرة وغاية كل وطني، ويوضح أن الوضع السياسي وحالة التجزئة العقبة الكبرى أمام الوحدة الحضرية، كما يوضح شيخان الحبشي أبرز دعاة الوحدة في تريم بأن الوحدة الحضرية لم تبلغ مرحلة المشروع وأنها "مجرد حركة ترمي إلى نشر فكرة"⁽¹⁾. وهكذا فإن مسألة دخول الأصغر في الأكبر المرفوضة من السلطنة الكثيرة شكلت عائقاً أمام تحقيق الوحدة بالإضافة عقبة أخرى وهي الانقسام الطبقي السائد في المجتمع، وتمسك طبقة الأقلية بامتيازاتها القديمة الموروثة⁽²⁾.

ويرى المؤرخ صلاح البكري في مقابلة أجرتها معه صحيفة الأفكار العديدة بتاريخ 17 أكتوبر 1947م أن أي حركة سياسية في حضرموت سابقة لأوانها، وطالب بضرورة الاهتمام بالتعليم، والعمل على رفع مستوى الحضارم الثقافي، وتوحيد جهود الحكومتين القيعية والكثيرة في اتجاه تبني مشروع الإصلاح العام، وأوضح أن أهم تلك المعوقات التي حالت دون تحقيق وحدة حضرموت هو عدم رضا سلطنة القيعي بدمج حكومتها مع حكومة سلطنة الكثيري، وذلك لما تتمتع به الأولى من نفوذ واسع على مساحات شاسعة من أراضي حضرموت، وما

(1) مشروعات الأحزاب في حضرموت من الوحدة، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (392)، 14 أكتوبر 1947، ص 4.

(2) الأوساط الشعبية في حضرموت تتحدث؟، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (394)، 2 نوفمبر 1947، ص 6.

تدره من أموال جمركية، في الوقت نفسه عدم رضا سلطنة الكثيري بدمج حكومتها مع حكومة القعيطي. كما إن قيام وحدة بوجود حكومتين، وإنشاء هيئة تشرف على أعمالهما وتمدهما بالإرشادات والتعليمات في محل شك وعدم رضا من قبل الحضارم لأن ذلك كان يعني الاعتراف بسلطة ثالثة تهيمن على شؤون الحكومتين، وهذا يعني تقسيم حضرموت إلى ثلاث⁽¹⁾.

وفي ظل حركة الوحدة التي سادت في حضرموت نهاية أربعينيات القرن الماضي. ظهرت في المكلا نزعة شعبية عارمة نحو الحكم الدستوري الذي يضمن اشتراك الشعب في اختيار الحكومات. وطالبو بالحكم الدستوري، وتشكيل مجلس تشريعي وينتخب أعضاؤه من الشعب، بشرط أن يكون مستقلاً تمام الاستقلال عن تأثير السلطة الحكومية حتى يتمكن من أداء مهامه بحرية تامة. إذ برزت هذه في مطالب الحزب الوطني الذي رأى في مجلس الدولة مجلساً تنفيذياً أكثر منه تشريعياً⁽²⁾. ويتضح لنا أن الدعوة للإصلاح جاءت كحاجة من أجل تغير النظام القائم.

ولكن عندما نعود إلى ما أوردته السيد محمد بن هاشم نجده يعبر عن عدم ارتياحه للنظام القائم الذي أرسى قواعده في حضرموت بعد معاهدة الاستشارة، وعبر عن أمانيه بالخروج منه بحيث لا يمس النظام الجديد بكرامة السلاطين الحكام الشرعيين للبلاد⁽³⁾. ولهذا لم يمانع دعاة الوحدة الحضرمية في الداخل ولا سيما في تريم من

(1) باوزير، سعيد، الأستاذ صلاح البكري.. قال لي، مجلة الأفكار، العدد: (15)، ديسمبر 1947، ص 16. 17.

(2) مراسل الصحيفة، الحزب الوطني يطالب بمجلس تشريعي للبلاد، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (422)، 23 مايو 1948، ص 10؛ الشعب الحضرمي يتحدث عن الدستور، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (425)، 13 يونيو 1948، ص 7.

(3) مراسل الصحيفة، الاوساط السياسية بحضرموت تبحث مشروع الاتحاد، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (501)، 25 ديسمبر 1949، ص 6.

الانضمام إلى فكرة المشروع الفيدرالي الذي طرحه البريطانيون نهاية الأربعينيات. كيفما كان الأمر فإن الأنديّة والجمعيات الأدبية والثقافية التي تشكلت في حضرموت كان لها سبق الإسهام في نمو الوعي الوطني في حضرموت حيث اخذ الحضارم يسعون إلى انهاء حالة التجزئة، والغاء الحواجز الجمركية بين الكيانين (القعيطي، الكثيري)، وتحقيق الإصلاح السياسي الذي يشرك قاعدة واسعة من الشعب في إدارة بلادهم ورعاية مصالحهم.

على العموم لم تأت بداية خمسينيات القرن العشرين إلّا وقد كان الوعي الوطني في حضرموت لاسيما في المكلا قد وصل مرحلة تجاوز فيها الوعي العربي في جنوب شبه الجزيرة العربية وبعض الأقطار العربية، إذ تجلّى بوضوح في المطالب الشعبية في الخلاص من احتكار الأجانب للوظائف المهمة وإحلال الأكفاء الوطنيين من أجل إدارة شؤون بلادهم. فكانت حادثة القصر تتويجاً شامداً لما وصل إليه، وبهذا تعد حادثة ثورية من منظور أي مؤرخ يرى فيها تحدي شعب لإرادة المحتل الأجنبي.

المبحث الثاني: إثارة قضية إحلال الوطني بدلاً من الأجانب في المناصب الحكومية (سكرتير الدولة)

أخذ الاستياء بين الحضارم يزداد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بسبب تولي الأجانب مناصب الدولة حيث ظهرت هيمنة العناصر الأجنبية على المناصب العليا في الدولة القعيطية بوضوح وأهم الوظائف: سكرتير الدولة القعيطية، رئيس أركان حزب الجيش القعيطي، ناظر الجمارك، رئيس محكمة الاستئناف، ناظر المعارف، قائد الشرطة، ناظر السجون. في الوقت الذي يوجد فيه العديد من الحضارم الذين يستطيعون إدارة هذه الوظائف باقتدار⁽¹⁾.

(1) مراسل الصحيفة، شؤون حضرمية، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (303)، 6 يناير 1946، ص 6.

أثارت مسألة استئثار الأجانب بالوظائف الحكومية الهامة حيزاً من الاستياء العام في المكلا لا سيما أن البعض منهم ليس من الفنيين ذوي المؤهلات العلمية الفنية ولا يمتازون عن غيرهم إلا بكونهم من خارج البلاد، وأن من بين الحضارم من لا يقل عنهم كفاية وصلاحيّة لتولي هذه المناصب. فهناك كفاءات حضرية مقيمة في الخارج فيهم الأدباء والعلماء والمهندسين والأساتذة. وتساءلت فتاة الجزيرة لماذا لا يشجع مثل هؤلاء الكوادر الوطنية على العودة إلى بلادهم ويفسح لهم المجال لخدمة الوطن؟⁽¹⁾.

في واقع الأمر جاء رد سيف علي أبو علي باشا كما ورد على صفحات فتاة الجزيرة وحمل في طياته نوعاً من التحدي حيث تحدث بصفة رسمية قائلاً: "أفيدكم أن الدولة القعيطية ستكون شاكرة لكم إذا قدمتم لهم أسماء الحضارم الذين في الخارج والذين يرغبون أن يخدموا بلادهم بالماهيات التي تستطيع أن تدفعها لهم على حسب كفاءتهم ومقدرتهم في تحمل المسؤوليات وإدارة الأعمال الموكلة لهم". ويستشهد بعزوف الحضارم عن خدمة بلادهم بالقول: "لقد زار البلاد في المدة القريبة أحد الحضارم المتعلمين في مصر وعندما سئل عن رغبته في خدمة بلاده أجاب أنه لا يرغب أن يخدمها، وطلب منه أن يقدم أسماء الحضارم الذين في الخارج، فوعد، ولكنه لم يفعل إلى الآن، فماذا تعمل الدولة القعيطية إذا كان الحضارم لا يرغبون في خدمة بلادهم".

ويظهر التحدي واضحاً من السكرتير سيف علي أبو علي باشا للحضارم عندما يختم رده "إن الحكومة القعيطية لديها الرغبة في توظيف الحضارم ولكن لم تجد رجالاً أكفاء لذلك في الوقت الراهن (فهل يتفضل حضرتمكم أو حضرات الحضارم

(1) ما لا يريد الحضارم، رسالة حضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (342)، 13 أكتوبر 1946، ص 4.

بالمساعدة) وعندما تجدهم فالأجانب القليلون المستعارون من الحكومات في الخارج سيرجعون إلى أوطانهم مشكورين حيث قد أدوا واجباتهم في البلاد الحضرمية بجد وإخلاص لا لأجل الماهية فقط بل لخدمة إخوانهم العرب المسلمين". وتعليقاً على ما ورد، يرد محمد علي لقمان باسم حضرموت مطالباً حكومة المكلا بتخصيص مبالغ من مالىتها لتأهيل الحضارم في الإدارة والمالية والتربية والطب والهندسة ليعودوا في خدمة بلادهم⁽¹⁾.

وكان بيان السكرتير سيف بن علي أبو علي باشا بمثابة المسمار الذي دقه في نعش منصبه كسكرتير في السلطنة القعيطية. حيث جاء الرد مطولاً من أحد الحضارم تحت اسم مستعار على صحيفة فتاة الجزيرة "ليس بالشيء الهين أن ينشر من هو في مثل مركزه بياناً يعلن فيه استعداد أكبر دولة بحضرموت لتوظيف أبناء حضرموت وتسليمهم مقاليد الأمور لإدارة حكومتهم". وأخذ يناقش ما جاء في بيان السكرتير سيف متسائلاً "إننا نريد أولاً أن نعرف المقصود من "الكفاءة" و"الرجال الأكفاء"؟ فقد تبين في الكلمة التي أشار إليها سعادته بأن معظم الوظائف الحكومية بيد الأجانب وهم لا يتميزون عنا في شيء من الثقافة والمؤهلات، فإذا كانت الكفاءة المطلوبة هي كفاءة الموظفين الأجانب الحاليين، فإن بحضرموت من يستطيع أن يخلف هؤلاء الأجانب وربما أبدى من الكفاءة والمقدرة فوق الخبرة بشؤون البلاد - ما لا نجده عند الكثيرين من الموظفين المنقولين - وإذا كانت الكفاءة المقصودة هي المؤهلات والصفات التي يطلبها فرع العمل وأهميته وهي أمور لا ينالها إلا القليل من الرجال، فإنه يتحتم على أكثر الموظفين الأجانب التخلي عن مناصبهم ولو لأجانب آخرين أكثر مقدرة وكفاءة لإدارة هذه الأعمال". ولهذا يتضح لنا بأن

(1) أبو علي، سيف بن علي، الموظفون بحضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (346)، 17 نوفمبر 1946، ص 3.

الحضارم يريدون إدارة شؤونهم بأنفسهم ما داموا يملكون المقدرة على ذلك⁽¹⁾. كما تظهر شكوك الحضارم المقيمين في الوطن أو في المهجر في نوايا صدق حكومتهم في توظيفهم بما يضمن لهم المزايا والتقدير الذي يتمتع بها الأجنيبي. حيث يوضح أحد الحضارم ردًا على الشيخ سيف اسباب الشكوك في حكومتهم قائلاً: "لو ان الحكومة جادة فيما ذكر صاحب السعادة، فبدلاً من أن تطلب من محرر "الفتاة" الفاضل أو الحضارم لائحة بأسماء الحضارم المتعلمين في الخارج... يمكن أن تختصر الطريق فتتصل رأساً برؤساء الجاليات الحضرمية المقيمة في كثير من البلدان الراقية المعروفة، كمصر والعراق واندونيسيا مثلاً، وتعرض عليهم المناصب التي تبغى توظيفهم فيها، مبنية درجتها ومرتبها وجميع شروطها ومسؤولياتها، مؤكدة لهم رغبتها الخالصة في اسناد هذه المناصب إلى أبناء الوطن اللائقين"⁽²⁾. وهكذا يتضح ان الثقة بالحكومة الأجنبية اهتزت في نظر شريحة شعبية واسعة.

ويبرز لنا السؤال، لماذا تبنت صحيفة فتاة الجزيرة إثارة الرأي العام في المكلا ضد شغل الأجنيبي المناصب الحكومية؟ فالإجابة تنطلق من موقف رئيس تحرير الصحيفة من التوظيف الأجنيبي في عدن على حساب أبناءها. وخاض محمد علي لقمان وراء تلك الغاية حملة طويلة تبناها تحت لواء الجمعية العدنية.

لقد أثارت رسالة سيف بن علي أبو علي باشا حول الموظفين الأجانب حفيظة الحضارم في حضرموت، وقد جاء الرد عبر صفحات الفتاة من خلال مقال مطول تحت اسم مستعار (مجهول) بأن من بين الحضارم من هم أكفاء لجميع الوظائف بما فيها الوظائف المالية والفنية ولديهم المستوى ذاته الذي يتمتع به الأجانب.

(1) أبو حضرم، الأجانب بحضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (349)، 8 ديسمبر 1946، ص3.

(2) أبو حضرم، الأجانب بحضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (349)، ص3.

كما أوضح الرد بأن الأجانب يحتلون الوظائف الهامة في الدولة القيعية، ويحظون بالأولوية في التوظيف ويتقاضون المرتبات العالية، وكل تلك الامتيازات التي يحصلون عليها تحرم الوطني من شغل الوظائف في سلك الخدمة المدنية⁽¹⁾. يعود الكاتب ليستشهد بالدولة الكثيرة وموظفيها الأغلبية من الحضارم المحليين من سكرتير الدولة إلى أبسط خفير، وإن كانت بسيطة وليست بمستوى حجم الدولة القيعية، إلا أن قدرة المسؤولين الوطنيين في الدولة الكثيرة تبقى على مستوى من الكفاءة في تسيير أعمال التقدم والعمران⁽²⁾.

يمكن القول إنه في أواخر الأربعينيات ساد الحديث بين الأوساط الشعبية في حضرموت عن منصب سكرتير الدولة القيعية الذي يتربع عليه الشيخ سيف علي أبو علي باشا، وترى الأوساط الشعبية أن كفاءته لا تختلف عن أي موظف وطني، وأن في مقدور أي شاب حضرمي أن يؤدي مهمة الشيخ سيف بكفاءة واقتدار. وتساءل الرأي العام في حضرموت مندو وقت مبكر عن البديل الذي سوف يخلفه في حال عدم تجديد عقدة مع السلطنة القيعية حيث رجح البعض سالم أحمد باصديق^(*) (نائب السكرتير) كوطني حضرمي لاسيما أنه قد تولى منصب السكرتارية أكثر من مرة أثناء غياب الشيخ سيف باشا⁽³⁾.

(1) مجهول، حول خطاب الموظفين بحضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (353)، 5 يناير 1947، ص 5.

(2) مجهول، حول خطاب الموظفين بحضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (353)، ص 5. (*) سالم أحمد باصديق: تدرج في السلم الوظيفي بالحكومة القيعية حيث تقلد منصب السكرتير المالي ثم ترقى إلى نائب السكرتير وكبير أمناء القصر، ومنح أواخر عام 1949م وسام الامتياز الفضي من الدرجة الأولى؛ مراسل الصحيفة، رسالة حضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (486)، 4 سبتمبر 1949، ص 11.

(3) الرأي العام يتحدث عن خدمة الشيخ سيف باشا، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (421)، 16 مايو 1948، ص 4.

وهذا يعني ان الشارع الحضرمي طرح شخص سالم أحمد باصديق لمنصب سكرتير الدولة قبل وصول الكولونيل بوستيد (Boustead) (*). ومن هناك نرى ان هناك تهيئة سابقة للأوساط الشعبية بضرورة إنهاء خدمة الشيخ سيف قبل وصول المستشار البريطاني إلى المكلا.

لقد ذهب الشارع الحضرمي إلى الاعتقاد بان عقد خدمة الشيخ سيف باشا ينتهي في أكتوبر 1950م وان ليست هناك نوايا من السلطان صالح بن غالب القعيطي (**). أو المستشار البريطاني في الرغبة بتجديد التعاقد⁽¹⁾.

وفي الوقت ذاته استعاد الحزب الوطني نشاطه بعد حالة من السبات في أعقاب

(*) بداية سبتمبر 1949م وصل الكولونيل بوستيد (Boustead) المستشار لدولتي حضرموت إلى المكلا وقد كان في استقباله الأمير عوض بن صالح القعيطي، وسالم أحمد باصديق وثلة من حرس البادية؛ تعيين مستشار جديد لدولتي حضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (487)، 11 سبتمبر 1949، ص 5.

(**) السلطان صالح بن غالب القعيطي: تولى السلطان غالب بن صالح مقاليد الحكم في عام 1936م بعد وفاة عمه السلطان عمر بن عوض القعيطي، حيث وقع معاهدة الاستشارة مع السلطات البريطانية في 13 أغسطس 1937م، وقام بتجديد معاهدة عام 1918م مع السلطان الكثيري في مارس 1939م التي وضعت السلطنتين تحت تكوين إقليم واحد يعرف بحضرموت. وامتد حكمه لمدة عشرين عامًا شهدت فيها حضرموت أحداثًا مهمة. وتوفي في المستشفى الأهلي بعدن في 27 مايو 1956م ودفن جثمانه في مقبرة يوسف بن يعقوب بالمكلا؛ باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1958، ص 243؛ لمندوب فتاة الجزيرة، المكلا تشيع سلطانها إلى مقره الأخير، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (826)، 3 يونيو 1956. 1933 - 1945. Records Of Yemen. VL9. pp237 - 240.

(1) الأوساط الشعبية تتحدث عن سكرتير الدولة، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (537)، 10 سبتمبر 1950، ص 8.

تسوية النزاع على الحدود بين الدولتين القعيطية والكثيرية لاسيما في قضية "ساه" (*) حيث ترجح كل المصادر والمراجع ان الحزب كان خاضعاً للحكومة القعيطية ومؤتمراً بها⁽¹⁾. وأخذ يستعرض في الاجتماع الذي عقد في 11 سبتمبر 1950م الموقف السياسي في حضرموت والمسائل المرتبطة بحياة الأهالي منها حسابات الجمعية الخيرية والمياه في المكلا ونظام البلدية الجديد. حيث أجمع الأعضاء على ضرورة ترك الشيخ سيف باشا منصبه كسكرتير لغيره من أبناء البلاد الأكفاء⁽²⁾. ورداً على ما سبق قام عبد الله الناجبي بزيارة مقر الحزب الوطني، يبلغهم تعاطف الشيخ سيف باشا مع مطالب الشعب، كما دعا الناجبي أعضاء الحزب إلى مقاطعة

(*) تقع على هضبة مرتفعة من وادي عديم إلى الجنوب الشرقي من سيئون أكثر القبائل الساكنة فيها من آل جابر، وبسبب حالة الفوضى والنزاع الدائم رغب أهلها ببسط حماية آل كثير عليهم، غير انهم رفضوا العرض، فاتجهوا إلى وزير الدولة القعيطية حسين بن حامد المحضار الذي وافق وخضت للدولة القعيطية منذ عام 1914م. وفي عام 1918م طالبت السلطنة الكثيرية بها، وانتهى النزاع بين الطرفين بالتحكيم الذي جاء لصالح الدولة القعيطية، واستمر النفوذ القعيطي حتى عام 1939م عندما قام المستشار انجرامس بضم منطقة ساه وما حواليتها إلى السلطنة الكثيرية؛ السقاف، عبدالرحمن بين عبيد الله، معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق إبراهيم أحمد المقحفي، عبدالرحمن حسن السقاف، مكتبة الارشاد، ط2، 2002، ص470؛ عكاشة، محمد عبد الكريم، السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت 1839 - 1918م، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1985، ص228؛ البكري، صلاح، في جنوب الجزيرة العربية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1949، ص202؛ الجعدي، مرجع سابق، ص143.

- (1) باوزير، أحمد عوض، شهداء القصر، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن 1977، ص53.
- 98؛ بلاغ صحفي، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (556)، 28 يناير 1951، ص20.
- (2) الحزب الوطني يدرس الموقف السياسي بحضرموت، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (539)، 1 أكتوبر 1950، ص19.

صحيفة فتاة الجزيرة ومنعها من الدخول إلى حضر موت⁽¹⁾. ويظهر لنا أن الدعوة التي حملها الناجي نياحة عن السكرتير سيف علي أبو علي توضح مدى موقف العداء من صحيفة فتاة الجزيرة ودورها في تحريض^(*) الرأي العام ضده.

والجدير بالملاحظة ان هناك طرفاً في القصر السلطاني أيقظ الحزب الوطني من حالة السبات، في الوقت الذي رأت بعض قيادات الحزب ان هناك فرصة سانحة لكي يعبروا عن تطلعاتهم وآمالهم الوطنية، وركزوا بدرجة كبيرة في بدايات نشاطهم على المطالبة بعدم تجديد عقد السكرتير الأجنبي، وكانت هذه المطالبات تتماشى مع رغبة السلطان في عدم تجديد عقد خدمة الشيخ سيف تحت ذريعة انها تعبر عن استجابات عظمتها لإرادة الشعب لاسيما ان هناك من أهالي المكلا من يرون ان الشيخ سيف لم يعمل شيئاً خلال مدة توليته الحكومة.

وفي ظل حركة الجدل السائد حول منصب السكرتير غادر السلطان صالح أواخر سبتمبر 1950 المكلا إلى عدن في طريقه إلى الهند يرافقه السيد عبد الرحمن الجيلاني مساعد أول سكرتير الدولة، وأتاب عنه ولي العهد الأمير عوض⁽²⁾. وأثناء غياب السلطان قدم الشيخ سيف علي أبو علي باشا استقالته بعد أن تأكد له أن السلطان ومستشاره البريطاني لا يرغبان في تمديد عقد خدمته. وذهب الاعتقاد إلى أن الشيخ سعيد القدال^(**) هو المرشح الرئيس لمنصب السكرتير، وأنه محل

(1) الحزب الوطني يدرس الموقف السياسي بحضر موت، العدد: (539)، ص 19.

(*) نشرت صحيفة فتاة الجزيرة أن الشيخ سيف حين تم تعيينه سكرتيراً كان يستلم راتب 300 روبية من ميزانية الدولة، وأن إنجرامس أوصى بزيادة 200 روبية لتصل إلى 500 روبية ليرتفع الراتب إلى 1500 روبية ويعد مبلغاً ضخماً يؤثر على خزانة الدولة؛ الأوساط الشعبية تتحدث عن سكرتير الدولة القعيطية، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (537)، ص 8.

(2) عظمة السلطان يمر بعدن في طريقة إلى الهند، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (539)، ص 24.

(**) الشيخ سعيد القدال: ولد في مدينة القصارف وارتحلت أسرته إلى قرية الختمية على بعد

دراسة وسوف تتحدد عند عودة السلطان صالح بن غالب⁽¹⁾.

استهل الشيخ سيف علي أبو علي باشا أولى خطوات الرحيل من حضرموت بزيارة أصهاره أهل زوجته في المشقاص، وأخذ يرتب إجراءات السفر بشكل نهائي بعد أن قضى مدة عشر سنوات في منصب السكرتارية (1939 - 1950) شهدت حضرموت خلالها أحداثاً مهمة في تاريخها الحديث والمعاصر⁽²⁾.

المبحث الثالث: مجريات حادثة القصر السلطاني ديسمبر 1950م وانعكاساتها

عاشت المكلا في أوائل خمسينيات القرن الماضي واحدة من أكثر لحظاتها السياسية حراكاً، حيث تصاعدت وتيرة الحراك الشعبي مع اقتراب عودة السلطان صالح بن غالب القعيطي من الهند. وفي الأول من ديسمبر 1950م زار ولي العهد الأمير عوض مقر الحزب الوطني، الذي اكتظ بالمدعويين من الشخصيات البارزة،

خمسة أميال جنوب شرق كسلا، حيث تلقى تعليمه الابتدائي في مدينة كسلا ثم انتقل إلى مدرسة العرفاء بالخرطوم حتى عام 1918م، ثم عاد إلى كسلا ليعمل معلماً في المدرسة الابتدائية، وانضم لمتنـدى "الصفوة المتعلمة"، وبعد ثمان سنوات انتقل ناظراً للمدرسة سكات الأولية، وانتقل للعمل في معهد "بخت رضا" لتدريب معلمي الابتدائية، وهناك لفت انتباه المستر "غريفت" عميد بخت الرضا، وعندما طلبت منه حكومة السلطة القعيطية أن يرشح أحد رجال التربية السودانيين؛ اختار القدال للقيام بالمهمة. وفي عام 1939م وصل إلى حضرموت، ومكث فيها حتى عام 1957م ليعود إلى السودان التي توفي فيها في 16 أكتوبر 1975م؛ القدال، محمد سعيد، الشيخ القدال باشا معلم سوداني في حضرموت، دار جامعة عدن، ط1، 1997، ص24، 26، 27، 29، 37، 44، 46، 155.

(1) الشيخ سيف يستقيل من منصبه كسكرتير للدولة، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (546)، 19 نوفمبر 1950، ص3.

(2) هل يقبل القدال باشا بوظيفة السكرتير؟، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (548)، 3 ديسمبر 1950، ص10.

فيما امتلأت الساحات الخارجية بجموع المتظاهرين الذين صدحت أصواتهم بهتافات مؤيدة للأمير والوطن. وكان ذلك اليوم شاهداً حياً على تنامي الوعي الوطني في مشهد جسّد أبرز ملامح التحولات السياسية التي كانت تشهدها حضرموت.

وهذه المناسبة ألقى كلمة الحزب الشيخ أحمد عبد الله باجنيد مرحباً بالأمير ومعبراً عن آمال الجماهير بنهضة شاملة تجعلها في مصاف الأمم الراقية، ودعا إلى تكاتف جهود الجميع، والسير معاً بخطى ثابتة على أسس المساواة والشورى والتفاهم ونيل الحقوق، وختم كلمته قائلاً: "إن للشعب في همته القضاء أكيد الأمل في الفوز والنجاح". وتلاها كلمة السيد محسن بن علوي السقاف وبعض الحاضرين مرحبين بالأمير، وتخلل الجلسة إلقاء القصائد الشعرية. وبعد عودة الأمير إلى القصر بعث برسالة يقول فيها: "الشعب الكريم وسكرتير الحزب الوطني بعد التحية نشكركم شكراً جزيلاً بما قدمتموه إلينا من تكريم وإنا نتمنى لكم التوفيق والنجاح"⁽¹⁾.

وقبل قدوم السلطان صالح بخمسة أيام انطلقت مظاهرة سلمية كبرى عصر يوم الأربعاء 13 ديسمبر 1950م صوب القصر السلطاني شارك فيها بضعة آلاف^(*) حيث حرص زعماء الحزب الوطني على إعطاء التعليمات التي من شأنها عدم الإخلال بمسيرة المظاهرة السلمية، ومنعوا الهتافات على الإطلاق حرصاً على عدم صدور أي هتافات عدوانية تحرف مسار المظاهرة إلى اتجاه العنف. واكتفى

(1) بافقيه، أسبوع البعث والخلود في حضرموت، رسالة حضرموت، صحيفة النهضة، العدد: (54)، 14 ديسمبر 1950، ص 2، 6.

(*) ورد في البيان الصحفي الصادر من القصر أن عدد المتظاهرين يتراوح بين ستمائة إلى سبعمائة، بينما ذكرت صحيفة النهضة أن العدد لا يقل عن عشرة آلاف. وفي رواية الكولونيل بوسيتيد فقد قدر العدد بحوالي أربعة آلاف متظاهر، وهو ما نرجح صحته؛ بلاغ صحفي، صحيفة الذكرى، العدد: (112)، 26 يناير 1951، ص 6؛ ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن 1839 - 1967، ط 1، ص 165.

رجال الحزب برفع ثلاثة شعارات: كتب على أحدها بحروف بارزة "الشعب يريد تحقيق مطالبه". والأخرى كتب عليها "نريد سكرتير وطني". والثالثة "الوطن للوطني". وعند وصولهم القصر انتدب عددًا من قياداته المتضاهرة من أجل تسليم عريضة. وجاء فيها "نحن نعتقد ونجزم أن الحكومة والشعب شيء واحد. غير أن للحكومة امتياز مقام الأبوة. والشعب كالولد ولا بد للولد من التمتع بحقوقه كاملة مع حرته التامة. وقد تقدمنا بأربع طلبات إلى صاحب العظمة حفظه الله ولمسنا من مقابلته ومخابرته لنا ما يجعلنا نطمئن إلى الفوز والنجاح"⁽¹⁾. إذ كانت هذه المطالب محصورة في تعيين سكرتير دولة وطني وتموين المكلا بالمياه، والكشف على بعض حسابات الدولة وتخفيض الضرائب على العقار⁽²⁾.

ثم تطرقت العريضة إلى جوهر القضية المطلية "وكان إلى قرب سفره يؤكد لنا [السلطان] بتوصيته لسكرتيه. وقد طال التردد المثمر بالمواعيد الزائفة. وأخيرًا استلمنا جوابًا من سعادة السكرتير بتأخير البت إلى عودة صاحب العظمة. ونحن نطالب الحكومة بتولية سكرتير وطني نعتقد فيه المقدرة والكفاءة لهذا المنصب الخطير. ولدينا كمرشحين أربعة اشخاص. والمسموع أن حضرة الشيخ سيف سيغادر المكلا قبل حضور صاحب العظمة. فنلتمس من سموكم قبول السكرتير الوطني أو تأخير الشيخ سيف إلى حضور صاحب العظمة، أو تسليمه المنصب إلى نائب وطني وما دامت طلباتنا البسيطة قد تأخرت إلى حضوره فهذا الطلب الأخير أهم وأعظم"⁽³⁾. كان الطلب الأخير يتمشى مع رغبة السلطان صالح في تعيين سالم

(1) بافقيه، أعظم مظاهرات وطنية عرفتها حضرموت، رسالة حضرموت، المكلا، صحيفة النهضة، العدد: (55)، 21 ديسمبر 1950، ص 12.

(2) بلاغ صحفي، العدد: (112)، ص 6.

(3) بافقيه، أعظم مظاهرات وطنية عرفتها حضرموت، رسالة حضرموت، المكلا، صحيفة النهضة، العدد: (55)، ص 12.

أحمد باصديق (نائب السكرتير) لشغل وظيفة السكرتير. ليكون وطنياً طوعاً لإرادته بدلاً من الأجنبي الذي يمثل الاستشارية وينقل لها خفايا القصر الصغيرة والكبيرة. يوضح الخبر المنشور في صحيفة النهضة أن الأمير عوض أمر سالم أحمد باصديق بأن ينوب عنه في إلقاء خطابه حيث شكر فيه الشعب على شعورهم الحسن، وأوضح لهم بتوصل الأمير عوض مع الزعماء الذين يمثلونهم إلى اتفاق مقنع للجميع حول المطالب التي تقدموا بها، ووعدهم بتحقيقها عند عودة عظمة السلطان المنتظرة في الأسبوع القادم، كما أكد لهم أن سكرتيراً وطنياً بالنيابة سيقوم بأعباء السكرتير - بدلاً عن الشيخ سيف - بعد مغادرته المكلا. وبعد انتهاء الخطاب تعالت الهتافات بحياة الأمير، وانتهت المظاهرة أمام أبواب القصر⁽¹⁾.

في البيان الذي أصدرته سكرتارية الحزب الوطني^(*) في 13 ديسمبر 1950م حُدِّدَت مطالب الحزب في تولي مواطن حضرمي منصب سكرتير الدولة القيعية بحيث تكون السلطة العليا في الحكومة في أيدي وطنية خالصة، وألا تتعدى سلطة الأجانب حد المساعدة والاستشارة في الأمور المعقدة من أجل ترك المجال أمام الكفاءة الوطنية لتولي زمام السلطة في بلادها، وبهذا يفسح المجال للكوادر من أبناء حضرموت الخريجين من الجامعات والمعاهد العلمية لكي يعودوا إلى الوطن والمساهمة في خدمته والنهوض به.

واتهم البيان السلطات البريطانية - التي كانت بيدها السلطة - بإبعاد الأكفاء الوطنيين عن المناصب والوظائف مما شرد بالأغلبية العظمى من أبناء حضرموت في أصقاع الأرض، وصرفت البقية منهم إلى الأعمال الخاصة قابعين في دائرة

(1) بافقيه، أعظم مظاهرات وطنية عرفتها حضرموت، رسالة حضرموت، المكلا، صحيفة النهضة، العدد: (55)، ص 12.

(*) نشر في صحيفة النهضة باسم أحمد عبد الله باجنيد، عوض محمد بكير، عبد الله داود.

الصمت. ومن هنا رأى البيان أن المطالبة بسكرتير وطني وبإسناد الوظائف العليا إلى أبناء البلاد يعد مطلباً مشروعاً ولا ينكره أحد.

وحدد الحزب في بيانه هدفاً ثورياً كخطوة أولى وهو السعي من أجل التحرر والتقدم تليها خطوات أخرى حتى يعم في البلاد الحضرمية نظام مشترك، وأمة واحدة ذات مصالح مشتركة وخطط سياسية قومية. كما عقد الآمال على السلطان صالح وابنه في تحقيق الأهداف والمطالب الوطنية⁽¹⁾.

على الرغم من البيان الصادر من الشيخ سيف بن علي أبو علي في نوفمبر 1946م على صفحات فتاة الجزيرة الذي تحدى فيه الحضارم في إدارة شؤون بلادهم بسبب عدم وجود الكفاءة الوطنية غير أنه في احتفال الوداع^(*) الذي أقيم له في ساحة القصر في 16 ديسمبر 1950م بحضور الأمير عوض والمستشار بوستيد (Boustead) وعدد من موظفي الحكومة ورؤساء إدارة السكرتارية اعترف في الكلمة التي ألقاها بكفاءة الوطنيين الحضارم الذين ساعدوه في القيام بمهامه طوال عمله في إدارة السكرتارية مما يجعلهم جديرين لتقلد المناصب العليا⁽²⁾. كان هذا بمثابة الاعتراف الأخير الذي جهر به دون خوف وليس حباً بقول الحقيقة بقدر ما كان نكايته بالمستشار الذي وقف وراء قرار إنهاء خدماته من ناحية، ومن ناحية أخرى إثارة الرأي العام بحق الحضارم في تولي المناصب الرفيعة.

(1) الحزب الوطني يقول كلمته حول منصب سكرتير الدولة القيعيطية، صحيفة النهضة، العدد: (55)، ص 12.

(*) قلند موظفو الحكومة الشيخ سيف بن علي أبو علي سيفاً أثرياً في قراب فضي محلى بالذهب.

(2) مراسلنا الخاص، رسالة حضرموت، صحيفة النهضة، العدد: (56)، 28 ديسمبر 1950، ص 5.

في يوم الاثنين الموافق 18 ديسمبر 1950م غادر الشيخ سيف بن علي أبو علي المكلا جواً إلى عدن وهو نفس اليوم الذي وصل فيه السلطان صالح بن غالب القعيطي عدن قادماً من الهند⁽¹⁾. ويبدو أن السلطان وسكرتيه التقياً قبل مغادرة الأخير عدن عائداً إلى زنجبار.

وحظي السلطان صالح بن غالب القعيطي باستقبال حافل من نخبة المجتمع العدني حيث حل ضيفاً على الشيخ جواد حسن علي الذي أقام على شرف السلطان حفلة شاي فاخرة في فندق الهلال حضرها عدد كبير من أعيان البلاد وشبابها ورؤساء الإدارات الحكومية ونخبة من أعيان الجاليات في عدن. كما أقام كل من الوجيه سالمين باسنيذ والشيخ عمر باعبيذ مأدبتي غداء حضرها عدد كبير من شباب عدن وشخصياتها البارزة. ثم غادر السلطان عدن الاثنين 25 ديسمبر 1950م عائداً إلى المكلا⁽²⁾.

والجدير بالملاحظة أن الاتفاق بين الأمير عوض وقيادات الحزب الوطني في 13 ديسمبر بان يشغل سكرتيراً وطنياً بدلاً من الشيخ سيف الذي ظل يزاول مهامه في إدارة السكرتارية حتى مغادرته. وهكذا فإن نفذ الاتفاق يكون باصديق قد شغل منصب السكرتير لمدة أسبوع كامل حتى وصول السلطان صالح المكلا.

على أية حال كانت من أولى القضايا الرئيسة المهمة الماثلة أمام السلطان صالح بن غالب مشكلة تعيين سكرتير جيد خلفاً للسكرتير السابق، فأما ان يفرض ما يريد

(1) عظمة السلطان صالح القعيطي في عدن، صحيفة النهضة، العدد: (55)، ص 16؛ مراسلنا الخاص، رسالة حضرموت، صحيفة النهضة، العدد: (56)، ص 5.

(2) عظمة السلطان صالح بن عوض القعيطي ينزل ضيفاً على المحترم جواد حسن علي، صحيفة النهضة، العدد: (56)، ص 1؛ عظمة السلطان صالح القعيطي في عدن، صحيفة النهضة، العدد: (55)، ص 16.

وهو سالم باصديق أو يختار بين القدال باشا مرشح المستشار، وبين مرشحي (*)
الحزب الوطني⁽¹⁾.

وفي مساء يوم الثلاثاء 26 ديسمبر 1950 عقد مجلس الدولة (***) جلسة وقرر بالإجماع تعيين القدال باشا في منصب سكرتير الدولة⁽²⁾. وهكذا في مساء اليوم نفسه التقى المستشار البريطاني بوستيد (Boustead) بالقدال باشا على رصيف جمارك المكلا من أجل إخباره بقرار تعيينه سكرتيراً للدولة بإجماع أعضاء مجلس الدولة⁽³⁾. يظهر جلياً أن السلطان استجاب لإرادة المستشار الذي كان يتلقى المشورة بهذا الشأن من حكومة عدن.

والجدير بالذكر أن الحكومة وضعت الحزب الوطني خلال المدة من الثالث عشر إلى السابع والعشرين من ديسمبر تحت المراقبة الدقيقة، ولاحظت نشاطاته

(*) تورد صحيفة فتاة الجزيرة أسماءهم: محمد عبد القادر بامطرف وعمر محمد عوض محيرز وصلاح البكري وأحمد سالم باعشن وعبد الرحمن الجيلاني.

(1) أبو بكر بارحيم يحتج على إطلاق النار على الأهالي، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (552)، 31 ديسمبر 1950، ص 4؛ باوزير، أحمد عوض، مرجع سابق، ص 93. 98.

(**) حتى مطلع الخمسينيات، كان السلطان صالح بن غالب القعيطي على رأس مجلس الدولة، الذي يضم في عضويته الأعضاء الرسميين، المستشار البريطاني الكولونيل بوستيد، سكرتير الدولة، نائب سكرتير الدولة سالم أحمد باصديق، السكرتير المالي جيهان خان، القدال باشا ناظر المعارف، رئيس القضاة الشرعيين الشيخ عبدالله بكير، بالإضافة إلى الأعضاء المنتخبين عن الألوية، وهم الشيخ عمر عبدالله باسويد عن لواء دوعن، الشيخ أبوبكر سالم باذيب عن لواء شبام، السيد العطاس عن لواء الشحر، مسلم بلعلا عن لواء المكلا، المقدم باقروان عن حجر إلى جانب أبوبكر عبدالله بارحيم وأحمد ناصر البطاطي.

(2) أبو بكر بارحيم يحتج على إطلاق النار على الأهالي، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (552)، ص 4.

(3) ناجي، سلطان، مرجع سابق، ص 166.

في كسب تعاطف الجماهير في المدن القريبة من المكلا كالشحر وغيل باوزير، وكذا تواصل أعضاء الحزب مع رجال القبائل. كما راقبت الصحافة العدنية واهتمتها بأنها غررت بالحزب الوطني وقيادته وأعطتهم أهمية كاذبة خادعة⁽¹⁾.

وفجر يوم 27 ديسمبر 1950 أبلغ ضابط بوليس المستشار البريطاني بوستيد (Boustead) بخطورة الأوضاع في المكلا بعد سماع خبر تعيين القدال باشا حيث عقدت اجتماعات طويلة الليل، وتقرر خروج مظاهرات إلى ميدان القصر احتجاجاً على التعيين⁽²⁾.

وعند الساعة الثامنة صباحاً خرج الوفد الثلاثي المكون من أحمد علي نبهان وعبود بو عسكر وأبو بكر عمير⁽³⁾. وهنا نتوقف قليلاً أمام روايتين، الأولى يوردها البيان الصحفي الصادر من القصر، ويوضح أن الوفد قابل وكيل سكرتير الدولة الذي أفادهم بأن السلطان سيقابلهم مع سبعة آخرين من أعضاء "الحزب" البارزين في الساعة العاشرة صباحاً وسيلقي خطاباً على الجميع⁽⁴⁾. والرواية الأخرى تفصح أن عضو الوفد الثلاثي أحمد نبهان تقدم للسلطان بورقة تحمل مطلب الشعب بتعيين سكرتير وطني، ورد السلطان: "رحوا يا ملاعين". ورد عليه: "إن السلطنة سلطنتك ولكن الشعب ليس خادمك". وعاد الوفد إلى مقر الحزب الوطني، وبعد ساعة أرسل السلطان إلى الحزب يطلب مقابلة عشرة من رجال الحزب الوطني على رأسهم عوض بكير⁽⁵⁾.

(1) بلاغ صحفي، صحيفة النهضة، العدد: (61)، 1 فبراير 1951، ص 10.

(2) ناجي، سلطان، مرجع سابق، ص 166.

(3) محكمة المكلا تصدر أحكامها على المعتقلين، صحيفة النهضة، العدد: (62)، 8 فبراير 1951، ص 1.

(4) بلاغ صحفي، صحيفة النهضة، العدد: (61)، ص 10.

(5) لولا جواسيس باصديق لكان القدال في الجحيم، صحيفة النهضة، العدد: (59)، 18 يناير 1951، ص 12.

وعلى أية حال سلم الوفد السلطان عريضة جاء فيها: "نشير إلى مقام عظمتكم أننا تقدمنا باسم الشعب بموجب عريضة محررة يوم 13 / 12 إلى اعتاب سمو الأمير عوض القائم بالنيابة عن عظمتكم في غيابكم في الهند، ولقد ضمنا العريضة مطالب الشعب الخمسة وهي مسألة الماء والخيرية والضرائب بما فيها ضريبة بيوت السكن والمطالبة بسكرتير وطني وقد استقبلها سموه ووعدنا بالرد حتى وصول عظمتكم ويسرنا انكم وصلتم بالسلامة وقد شاهدتم استقبالنا لكم وفرحنا بقدمكم آمليين فيكم الخير الكبير والفضل العميم وعليه فلنا وطيد الأمل بقدمكم هذا راجين أن تحققوا لنا كل مطالبنا أعلاه، وأن الشعب ينتظر بفارغ الصبر جوابكم له حول هذه المطالب، كما يأمل أن لا تخيبروا رجاء فيكم وفقكم الله إلى ما فيه الخير للأمة والبلاد وقمع أهل الفساد والسلام"⁽¹⁾، ثم طلب منهم السلطان وفداً ثانياً مكوناً من عشرة أشخاص يأتونه في الساعة العاشرة صباحاً، وقد سماهم السلطان بنفسه⁽²⁾. ومن خلال عرض ما نشر على صفحات الصحف العدنية يتضح أن جموع المتظاهرين التي زحفت صباح 27 ديسمبر كانت على علم باختيار القدال باشا سكرتيراً للدولة، ولكنها عقدت الآمال على السلطان، الذي أخبر الوفد الثلاثي بأنه سوف يلقي خطاباً عليها ظناً منها أنه رضوخ لمطالبها.

وهكذا سارت الجماهير خلف الأعضاء العشرة من الحزب الوطني وتعالى الهتافات من كل جانب "لا نريد سكرتير أجنبي". "فليحيى السلطان وليعيش الحزب الوطني". وأصبحت المكلا في حالة إضراب شامل حيث توقفت الأعمال، وأغلق

(1) وثائق ملف حادثة القصر، العريضة الثانية التي تقدم بها الحزب الوطني للسلطان صالح بن غالب القعيطي، موقعة باسم مندوبي الشعب، في 27 / 12 / 1950 / 183 / 1370 هـ.

(2) باحمدان، محمد سالم، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي 1936 - 1956، دار الوفاق للدراسات والنشر، ط 1، 2012، ص 73.

التجار محلاتهم⁽¹⁾. ويمكننا القول إن المكلا عاشت صباحية ثورية حملت تطلعات وآمال وطنية ثائرة. فكانت مؤشراً على أول هزة شعبية زلزلت الكيان العربي القابع في السبات الطويل.

وفعلاً دخل المتظاهرون القصر الساعة العاشرة صباحاً عن طريق باب المدينة ومن قرية الشرج غربي المكلا، واحتشدوا في ساحة القصر. ودعا السلطان صالح المندوبين العشرة إلى داخل القصر حيث كان في انتظارهم المستشار البريطاني والقدال باشا السكرتير الجديد وعضوان من أعضاء مجلس الدولة. وجاء في البيان الوارد من القصر السلطاني أن السلطان "أبلغ الممثلين بأنه عين الشيخ القدال سكرتيراً للدولة إذ أنه لم يوجد رجل غيره من أبناء الوطن لائق، وأنه لن يتساهل مع المحاولات التي تسير على غير هدى للتدخل في حكمه من قبل أفراد جهلاء غير مطلعين وغير مزودين لا بالتعليم ولا بالخبرة الإدارية ولا بالمعرفة مما تمكنهم من إبداء الرأي السديد في الأمر"⁽²⁾.

وفي الواقع أن المندوبين العشرة وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام السلطان الذي ظهرت على ملامحه علامات الحزم والغضب الذي يخفي خلفه مخاوفه. ويعطينا المستشار البريطاني بوستيد (Boustead) حقيقة ما دار. حيث تكلم الناطق باسم الحزب الوطني بشجاعة قائلاً: "لقد جئنا نيابة عن الشعب لنقول لكم إننا لا نريد سكرتير الدولة من غير الحضارم". فأجاب السلطان بجفاوة بأن هذا التعيين من اختصاصي وليس من شأن العامة، فهو الذي يدفع للوظيفة وليس هم"⁽³⁾. ويتضح

(1) أبو بكر بارحيم يحتج على إطلاق النار على الأهالي، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (552)، ص 4.

(2) بلاغ صحفي، صحيفة الذكرى، ص 6؛ بلاغ صحفي، صحيفة النهضة، العدد: (61)، ص 10.

(3) ناجي، سلطان، مرجع سابق، ص 166.

من البلاغ الرسمي الذي صدر عن الحادثة فيما بعد بان رد السلطان كان يحمل في طياته تمسكاً بمشيئته وإرادته العليا في الحكم، وفي نفس الوقت انتقاصاً من كفاءة الحضارم في تولي المناصب العليا، واتهام جموع المتظاهرين بالرعا والغوائية دون إعطاء بصيص من الإنصاف بحقوقية مطالبهم.

إن ما دار داخل قصر السلطان مسرحية هزلية كتب السيناريو الخاص بها المستشار بوستيد (Boustead) فأبقى السلطان حازماً كي يتغلب على مخاوفه، وجعل من القدال باشا رجلاً كرس حياته في خدمة الحضارم وجديراً بان يكون سكرتيراً، ثم جاء بأعضاء الحزب الوطني الأكثر تأثيراً لعقد البيعة تحت أسنة الرماح. وخارج القصر فكان لابد من قرابين تذبح على أبوابه.

ورد في صحيفة فتاة الجزيرة عن الحادثة أنه بعد انتهاء أعضاء الحزب الوطني من تهنته القدال باشا أوضح رئيس هيئة سكرتارية الحزب عوض محمد بكير أنهم إذ يهنتون القدال باشا يعبرون عن أنفسهم فقط وإثباتاً للسلطان بأنهم يرضخون لقرارة، ولكنهم لا يملكون سلطة كبح جماح الجماهير الغاضبة، ورفض بكير طلب السلطان بالخروج للمتظاهرين ليشرح ما تم الاتفاق عليه. وطلب السلطان من أحمد ناصر البطاطي الخروج إلى المتظاهرين كونه عضو مجلس الدولة، واستقبله المتظاهرون بالقذف والسب وحاولوا الاعتداء عليه⁽¹⁾. وهذا ما تؤكده منشورات القصر في الصحف العدنية، حيث توضح أن المندوبين العشرة غادروا القصر على عجل، متجهين إلى منازلهم، تاركين المتظاهرين يعبرون عن غضبهم. وعندما عرف المتظاهرون أن السكرتير ليس وطنياً ثارت ثائرتهم واقتحموا أسوار القصر حتى وصلوا إلى الحرس فانتزعوا سلاحهم وأخذوا يدقون الأبواب بصورة

(1) أبوبكر بارحيم يحتج على إطلاق النار على الأهالي، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (552)،

هستيرية ليصلوا إلى السلطان الذي أذاقهم مرارة الخذلان، وكانوا يدركون أن قرار توليته القدال لا ينبع من إرادته. إنما هي إرادة المستشار بوستيد (Boustead) الذي وجد ضالته في شخص القدال الطامع في السلطة⁽¹⁾.

يظهر جلياً من خلال البيان الصادر من القصر السلطاني بتاريخ 30 ديسمبر 1950م - أي بعد ثلاثة أيام من الحادثة - أن الهدف الأساسي لاقتحام المتظاهرين للقصر كان الوصول إلى السلطان صالح بن غالب القعيطي⁽²⁾. وهذا في رؤيتنا يعني أن المتظاهرين أرادوا توصيل رسالة للسلطان الذي شعروا بأنه خذلهم وأجبر قياداتهم على الموافقة على تعيين الأجنبي، وأسقط أحلامهم ووآد آمالهم وتطلعاتهم في إدارة شؤون بلادهم.

في الحقيقة منذ تعالت هتافات المتظاهرين في الصباح الباكر، أدرك المستشار البريطاني مدى غضب الشعب عندما سمع قرار المجلس السلطاني في تعيين القدال باشا. وأمر بأن يكون جيش المكلا النظامي في حالة استعداد داخل الثكنات. حيث يقول: "وعندما سمعنا الأصوات الهادرة أطلعنا السلطان بسرعة إلى غرفته في الطابق الثاني من القصر، وأرسلت شخصاً ليتلفن إلى كينيدي [مساعدته] كي يخبره بإحضار جيش المكلا النظامي في الحال⁽³⁾. وهذا الاعتراف الواضح من المستشار أنه هو من قام بإدارة مجرى الأحداث لا السلطان الذي حاول البيان إظهاره بأنه طلب تعزيزات من جيش المكلا النظامي⁽⁴⁾. ولم يكشف لنا المستشار في كتابه عن الحادثة ولا حتى البلاغ الصحفي الصادر من القصر عن موقف القدال باشا ومكان

(1) أول مظاهرة من نوعها في حضرموت، صحيفة النهضة، العدد: (57)، 4 يناير 1951، ص 4.

(2) بلاغ رسمي، صحيفة النهضة، العدد: (57)، 4 يناير 1951، ص 29.

(3) ناجي، سلطان، مرجع سابق، ص 166.

(4) بلاغ صحفي، صحيفة النهضة، العدد: (61)، ص 10.

تواجهه وقت اندفاع الجماهير داخل القصر لاسيما أن الغضب بدرجة رئيسة حول شخصه وقرار تعيينه.

وعندما وصل القائد صالح بن سميدع^(*) هاله ما رأى حيث شق ما يقرب من مئتين من المتظاهرين طريقهم أمام حرس القصر والبوليس ووثبوا إلى الطابق الثاني من القصر ومن ثم كانوا يشيرون إلى زملائهم في الأسفل بالصعود والانضمام إليهم. وانفتحت الأبواب الثلاثة عنوة، وأخذ يزداد عدد المتظاهرين بانضمام المارة إليهم بدافع الفضول لمشاهدة ما يحدث داخل القصر، عند ذلك أطلق الجنود النار فوق رؤوس المتظاهرين دون خسائر بشرية⁽¹⁾. ويوضح عوض محمد بكير رئيس الحزب أن محمد سالم بصعير كان المحرض الرئيسي للمتظاهرين على مهاجمة الجنود، حيث أخبرهم أن إطلاق الرصاص فوق رؤوسهم ليس سوى وسيلة للتخويف والتفريق، ودفعهم إلى مواصلة المواجهة مع الجنود⁽²⁾.

في الوقت ذاته فإن الصخب في القصر قد ازداد فصرخ القائد بن سميدع طالباً من قائد حرس القصر أن يبعث برجاله إلى الطابق الأعلى من القصر لحماية شخص

(*) صالح يسلم بن سميدع (1911 - 1973): ولد في قرية الشمرية صواط آل علي في وادي رخية، سافر صغيراً إلى السودان والسعودية وجاوا واستقر في الهند ليعمل في جيش حيدر اباد، وعندما استلم السلطان صالح بن غالب الحكم عام 1936م وجه الدعوة إلى الحضارم المهاجرين للعودة إلى الوطن للاستفادة من خبراتهم التي اكتسبوها للمساهمة في رقي بلادهم. وعاد بن سميدع والتحق بالجيش النظامي وترقى إلى رتبة لواء خلالها حضي بثقة الاستشارية البريطانية في المكلا؛ السلطان غالب بن عوض القعيطي (شهادة للتاريخ)، حاوره: صالح حسين الفردي، دار الوفاق للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 2020، ص 31 - 33؛ نجل اللواء بن سميدع (فائز صالح بن سميدع) في حوار مع مجلة حضر موت الثقافية، مجلة حضر موت الثقافية، السنة السابعة، العدد: (27)، يناير - مارس 2023، ص 22 - 30.

(1) بلاغ صحفي، صحيفة النهضة، العدد: (61)، ص 10.

(2) باوزير، أحمد عوض، مرجع سابق، ص 99.

السلطان. أما الجنود في حوش القصر - كآخر إجراءات يائسة - أطلقوا النيران على المتظاهرين، وقتل ثمانية من المتظاهرين^(*) داخل ساحة القصر، ووصل عدد الإصابات إلى سبعة وأربعين وقضى الآخرون نحبهم في المستشفى. واستمر إطلاق الناريين الدقيقة إلى الدقيقتين، ولاذ المتظاهرون بالفرار من الرصاص من باب القصر الكبير⁽¹⁾.

وعلى الرغم من اعتراف المستشار البريطاني بأنه بعث برقية إلى حاكم عدن وطلب منه ألا ينشر في الصحف سوى الخبر الذي بعث به إليه غير أن صحيفة النهضة العنانية نشرت أخبار الحادثة بكل تفاصيلها.

فعلاً كان يوماً عصيباً عاشته مدينة المكلا، وأعلن الحكم العرفي ومنع التجول الذي استمر إلى اليوم التالي. وخرجت فرق من الجيش النظامي مع الشرطة المسلحة ورابط الجنود في السدة، وأمام منزل المستشار والبعض في إدارة المستشارية وإدارة الجمارك، وأمام مقر الحزب الوطني. وعلى إثر الأحداث أصدر السلطان القعيطي قراراً بحل الحزب الوطني وألا يعود إلا بأمر سلطاني. وفي يوم الخميس الموافق 29 ديسمبر أمر السلطان بمصادرة أوراق وملفات وسجلات الحزب الوطني، والقبض على عوض بكير وأحمد بافقيه (مراسل صحيفة النهضة) لتحريضهم المتظاهرين⁽²⁾.

(*) لا توجد إحصائية دقيقة بعدد شهداء القصر، ولكن أبرز الأسماء التي توصلت إليها الدراسات هي: حسن سعيد حاتم، محفوظ سالم بامحسون، صالح عبد الله مخير، سعيد علي باني، صالح سالم بانوبي، محفوظ باسنكر، علي محمد رجرج، أحمد عمر دعيك، خميس سالم بهلول، سالم محمد سهيل، علي بن كليب؛ باوزير، أحمد عوض، مرجع سابق، ص 88، 89. (1) بلاغ رسمي، صحيفة النهضة، العدد: (57)، ص 29؛ باوزير، أحمد عوض، مرجع سابق، ص 102؛ ناجي، سلطان، مرجع سابق، ص 167. (2) أبوبكر بارحيم يحتج على إطلاق النار على الأهالي، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (552)، ص 4.

وتشكلت محكمة للتحقيق مع المعتقلين باشرت أعمالها بشكل يومي، وهم: صالح بن عشيان النهدي وأحمد بن ناصر البطاطي وعلي سالم باعشن وعلي محمد العماري والمقدم أحمد باصرة⁽¹⁾. وظلت تعقد جلساتها في غرفة مجاورة لمبنى سجن المنورة حيث وضع السجناء في غرف انفرادية إلى صدور الأحكام ضدهم وبعدها سمح لهم بالتجمع في ساحة السجن⁽²⁾.

صدرت الأحكام بعد شهرين من الحادثة تقضي بتبرئة خمسة من رجال الحزب الوطني لأنهم لم يكونوا حاضرين في اجتماع الحزب الوطني ليلة الحادثة والخمسة هم: عبد الله سالم باحاتم وعبد الله صالح داوود ويسلم زبير وباخرية وخامس لم تذكر المصادر اسمه. وحكمت على أحمد علي نبهان وعبود بو عسكر وأبو بكر عمير هم أعضاء الوفد الثلاثي الذي قدم مطالب الحزب للسلطان يوم الحادث بالحبس ثلاث سنوات^(*). وحكم على سبعة معتقلين آخرين خمس سنوات وهم صالح الهجري وسالمين سكارو وسعيد صانه الصومالي - يقال إنه هو الذي مزق العلم البريطاني - ثم النفي المؤبد وأحمد درعان وفرج خلف ويعقوب عبد البطاطي

(1) الحكومة القعيطية تحقق مع المسؤولين في مسألة تسرب الأنباء إلى الصحف العدنية، صحيفة النهضة، العدد: (59)، ص 12.

(2) باوزير، أحمد عوض، مرجع سابق، ص 86؛ الشعب يدفع دماءه وأرواحه ثمنا لإزالة القدال، صحيفة النهضة، العدد: (58)، 11 يناير 1951، الأخيرة.

(*) وجهت إليهم تهم التآمر مع رئيس الاجتماع مساء يوم 26 / 12 / 1950 م على كتابة عريضة لصاحب العظمة السلطان صالح متضمنة مطلب سكرتير وطني وأطلقوا على أنفسهم لقب مندوبي الشعب ومن ضمن التهم اتصاليهم ببعض أعضاء اللجنة التنفيذية واشتركوا معاً في تهيج الغوغاء والرعاع ونتج عن ذلك تجمهر واضطرابات وانهاك حرمة القصر السلطاني والاخلال بالأمن العام وضرب الجنود وأخذ بندقياتهم ونزع العلم من سيارة المستشار؛ وثائق ملف حادثة القصر، اقوال المدعي العام ضد مندوبي الشعب موقعة من أعضاء المحكمة.

وأحمد صالح باعيسى والأخير حكم عليه بالنفي 5 سنين بعد إتمام مدة السجن. وحكم على السيد أحمد بافقيه (مراسل النهضة) بغرامة قدرها (600) روية مع بقاءه تحت المراقبة لمدة ستة أشهر وعلى أن يسجل اسمه يومياً خلال هذه المدة في إدارة البوليس، وحكم على علي عبد الله حاج بن طريش وعوض محمد بكير وسالم أبوبكر باغويطة وأبو بكر محمد بامنصور وسالم بو عسكر وسالم خميس ثوبان وسالم القحوم وسالم أحمد بن سهيلان وعوض باسلامة بحبس كل منهم لمدة سنتين ودفع غرامة (2000) روية. وحكم على محمد علوي شيخان وأبو بكر سالم بن الشيخ أبو بكر وأحمد عبد الله باجنيد وفرج أحمد بو سبعة بالحبس ثلاثة شهور مع دفع كل منهم غرامة (500) روية. وحكم على محمد سالم بصعر بالحبس سنة واحدة وغرامة قدرها (1.000) روية وعلى سالم عبد الله الفردي بالحبس سنتين وحكم على سالم فرج عبد النصير بالحبس ستة أشهر مع دفع غرامة (500) روية وعلى عبد الله مخير بالحبس سنة واحدة مع تغريمه (500) روية⁽¹⁾.

استقبل الرأي العام داخل حضرموت وخارجها الأحكام الصادرة على رجال الحزب الوطني بعدم الرضا، ووصفت بالأحكام الانتقامية والحاكمة، وأنها تفتقد إلى العدالة، وأنها أحكام تصدر على كبار القتلة والمجرمين⁽²⁾.

تبدو واضحة قسوة الأحكام من قبل حكام حضارم وطينين - كما وصفهم السلطان - وحقيقة أنهم ارتضوا أن يكون الأجني سكرتيراً يعملون تحت مشيئته التي تمثل إرادة المستشار البريطاني الذي رضوا عنه، فهو الذي يحرك مجريات الأحداث بإعداد سناريو المحاكمة، وإعادة القرار للسلطان ليطلق رصاصات

(1) محكمة المكلا تصدر أحكامها على المعتقلين، صحيفة النهضة، العدد: (62)، ص 1. 4.
(2) الحضارم يطلبون من السلطان صاحب الكلمة الأخيرة ان ينقذ الشعب الحضرمي من الكارثة، صحيفة النهضة، العدد: (63)، 15 فبراير 1951، ص 5.

الرحمة على السجناء. فأصدر أحكام العفو على ثلاث دفعات. أفرج في فبراير عن الدفعة الأولى المكونة من سبعة أشخاص هم: أحمد عمر بافقيه وأبو بكر بن سالم بن الشيخ أبوبكر ومحمد علوي شيخان وأحمد عبد الله باجنيد وصالح المرفدي⁽¹⁾. ثم أفرج عن الدفعة الثانية في مارس وتكونت من تسعة أشخاص هم: سالم بو عسكر (مقدم برع السدة) وعوض القحوم وأبو بكر بامنصور وسالم باغويظة وسالم ثمامان (مقدم البلاد) وسالم بن سهيلان، وعبد الله بن طرش وأخذ عليهم ضمانات بعدم مغادرة البلاد خلال المدة المحكوم بها عليهم، وهي سنتان، مع حسن السلوك⁽²⁾.

واخيراً صدر العفو في أبريل 1951م عن خمسة من أعضاء الحزب الوطني وهم عوض محمد بكير (رئيس اتحاد سكرتارية الحزب الوطني) وأبو بكر عمير وأحمد بن نبهان وعبود بن سالم بو عسكر وعيضة بامسعود، وقد أخذ عليهم الضمانات بعدم مغادرة البلاد مع حسن السلوك في المدة المحكوم بها على كل منهم، وتراوح ما بين سنة وثلاث سنوات. حيث التقاهم السلطان في القصر لسدل الستار عن أبرز محاكمة شهدتها المكلا في القرن العشرين، ولم يبق من أعضاء الحزب في الاعتقال غير اثنين أفرج عنها فيما بعد⁽³⁾.

المبحث الرابع: مواقف الحضارم من حادثة القصر

لعبت الصحف العدنية دوراً محورياً في تعزيز التواصل بين حضارم عدن والمهجر بالوطن، حيث خصصت صفحات خاصة بأخبار حضرموت تناولت

(1) باوزير، أحمد عوض، مرجع سابق، ص 87.

(2) الإفراج عن 9 من المعتقلين في قضية المكلا، صحيفة النهضة، العدد: (67)، 15 مارس 1951، ص 1.

(3) الإفراج عن فوج جديد من المعتقلين في المكلا، مراسل النهضة الخاص، صحيفة النهضة، العدد: (70)، 5 أبريل 1951، الأخيرة.

مختلف القضايا الحضرمية ولها قراؤها المداومون. فكانت الصحافة رغم بعد المسافات نافذة اطل منها الحضارم على بلادهم.

اما بالنسبة للحضارم في حضرموت فمنذ وقت مبكر كانت الصحف العدنية تصل إليهم من عدن بشكل دوري؛ وتتبعوا من خلالها كل المستجدات والأحداث في حضرموت خاصة والمنطقة بصورة عامة، فأسهمت تلك الصحف في رفع مستوى الوعي الوطني، وغرست في شريحة واسعة من الحضارم الاحساس بالظلم لا الظلم ذاته مما جعلهم يتسألون عن أسباب تولي الأجانب الوظائف العليا في الدولة القعيطية. وأخذوا يطالبون بحق تعيين الأكفاء منهم وإحلالهم بدلاً من الأجانب، وإشراكهم في إدارة شئون بلادهم.

وخلال الخمسينيات من القرن الماضي سلط الضوء من قبل الصحافة العدنية على المكلا بعد أن عزم السلطان صالح بن غالب القعيطي على عدم تجديد عقد خدمة السكرتير سيف بن علي أبو علي باشا. وتتبع الصحف حركة الشارع في المكلا، ومطالبه التي تبناها الحزب الوطني في اختيار سكرتير وطني بدلاً من الأجنبي. إذ شغلت المطالب الشعبية وما ترتب عليها من أحداث؛ العناوين الرئيسة على صفحاتها، وكان لها أصداء كبيرة في نفوس حضارم الداخل والخارج.

أولاً موقف حضارم عدن من الحادثة:

وعند وصول أخبار حادثة القصر من المكلا؛ انقسم حضارم عدن على أنفسهم بين مستنكر وساخط من قتل المتظاهرين المسالمين، وقيام السلطات الحاكمة بحملة اعتقالات امتدت إلى أعضاء الحزب الوطني والمواطنين المشاركين في المظاهرات. واتفقوا جميعاً على إرسال برقية(*) إلى السلطان صالح بن غالب

(*) أبرز الموقعين على البرقية أسماؤهم بالنيابة عن عموم الحضارم: علي محمد عمر بازركة، حامد بن علوي، وعلوي الكاف، سالمين عمر باسنيد، محمد باعبيد، سعيد أحمد عمر

القيطي يعبرون فيها عما جاش في نفوسهم جراء استعمال القوة المفرطة في تقريظ المتظاهرين السلميين على عتبة القصر، حيث أبدوا أسفهم على سقوط الضحايا الأبرياء، واستياءهم من محاكمة المتظاهرين، وطالبوا السلطان بضرورة الإفراج عن المعتقلين، والعمل على إرضاء الشعب وتحقيق مطالبه المشروعة⁽¹⁾.

فعلى الرغم من البرقية التي ارسلها السلطان إلى حضارم عدن ووضح لهم فيها عدم معرفتهم بحقيقة الموقف في المكلا إلا أنهم ردوا على السلطان موضحين له بأن القضية التي وقف بها الشعب على أبواب القصر هي قضية حقوقية بحته تقرها كل الشرائع على الأرض، وأنه من حق الشعب أن يتظاهر ويقاوم من أجلها. وأن المظاهرة الشعبية كانت سلمية، ولكن تجاهل الشعب والعبث برغبته قد انحرف بها إلى طريق العنف. ودعوا السلطان ألا يشق العصا بينه وبين الشعب⁽²⁾.

يبدو أن حضارم عدن لم يقتنعوا بالمنشورات الرسمية الصادرة من القصر السلطاني عن الحادثة، مما حدا بالقصر في 20 يناير 1951م إلى إصدار رد مفصل على برقيتهم^(*) أوضح فيه بأن السلطان وحكومته محبين للعدالة ويسعون إلى إرسائها. وفسر لهم الفرق بين مظاهرات 13 ديسمبر و27 ديسمبر موضحاً بأن الأولى

-
- بازرعة، محمد عمر العمودي، وسالم باشنفر، باسودان، سعيد أبو بكر باجنيد، باسويد، سالم العمودي، أحمد محمد بارعدى، ياسين الصافي.
- (1) الحضارم في عدن يحتجون على تقتيل مواطنيهم بالرصاص، صحيفة الفضول، العدد: (3)، 15 يناير 1951، ص 6.
- (2) الحامد، عيدروس، وهذا رد السلطان وتعليق الكاتب عليه، صحيفة الشباب، العدد: (59)، 13 يناير 1951، ص 7.
- (*) أرسل القصر الرد إلى كل من: السيد حامد علوي والسيد أحمد بن حسين العطاس والشيخ علي بن محمد بازرعة والشيخ صالح بن عبد الله بارحيم، والشيخ سعيد أحمد بازرعة والشيخ سالم محمد باشنفر والشيخ عمر سالم باعبيد.

مشروعة بترخيص من السلطة، والتزم المتظاهرون فيها بالسلمية، وانتهت بسلام دون أعمال عنف. وأما الثانية فاتسمت منذ البداية بالعنف والإرهاب والتهديد، وأجبرت التجار على إغلاق المحلات التجارية، وأقفلت أبواب المدارس، وأن المتظاهرين هاجموا القصر، وسلبوا ونهبوا السلاح من الجنود، وكسروا الأبواب وانتهكوا حرمة القصر السلطاني.

وتساءل القصر عن رؤية الحضارم والكيل بمكيالين حول تقصير السلطان في عدم إسناد أكبر منصب في الدولة للوطني من أصحاب الكفاءة وعندما أصدر قراراً بتعيين أعضاء لجنة المحكمة من الوطنيين تعالت الأصوات في الطعن بكفاءتهم.

كما رد القصر على مطالب الحضارم بضرورة محاكمة الجنود الذين أطلقوا النار على المتظاهرين موضعاً لهم تشكيل لجنة لتقصي الحقائق التي على ضوء تقريرها سوف يصدر القصر قراراته. وطالب القصر الحضارم العقلاء في عدن المساهمة في إيجاد الحلول للمشكلة. وفي الوقت نفسه نعت المبادئ التي حملها الحزب الوطني بالمبادئ الهدامة⁽¹⁾. يتضح لنا أن القصر لم يدرك جيداً أنه المسؤول الأول عن إثارة الشعب من خلال تجاهل مطالبة المشروعة.

وعلى أية حال تعاطف حضارم عدن مع المعتقلين وطالبوا بإطلاق سراحهم وتعويض عائلات القتلى والجرحى، وطالبوا الحكومة بالنفقة على الأراامل والأيتام وتقديم الرعاية التعليمية المناسبة⁽²⁾.

(1) السلطان صالح يقول لحضارم عدن، صحيفة النهضة، العدد: (62)، 8 فبراير 1951، ص 11.

(2) حضارم عدن يطلبون السلطان صالح، صحيفة النهضة، العدد: (59)، 18 يناير 1951، ص 8.

وبعد صدور الأحكام على المعتقلين مباشرة، تولد استياء عام لدى حضارم الداخل والخارج، وعبروا عن استغرابهم من الأحكام الجائرة بحق أعضاء الحزب الوطني، وجددوا مطالبهم بالإفراج عن جميع المعتقلين⁽¹⁾. وتنادى الحضارم في عدن لجمع التبرعات المالية لأسر القتلى والجرحى حيث وصل إجمالي التبرعات إلى 13.300 روبية⁽²⁾.

في واقع الأمر بعد ثلاثة أشهر من حادثة القصر أخذ خطاب الحضارم بالتراجع والتركيز على مطالبة السلطان بالإفراج على المعتقلين، وتوصيل التبرعات المالية إلى عائلات القتلى من الأرمال والأيتام حيث بعثوا بحوالة مالية قدرها 13.300 روبية إلى السلطان من أجل توزيعها بعدالة⁽³⁾.

ثانيًا: موقف حضارم المهجر من الحادثة:

لقيت أخبار حادثة القصر أصداءً قوية عند الجالية الحضرمية في المهجر مما أدى إلى خروج البعض منهم من دائرة الصمت كي يعبروا عما يجول في نفوسهم من هول الكارثة التي أصابت الوطن. وقد كتبوا على صفحات الصحف العديدة رسائل إلى السلطان وقيادة الحزب الوطني. فكانوا أكثر حرصًا على سلامة البلاد والعباد، ولذا نجد أن بعض الرسائل تلقي بالمسؤولية على المستشار البريطاني الذي أسند سكرتارية الدولة للقدال باشا، ولاموا السلطان على موقفه من مطالب

(1) الحضارم يطلبون من السلطان صاحب الكلمة الأخيرة أن ينقذ الشعب الحضرمي من الكارثة، صحيفة النهضة، العدد: (63)، 15 فبراير 1951، ص 5.

(2) كشف بأسماء المتبرعين لأيتام وعائلات القتلى في حادثة المكلا، صحيفة النهضة، العدد: (68)، 22 مارس 1951، ص 14.

(3) 13.300 روبية لعائلات شهداء ومنكوبي المكلا، صحيفة النهضة، العدد: (69)، 29 مارس 1951، ص 16.

الشعب وإثارة ثأثرته بعد شعوره بالخذلان⁽¹⁾.

ومن ناحية أخرى، خاطبوا السلطان صالح بن غالب القعيطي، ودعوه إلى العمل من أجل الشعب، واجتياز الصعاب، وتحقيق العدالة، وإطلاق سراح المعتقلين⁽²⁾. وبطبيعة الحال عبّروا عن استنكار حضارم المهجر^(*) لحادثة القصر وإطلاق الجنود الرصاص على المتظاهرين السلميين، وإلقاءهم باللوم على الحكومة وإجرائاتها بفرض الاحكام العرفية، واعتقال أعضاء الحزب الوطني دون ارتكاب أية جريمة سوى المطالبة بالحقوق المشروعة⁽³⁾. وطالبوا السلطان صالح بن غالب بإعادة النظر والتفكير في إصلاح الحكومة والشعب، وأكدوا تأييدهم لمطالب الحزب الوطني على اعتبار أنها تمثل أمانتهم الوطنية في التقدم والحرية⁽⁴⁾. وفي الوقت ذاته بعثوا برسالة إلى الحزب الوطني، أشادوا فيها بدورة الوطني في حمل قضاياهم المطالبية العادلة، وأكدوا تأييدهم لحقوق الشعب وكفاح الحزب من أجل خدمة الوطن⁽⁵⁾.

في حين حاولت بعض الشخصيات الحضرمية في المكلا؛ تهدئة سخط الحضارم

(1) خطاب مفتوح لصاحب العظمة السلطان صالح بن غالب القعيطي، صحيفة النهضة، العدد: (58)، 11 يناير 1951، ص 11.

(2) خطاب مفتوح لصاحب العظمة السلطان صالح بن غالب القعيطي، العدد: (58)، ص 11. (*) الذين بعثوا برسالة للسلطان والحزب الوطني حضارم المملكة العربية السعودية هم: سالم أحمد محفوظ، سعيد محمد العمودي، أحمد عبد الله العمودي، أحمد سعيد بقشان، عمر بادحدح، أحمد حصريم، أحمد عبود العمودي، عبود الزهري، وجيه بن أحمد باريان، محمد بو بكر الدني، حسين عبود سكلوع، محمد عبد الرحمن سكلوع.

(3) حضارم البلاد السعودية يرسلون احتجاجا، صحيفة النهضة، العدد: (59)، ص 5.

(4) حضارم البلاد السعودية يرسلون احتجاجا، نفسه، العدد: (59)، ص 5.

(5) حضارم البلاد السعودية يرسلون احتجاجا، نفسه.

في الخارج. ورد عليهم حضارم المهجر برسالة بعثوا بها إلى المكلا، وعبروا فيها عن صدق مشاعرهم الطيبة تجاه إخوانهم في المكلا، وذكرهم بالحادثة وآثارها على الجميع في الداخل والخارج، ولفتوا انتباههم إلى أن نضال الشعب من أجل حقوقه المشروعة. وأن ما حدث في المكلا باتفاق الجميع هي حركة ثورية نتاج النهضة القومية⁽¹⁾.

كما أثار الحادثة موجه استياء واسعة بين الطلاب الحضارم البعثيين الدارسين في سوريا، الذين استنكروا إطلاق النار على المتظاهرين، وأعلنوا تأييدهم لمطالب الشعب بتعيين سكرتير وطني. حيث يمكن ملاحظة أن تلك المواقف التي اتخذها الطلاب لم تخرج عن نطاق شجب واستنكار قمع المطالب المشروعة لإخوانهم الحضارم⁽²⁾.

وفي الوقت ذاته لم يكن الحضارم في شرق أفريقيا بعيدين عن الوطن فهم يتابعون أخباره بشكل متواصل لاسيما عبر الإذاعات العربية. حيث أعربت الأغلبية العظمى منهم عن تأييدها لمطالب المتظاهرين بتعيين سكرتير وطني بدلاً من الأجنبي، وصبغ الدولة القعيطية بالصبغة الوطنية، وإحلال العناصر الوطنية ذات الكفاءة في المناصب العليا، ونددوا بإطلاق النار على المتظاهرين ومحاسبة الجنود، واعتبروا الحزب الوطني حاملاً لراية الأمة⁽³⁾.

(1) الحضارم المهاجرون يردون على أصحاب منشور 12 يناير، صحيفة النهضة، العدد: (61)، 1 فبراير 1951، ص 1. 9.

(2) القضية الحضرمية في صحف سوريا، صحيفة النهضة، العدد: (61)، 1 فبراير 1951، ص 12؛ الشيوعيون يمنعون تظاهرة الشباب الحضرمي في سوريا، صحيفة النهضة، العدد: (63)، 15 فبراير 1951، ص 12.

(3) مراسل الصحيفة، الحضارم بالاريتريا يتحدثون عن اضطرابات المكلا، صحيفة فتاة الجزيرة، العدد: (555)، 21 يناير 1951، ص 3؛ صحيفة النهضة، العدد: (59)، 18 يناير 1951، ص 12.

لقد توقف حضارم الخارج من النشر في الصحف العدنية ولكنهم ظلوا يحملون هموم الوطن الذي غادروه بحثاً عن الرزق وتحسين أوضاعهم المعيشية ولا يعني ذلك أنهم كانوا بعيدين عن الوطن الذي عاش فيهم آمليين إصلاح شؤونهم والعودة إليه مهما طال الصبر في الغربة.

الخاتمة:

تمثل حادثة القصر السلطاني قمة الصراع بين الإرادة الشعبية التواقة نحو الحرية والتقدم والتحرر والهيمنة الأجنبية في أكمل صورها الاستعمارية؛ فخلع الخذلان رداء السلطان الذي كان الشعب يعقد عليه آمال كبيرة، وبرز دور المستشار كوصي على العرش وسلامته، وفرض إرادته على إرادة الشعب، وقمع ثائرتة وإطفاء بركان الغضب برصاص الجنود الذين قذفهم في دوامة الصراع محملاً إياهم المسؤولية، وكان لزاماً على السلطان أن يقف إلى صف جنوده، بعد أن حاك المستشار فصول المأساة؛ جلد الضحية (الشعب) عقاباً على الحلم بالحق المنشود. وأدخل الكل في دائرة الاتهام وكان البريء الوحيد والشاهد المنصف الذي قال الحقيقة. ولقد توصنا في بحثنا إلى عدد من النتائج والاستنتاجات التي يمكن تلخيصها في الآتي:

1. أن الوعي الوطني في المكلا وصل مستوى تجاوز فيه الوعي القومي السائد في العالم العربي، وكانت الحادثة بمثابة ثورة شعبية على الهيمنة الأجنبية.
2. أن المطالب المشروعة التي رفعها رايتهما الحزب الوطني حظيت بإجماع جميع فئات المجتمع الحضرمي في الداخل والخارج.
3. أن المستشار البريطاني فرض إرادته على السلطان والشعب وهو المسؤول الأول على إطلاق الجنود النار على المتظاهرين.

4. أن إحساس المتظاهرين بالخذلان من السلطان بتعيين سكرتير غير وطني والرضوخ لإرادة المستشار في تعيين الأجنبي في إدارة شئون البلاد دفعهم نحو الغضب وانتشار أعمال العنف داخل القصر السلطاني.

5. أن حادثة القصر في المكلا من الحوادث التاريخية التي سوف تتجدد قراءتها عبر أجيال متتابعة من المؤرخين والكتاب والفلاسفة من أجل كتابة التاريخ بإنصاف واستخلاص الدروس والعبر لاستشراف المستقبل.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق:

1. وثائق ملف حادثة القصر، اقوال المدعي العام ضد مندوبي الشعب موقعة من اعضاء المحكمة.
2. وثائق ملف حادثة القصر، العريضة الثانية التي تقدم بها الحزب الوطني للسلطان صالح بن غالب القعيطي، موقعة باسم مندوبي الشعب، في 27 / 12 / 1950 / 183 / 1370 هـ.

ثانياً: المراجع باللغة العربية:

1. باحمدان، محمد سالم، عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي 1936 - 1956، دار الوفاق للدراسات والنشر، ط1، 2012.
2. باوزير، أحمد عوض، شهداء القصر، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن 1977.
3. باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1958.
4. _____، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، مكتبة تريم الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2011.
5. البطاطي، عبد الخالق، إثبات ما ليس مثبت من تاريخ يافع في حضرموت، مطابع دار البلاد، جدة، ط1، 1989.
6. البكري، صلاح، في جنوب الجزيرة العربية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1949.
7. _____، تاريخ حضرموت السياسي، ج2، مطبعة البابي، القاهرة، ط2، 1936.
8. الجعدي، عبد الله سعيد، الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت 1918 - 1945 م، دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع، الشارقة، ط1، 2001، ص203.
9. السلطان غالب بن عوض القعيطي (شهادة للتاريخ) حاوره: صالح حسين الفردي، دار الوفاق للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2020.

10. السقاف، عبدالرحمن بين عبيد الله، معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق إبراهيم أحمد المقحفي، عبدالرحمن حسن السقاف، مكتبة الارشاد، ط2، 2002.
11. عكاشة، محمد عبد الكريم، السلطنة القيعطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت 1839 - 1918 م، دار أبن رشد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1985.
12. القدال، محمد سعيد، الشيخ القدال باشا معلم سوداني في حضرموت، دار جامعة عدن، ط1، 1997.
13. القيعطي، عبد العزيز بن علي صلاح، إحلال السلام في حضرموت، دراسة تاريخية لتجربة حضرموت في القضاء على الثأر القبلي 1933 - 1953 م، طبع في الصين، ط1، 2009 م.
14. مجموعة من المؤلفين، القضية الفلسطينية في أربعين عامًا (بين ضراوة الواقع... وطموحات المستقبل)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1989.
15. ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن 1839 - 1967، ط1.

ثالثاً: الصحف

1. صحيفة الذكرى
- بلاغ صحفي، العدد: (112)، 26 يناير 1951. ص 6.
2. صحيفة الشباب
- الحامد، عيدروس، وهذا رد السلطان وتعليق الكاتب عليه، العدد: (59)، 13 يناير 1951.
3. صحيفة فتاة الجزيرة
- أبو بكر بارحيم يحتج على إطلاق النار على الأهالي، العدد: (552)، 31 ديسمبر 1950.
- أبو حزم، الأجانب بحضرموت، العدد: (349)، 8 ديسمبر 1946.
- أخبار حضرموت (مناظرة عامة)، العدد: (223)، 28 مايو 1944.
- أخبار محلية، المكلا، العدد: (17)، 10 مارس 1940.

- أخبار المكلا، العدد: (98)، 30 نوفمبر 1941.
- استجواب أدبي، العدد: (258)، 11 فبراير 1945.
- الإضراب في لحج وعدن والمكلا، العدد: (322)، 19 مايو 1946.
- الأوساط الشعبية تتحدث عن سكرتير الدولة، العدد: (537)، 10 سبتمبر 1950.
- أنباء حضرموت، العدد: (177)، 27 يونيو 1943.
- أبو علي، سيف بن علي، الموظفون بحضرموت، العدد: (346)، 17 نوفمبر 1946.
- بلاغ صحفي، العدد: (556)، 28 يناير 1951.
- لماذا تتعثر الوحدة؟، العدد: (394)، 2 نوفمبر 1947.
- تعيين مستشار جديد لدولتي حضرموت، العدد: (487)، 11 سبتمبر 1949.
- الحركة الأدبية في المكلا، العدد: (125)، 14 مايو 1942.
- الحزب الوطني يدرس الموقف السياسي بحضرموت، العدد: (539)، 1 أكتوبر 1950.
- الحزب الوطني... مبادئه وأغراضه، العدد: (368)، 20 أبريل 1947.
- حول اتحاد حضرموت، العدد: (334)، 11 أغسطس 1946.
- حول اتحاد حضرموت، العدد: (336)، 25 أغسطس 1946.
- حول الاستجواب الأدبي، العدد: (260)، 25 فبراير 1945.
- الرابطة الحضرمية، العدد: (382)، 27 يوليو 1947.
- الرأي العام يتحدث عن خدمة الشيخ سيف باشا، العدد: (421)، 16 مايو 1948.
- رد على الاستجواب الأدبي، العدد: (261)، 4 مارس 1945.
- الشعب الحضرمي يتحدث عن الدستور، العدد: (425)، 13 يونيو 1948.
- صوت الأمة إلى الراي العام، العدد: (344)، 27 أكتوبر 1946.
- عظمة السلطان يمر بعدن في طريقة إلى الهند، العدد: (539)، 1 أكتوبر 1950.
- العلوي، عيدروس أحمد الحامد، الصحافة تندب حظها في حضرموت، العدد: (61)، 9 مارس 1941.
- لقمان، محمد علي، مأساة فلسطين، العدد: (321)، 12 مايو 1946.

- لمندوب فتاة الجزيرة، المكلا تشيع سلطانها إلى مقره الأخير، العدد: (826)، 3 يونيو 1956.
- مالا يريد الحصارم، رسالة حضرموت، العدد: (342)، 13 أكتوبر 1946.
- مجهول، حول خطاب الموظفين بحضرموت، العدد: (353)، 5 يناير 1947.
- مراسل الصحيفة، الاوساط السياسية بحضرموت تبحث مشروع الاتحاد، العدد: (501)، 25 ديسمبر 1949.
- مراسل الصحيفة، الحزب الوطني يطالب بمجلس تشريعي للبلاد، العدد: (422)، 23 مايو 1948.
- مراسل الصحيفة، الحصارم بالاريتريا يتحدثون عن اضطرابات المكلا، العدد: (555)، 21 يناير 1951.
- مراسل الصحيفة، أخبار حضرموت، العدد: (99)، 7 ديسمبر 1941.
- مراسل الصحيفة، أخبار حضرموت، العدد: (133)، 9 أغسطس 1942.
- مراسل الصحيفة، أخبار حضرموت، العدد: (164)، 28 مارس 1943.
- مراسل الصحيفة، رسالة حضرموت، العدد: (348)، 1 ديسمبر 1946.
- مراسل الصحيفة، رسالة حضرموت، العدد: (486)، 4 سبتمبر 1949.
- مراسل الصحيفة، شؤون حضرمية، العدد: (303)، 6 يناير 1946.
- مشروعات الأحزاب في حضرموت من الوحدة، العدد: (392)، 14 أكتوبر 1947.
- 4. صحيفة الفضول
- الحصارم في عدن يحتجون على تقتيل مواطنيهم بالرصاص، العدد: (3)، 15 يناير 1951.
- 5. صحيفة النهضة
- أول مظاهرة من نوعها في حضرموت، العدد: (57)، 4 يناير 1951.
- الإفراج عن 9 من المعتقلين في قضية المكلا، العدد: (67)، 15 مارس 1951.
- الإفراج عن فوج جديد من المعتقلين في المكلا، من مراسل النهضة الخاص، العدد: (70)، 5 أبريل 1951.

- بافقيه، أسبوع البعث والخلود في حضرموت، رسالة حضرموت، العدد: (54)، 14 ديسمبر 1950.
- بافقيه، أعظم مظاهرات وطنية عرفتها حضرموت، رسالة حضرموت، المكلا، العدد: (55)، 21 ديسمبر 1950.
- بلاغ رسمي، العدد: (57).
- بلاغ صحفي، العدد: (61)، 1 فبراير 1951.
- الحزب الوطني يقول كلمته حول منصب سكرتير الدولة القيعية، العدد: (55).
- حضارم البلاد السعودية يرسلون احتجاجا، العدد: (59)، 18 يناير 1951.
- حضارم عدن يطالبون السلطان صالح، العدد: (59)، _____.
- الحضارم المهاجرون يردون على أصحاب منشور 12 يناير، العدد: (61).
- الحضارم يطلبون من السلطان صاحب الكلمة الأخيرة ان ينقذ الشعب الحضرمي من الكارثة، العدد: (63)، 15 فبراير 1951.
- الحكومة القيعية تحقق مع المسؤولين في مسألة تسرب الأنباء إلى الصحف العدنية، صحيفة النهضة، العدد: (59).
- خطاب مفتوح لصاحب العظمة السلطان صالح بن غالب القيعي، العدد: (58)، 11 يناير 1951.
- 3.300 روبية لعائلات شهداء ومنكوبي المكلا، العدد: (69)، 29 مارس 1951.
- السلطان صالح يقول لحضارم عدن، العدد: (62)، 8 فبراير 1951.
- الشعب يدفع دمائه وأرواحه ثمنا لإزالة القدال، العدد: (58).
- الشيوعيون يمنعون تظاهرة الشباب الحضرمي في سوريا، العدد: (63).
- القضية الحضرمية في صحف سوريا، صحيفة النهضة، العدد: (61).
- كشف بأسماء المتبرعين لأيتام وعائلات القتلى في حادثة المكلا، العدد: (68)، 22 مارس 1951.
- عظمة السلطان صالح بن عوض القيعي ينزل ضيفا على المحترم جواد حسن علي، العدد: (56)، 28 ديسمبر 1950.

- لولا جواسيس باصديق لكان القidal في الجحيم، العدد: (59).
- محكمة المكلا تصدر أحكامها على المعتقلين، العدد: (62).
- مراسلنا الخاص، رسالة حضرموت، العدد: (56)، 28 ديسمبر 1950.

رابعاً: المجلات

1. مجلة الأفكار

- باوزير، سعيد، الأستاذ صلاح البكري.. قال لي، العدد: (15)، ديسمبر 1947.

2. مجلة الثقافة الجديدة

- الدملاجي، سلمى، الحالة السياسية في حضرموت في ظل الحكم البريطاني غير مباشر، العدد: (1)، يناير / فبراير 1988.

3. مجلة حضرموت الثقافية

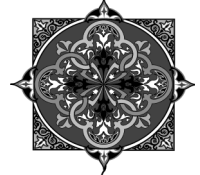
- نجل اللواء بن سميدع (فائز صالح بن سميدع) في حوار مع مجلة حضرموت الثقافية، السنة السابعة، العدد: (27)، يناير - مارس 2023.

4. مجلة اليمن

- معلمة يسيرة المرحوم وليم هارولد إنجرامس، مجلة اليمن، العدد: (19)، مايو 2004.

خامساً: المراجع باللغة الانجليزية:

- Doreen. Leila Ingrams: Records of Yemen.VL1945 - 9.1933.pp1 - 240 - 237



الوجود الحضرمي في سنغافورة وأثره

د. أبوبكر حسين محمد مقبيل⁽¹⁾

الملخص:

يقول العلامة ابن خلدون في (مقدمة ابن خلدون) في فضل علم التاريخ: (أعلم أن فنّ التاريخ فنّ عزيز المذهب جمّ الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا).

ومن خلال هذا البحث أردت الوقوف على جهود وآثار أهل حضرموت في سنغافورة، لمعرفة أحوال من سبقونا من الحضارمة الذين كان لهم الدور البارز في نشر تعاليم هذا الدين الإسلامي في آسيا وأفريقيا، ومدى إسهاماتهم الدينية والعلمية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها، التي كان لها الدور البارز في النقلة النوعية والطفرة العلمية التي شهدتها هذه البلدان، خصوصاً ونحن نتحدث في هذا البحث عن إبراز الدول في الوقت الحالي خصوصاً علمياً، ألا وهي سنغافورة.

(1) استاذ الحضارة الإسلامية بجامعة حضرموت.

إن ما تشهده سنغافورة اليوم ليس إلا امتداد لذلك الماضي الذي وضع فيه أجدادنا اللبنة الأولى في المسيرة العلمية لهذه البلد وذلك حين أنشأ الجنيد مدرسة الجنيد الشهيرة في سنغافورة، وحينما شيد السقاف مدرسته وحينما قام الدعاة والتجار الحضارمة بدورهم في المشاركة في اعمار هذه البلد حيث وقفت في بحثي هذا أولاً على الموقع الجغرافي لهذا البلد ثم حدودها ثم صلاتها بالعرب، ثم دخول الإسلام إليها، مع ذكر أول من دخلها من الحضارمة، ثم أشهر المساجد الحضرية فيها مع بيان من بنى هذه المساجد، ثم المدارس الإسلامية فيها وأخيراً الدور البارز المتمثل في سلسلة الأنشطة الدينية والثقافية والعلمية لأهل حضرموت في سنغافورة.

Abstract

The scholar Ibn Khaldun says in (Introduction to Ibn Khaldun) on the merits of the science of history: (I know that the art of history is an art that is dear to the doctrine, full of benefits, honorable in purpose, as it informs us of the conditions of the past nations in their morals, the prophets in their walks, and the kings in their states and their politics, until they are completed. The benefit of imitating him in this is for those who seek him in the affairs of religion and the world.

Through this research, I wanted to stand on the efforts and effects of the people of Hadramout in Singapore, to know the conditions of those who preceded us from the Hadramis who had a prominent role in spreading the teachings of this Islamic religion in Asia and Africa, and the extent of their religious, scientific, social, cultural, economic and other contributions, which had a prominent role In the qualitative shift and the

scientific boom witnessed by these countries, especially as we are talking in this research about the most prominent countries at the present time, especially scientifically, namely Singapore.

What Singapore is witnessing today is nothing but an extension of that past in which our ancestors laid the first building block in the scientific march of this country, when Al - Junaid established the famous Al - Junaid School in Singapore, and when Al - Saqqaf built his school, and when the civilizational preachers and merchants played their part in participating in the reconstruction of this country where it stood. In my research this is first on the geographical location of this country, then its borders, then its links with the Arabs, then the entry of Islam into it, with the mention of the first people who entered it from Hadramaut, then the most famous Hadrami mosques in it with a statement of who built these mosques, then the Islamic schools in it, and finally the prominent role represented in the series Religious, cultural and scientific activities of the people of Hadramout in Singapore.

مقدمة:

الحمد لله الذي دعانا في كتابه الكريم إلى معرفة التاريخ وأحداثه وأيامه، ومعرفة أحوال الأمم السالفة في الزمان المنقضي، والتبصر بعواقبهم، كما أمرنا ودعانا إلى الاقتداء بالأنبياء والصالحين ودعاة دينه ومناصريه، ومعرفة طرقهم وأساليبهم الدعوية، وفي هذا البحث نقف عند أحد بلدان الشرق الآسيوي لتتعرف على مدى الأثر الحضرمي في هذه البلاد.

تُعد سنغافورة دولة صغيرة في جنوب شرق آسيا يفصلها مضيق جوهور عن ملقا، وتقع عند الطرف الجنوبي لشبه جزيرة الملايو، حيث يلتقي بحر الصين

الجنوبي بالمحيط الهندي. استقلت عن بريطانيا سنة 1385هـ / 1965م، عاصمتها سنغافورة⁽¹⁾.

ويرجع اسم سنغافورة باللغة المحلية سنغابورة إلى كلمتي (سنغا) و (بورا) السنسكريتيتين اللتين تعنيان (مدينة الأسد). وتتكون من جزيرة كبيرة وأكثر من 50 جزيرة صغيرة. وتبلغ مساحة الجزيرة الكبيرة التي تعرف أيضا باسم سنغافورة 572 كم². طولها 42 كم وأقصى عرض لها 23 كم. أما الجزر الصغيرة فتبلغ مساحتها مجتمعة 46 كم². نصف هذه الجزر تقريبا غير أهل بالسكان.

قدّر عدد سكان سنغافورة سنة 1421هـ / 2000م، بنحو 3.777.000 نسمة. وهي من الدول ذات الكثافة السكانية العالية في العالم، حيث تبلغ الكثافة السكانية 6112 نسمة في الكيلو متر المربع، وبلغ معدل النمو السكاني السنوي في نهاية الثمانينيات 1.9٪.

أما الديانات التي تمارس شعائرها في سنغافورة هي: الإسلام (ويعتقها حوالي 18٪ من السكان)، والنصرانية، والبوذية، والطاوية، والهندوسية. ويوجد بسنغافورة حوالي 80 مسجداً و75 مصلى، ومن أقدمها مسجد ملقا بني في سنة 1236هـ / 1830م ومسجد الحاجة فاطمة وبني في سنة 1263هـ / 1845م، ومن أكبر مساجدها مسجد السلطان ومسجد شيلا، وخصصت أماكن لصلاة النساء ببعض مساجدها. وغالبية المسلمين في سنغافورة هم من المسلمين السنة الذين يتبعون المذهب الشافعي أو الحنفي⁽²⁾.

(1) انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ط 29، دار المشرق، بيروت، 2008م، ص 311؛ الغوري، إبراهيم حلمي، أطلس الوطن العربي والعالم، ط 1، دار الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1423هـ / 2003م، ص 140.

(2) بكر، سيد عبد المجيد، الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا، (ب. د)، (ب. ت)، ص 196.

وعلى الرغم من قلة عدد المسلمين في هذه الجزيرة الصغيرة بالنسبة للعدد الإجمالي من سكان الجزيرة، إلا أن اثنين من أقلية الملايو المسلمة وصلا لمنصب رئاسة الدولة.

كان العرب والأرمنيون والصينيون والأوروبيون والهنود والملايويون، من بين المهاجرين الذين استقروا في سنغافورة. التي كانت تنعم تحت الحكم الإسلامي لسلطنة (جوهر) الإسلامية حتى بيعت بثمن بخس للإنجليز.

ومع انهيار وسقوط الإمارات الإسلامية بمنطقة الملايو سقطت جزيرة سنغافورة تحت الاحتلال البريطاني عام 1239هـ/ 1824م. وبدأت السفن الشراعية الصينية والسفن الشراعية الكبيرة القادمة من أوروبا تتوقف في المستوطنات على ضفاف النهر.

أدى استمرار نمو الاقتصاد في العشرينيات من القرن العشرين، إلى تدفق أعداد لم يسبق لها مثيل من المهاجرين، معظمهم من الصين. إلا أن اتجاه الهجرة قد انعكس عندما كسدت التجارة أثناء الركود الاقتصادي الذي ساد في الثلاثينيات من القرن العشرين، وفي عام 1366هـ/ 1946م انفصلت سنغافورة عن الملايو وأصبحت مستعمرة تابعة للتاج البريطاني⁽¹⁾.

الأمر الذي ساعد على زيادة الهجرات الحضرية إلى سنغافورة، حيث عمل المستعمر البريطاني على تشجيع المهاجرين الحضارية بالتوجه إلى مستعمراته الآسيوية، نظرا للنشاط التجاري الكبير الذي كان يشغله التجار الحضارية في المحيط الهندي مما يجعل تعاملهم مع هذه الموانئ دافعا لازدهارها اقتصاديا،

(1) مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ص 640 - 641.

وكذلك رغبت بريطانيا في جلب العنصر البشري غير الوطني، لأنه عادة ما يكون أكثر ولاء من أهل البلاد الأصليين، وهذا ما حدث بالفعل بعد احتلال بريطانيا لعدن فقد قامت بدور مزدوج حيث عملت على تشجيع الهجرات الأجنبية إلى عدن، وإيجاد خليط من السكان ذوي ميول مختلفة، ومصالح متباينة يركز هذا الاستعمار على بعضهم في الملمات نتيجة لما يحدثونه من تداخل في صفوف الوطنيين من أبناء البلاد⁽¹⁾ وفي الوقت نفسه دعمت سلطات الاستعمار البريطاني في عدن هجرة اليمنيين إلى عدد من مستعمراتها في الهند وسنغافورة والصومال ونيجيريا وكينيا وتنزانيا وغيرها.

دخول الإسلام إلى سنغافورة:

كان التجار العرب (الحضارمة) أول من نقل الإسلام إلى سنغافورة وذلك عندما انتشر الإسلام في الملايو والهند وإندونيسيا، وانتقل الإسلام مع هذه العناصر في هجرتها إلى سنغافورة، واتسع انتشار الإسلام في القرن التاسع الهجري، ووصلت سنغافورة جماعات مسلمة عديدة من البلدان المجاورة لها⁽²⁾.

يعد السيد محمد بن هارون بن علي الجنيد أول من دخل سنغافورة من الحضارم حيث سافر أولاً من حضرموت إلى جاوة ثم انتقل إلى سنغافورة وذلك في حدود سنة 1232هـ / 1817م تقريباً ولما استقر به المقام بسنغافورة طلب من ابن أخيه السيد عمر بن علي بن هارون الجنيد⁽³⁾ أن يسافر إليه إلى سنغافورة فسافر من

(1) السقاف، أحمد، أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية، ط4، مطبعة الأنباء، الكويت، 1985م، ص132.

(2) بكر، الأقليات المسلمة في آسيا وإسترااليا، ص195.

(3) ولد رحمه الله تعالى بتريم أوائل القرن الثالث عشر للهجرة أخذ عن خاله العلامة عبدالله بن أبي بكر عيديد والإمام عبدالرحمن بن عبدالله بافراج والإمام العلامة عبدالرحمن بن حامد بن عمر المنفر، والعلامتان عمر وعلوي ابنا أحمد بن حسن الحداد، كما أخذ عن الإمامين

حضر موت أواخر سنة 1239هـ / 1824م وفي طريقه إلى سنغافورة مر على الهند وجاوة (اندونيسيا) متفقداً أو دارساً أحوالها ووصل إلى سنغافورة سنة 1240هـ / 1825م، ولكن وصل إلى سنغافورة وقد توفي عمه السيد محمد المذكور⁽¹⁾.

أما عن ثاني حضر مي يصل إلى سنغافورة فهو السيد عبدالرحمن بن علوي السقاف فقد كان وصوله إلى سنغافورة سنة 1239هـ / 1824م مصطحباً معه نجله أحمد⁽²⁾.

وهكذا توالى الهجرات الحضرية إلى سنغافورة منذ تلك الفترة وحتى بالتقريب أواخر سنة 1380هـ / 1960م ثم اتجهت الهجرة بكثرة إلى دول الخليج العربي وحتى يومنا هذا.

ولكي تتضح الصورة أكثر عن الهجرات الحضرية لابد من معرفة الطريق الذي كان يسلكها الحضارمة في هجرتهم بداية من مكان الانطلاق من داخل حضر موت وصولاً إلى جزر الهند الشرقية فقد وصف هذه الرحلة الباحث الهولندي (فان دن

طاهر وعبدالله ابني حسين بن طاهر، والإمام حسن بن صالح البحر وغيرهم. في أواخر سنة 1239هـ رحل من حضر موت قاصداً سنغافورا. وهناك أنشاء شركة تجارية كبيرة مع عمه السيد محمد باهارون الجنيد، الذي توفي سنة 1852م، فأصبحت الشركة تحت إدارة السيد عمر والذي أصبح من أشهر التجار الحضارمة في سنغافورة. ونظراً لأعماله الجليلة ومكانته المرموقة وسط الجالية الحضرية في سنغافورة تم تعيينه قنصلاً عثمانياً في سنة 1864م، توفي رحمه الله تعالى بسنغافورا في شهر محرم سنة 1269هـ. انظر ترجمته في الجنيد، عبدالقادر بن عبدالرحمن، العقود العسجدية في نشر مناقب بعض أفراد الأسرة الجنيدية، ط1، شركة مطبعة كيودو سنغافورة المحدودة، سنغافورة، 1414هـ / 1994م، ص30.

(1) الجنيد، العقود العسجدية، ص 16 - 17، 165 - 166.

(2) الحداد، علوي بن طاهر، المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، ترتيب وتحقيق وتعليق السيد محمد ضياء شهاب، (ب. ن)، (ب. ت)، ص 100.

برخ) في التقرير الذي كتبه عن الحضارة في عام 1303هـ/ 1886م ورفع له للحاكم الهولندي بجاءوا بقوله: السفر من حضرموت إلى إندونيسيا يحتاج إلى عدة شهور وكانت رحلتهم تبدأ من المكلا أو الشحر ثم إلى بومباي ومن بومباي إلى سيلان، ومن ثم إلى أتشيه أو سنغافورة وكل ذلك بواسطة النقل البحري وهذه طريق الأغلبية. أما الأثرياء فيركبون السفن البخارية من عدن إلى سنغافورة مباشرة، على السفن الأوروبية ومنها سفن شركة مساجيرز ماريتمز (Messageries Maritimes)⁽¹⁾.

ولا شك أن مما زاد من هجرة الحضارة إلى سنغافورة الحركة الاقتصادية الكبيرة التي شهدتها حيث أدى تأسيس الميناء الحر في سنغافورة عام 1235هـ/ 1819م، ومع مرور الوقت ازداد عدد التجار الحضارة الذين قاموا بتأسيس شركات مساهمة، حصلت على سمعة جيدة ومشهورة وكان لها علاقة كبيرة مع وكلاء التوزيع بالأجل لمدة شهرين أو 6 أشهر، والتوزيع الإقليمي لمثل هذه الشركات التي يزيد راس مالها عن 10000 جلدري في سنة 1302هـ/ 1885م، حيث بلغ عدد الشركات الحضرمية في سنغافورة (80) شركة⁽²⁾.

وللمسلمين في سنغافورة نحو مئة جمعية لتلبية حاجات المسلمين، وقد تمّ تنسيق تعاونها بتأسيس هيئة الدعوة الإسلامية عام 1298هـ/ 1881م، وفي سنغافورة مجلس إسلامي يتحمل رئيسته وأمينه العام مسؤولية شؤونه الإدارية، ويرعى المفتي ما يتعلق بالدين، ويشرف المجلس على الأوقاف الإسلامية وبيت المال والمساجد واحتياجاتها، والمدارس الإسلامية وجمع الزكاة وتوزيعها والحج، وتوجد محكمة لقضايا المسلمين وأحوالهم الشخصية⁽³⁾.

(1) غالب، يحيى محمد أحمد، الهجرات اليمنية الحضرمية إلى إندونيسيا، ط1، تريم للدراسات والنشر، 2008م، ص 97، بتصرف.

(2) غالب، الهجرات اليمنية الحضرمية إلى إندونيسيا، ص 196.

(3) الحداد، المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، ص 98.

ومن المواقف الجميلة للدعاة الحضارمة في سنغافورة بعد أن سقطت بيد الاحتلال الإنجليزي، نشط رجال الدعوة في هذه البلد، وتصدى الجنود الانجليز للداعين للإسلام، ولم يجدوا من الدعاة إلا عنادًا وصمودًا في نشر الدعوة. ونقلوا لقياداتهم صمود المسلمين، فطلبوا منهم مناقشة المسلمين في دعوتهم ودينهم. وبالفعل دارت بين جنود الاحتلال الإنجليزي، والداعين للإسلام، مناقشات حول الدين الاسلامي وحقيقته، وكان مبهرًا للإنجليز، فمنهم من دخل الاسلام واعتنقه واتخذه دينًا له. وأثار ذلك ثائرة القادة الانجليز، وراحوا يكيدون للمسلمين وزعمائهم، ويضعون العراقيل في طريق الدعوة، التي راحت تجد طريقها بين الانجليز انفسهم⁽¹⁾.

المساجد في سنغافورة:

كان الحضارم من أوائل من قاموا ببناء المساجد بسنغافورة فقام السيد عمر بن علي بن هارون الجنيد ببناء عدد من المساجد بسنغافورة منها ما يلي:

- 1 - بنى مسجد في حي (كمثونغ ملاكا) قرية ملاكا في الشارع الذي أطلق عليه اسمه ويقال هذا المسجد (مسجد عمر رود).
 - 2 - بنى مسجد في بنقالي المعروف الآن بمسجد بنكولو.
 - 3 - بنى مسجد في حي (كمفونغ سوسو).
 - 4 - بنى مسجد في حي هاي ستريت⁽²⁾.
- ويروى أنه بنى بسنغافورة سبعة مساجد ولم ينسبها إلى نفسه⁽³⁾.

(1) حامد، أحمد، هكذا دخل الاسلام 36 دولة، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، 1401هـ، ص128.

(2) المرجع السابق، ص101.

(3) الجنيد: عبدالقادر بن عبدالرحمن، العقود العسجدية في نشر مناقب بعض أفراد الأسرة

كما بنت والدته السيد محمد بن أحمد السقاف الأميرة الحاجة ستي فاطمة بنت سلطان قوافي سولاويسي مسجدا (الحاجة فاطمة الزهراء) على نفقتها الشخصية، والذي يسمى على اسمها وهو لا زال معموراً⁽¹⁾.

كما بنى السيد عبدالرحمن بن عبدالله الكاف مسجداً في شارع مركيت⁽²⁾. كما بنى أيضاً السيد عبدالرحمن بن شيخ بن عبدالرحمن الكاف مسجدين بسنغافورة.

الدور الديني للحضارم بسنغافورة:

لا يخفى على أي شخص متتبع لتاريخ الحضارم يرى أن الذين سافروا من حضرموت إلى مناطق العالم وخاصة القدماء يقرون سفرهم بأمرين هما:

1 - الدعوة إلى الله ونشر الإسلام:

2 - العمل بأسباب الكسب والعيش التي هي التجارة.

كما نلاحظ أن للأخلاق الإسلامية الفاضلة دور كبير في نشر الإسلام طوعاً ورجباً دون هدر أي قطرة دم.

وعلاوة على هذا فقد انتشرت لهم العادات الدينية المعروفة في حضرموت من الحزوب والأوراد الصباحية والمسائية وعادات شهر رمضان والمواسم الدينية السنوية فانتشرت هذه العادات في سنغافورة وأراضي الملايو مليسيا كما شاعت أيضاً في اندونيسيا واستحسنها أهل هذه المناطق حتى يومنا هذا.

الجينية، شركة مطبعة كيودو سنغافورة المحدودة، سنغافورة، الطبعة الأولى 1414هـ / 1994م، ص 178.

(1) الحداد، مدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، ص 100.

(2) المرجع السابق، ص 101.

وقد سعى السيد العلامة محمد بن عقيل بن عبدالله بن يحيى لدى الحكومة الإنجليزية لتأسيس المجلس الاستشاري الذي يقوم أساساً على تطبيق أحكام الموارد بين الناس على مقتضى الشريعة الإسلامية على الرغم من أن الحكومة الإنجليزية لا تقرهم على ذلك⁽¹⁾.

المدارس الإسلامية في سنغافورة:

يتلقى أبناء المسلمين تعليمًا إسلاميًا في بعض المدارس الابتدائية الإسلامية، ويتلقى ثلث أبناء المسلمين قواعد الدين عن آبائهم، ويدرس الدين في المساجد لبعض الشباب المسلم، كما يدرس كمادة إضافية في بعض المدارس⁽²⁾. وعندما تحدث الجنيد عن التعليم في سنغافورة قال: كان التعليم قبل ذلك وبعده في المساجد والمصليات و منازل المعلمين فهذه الأماكن كانت نقطة الدائرة في تاريخ انتشار التعاليم الإسلامية⁽³⁾.

أنشأ السيد العلامة محمد بن عقيل بن عبدالله بن يحيى أول مدرسة إسلامية في سنغافورة سماها: الإقبال سنة 1325هـ / 1908م، وأتى لها بمعلمين من مصر سنة 1326هـ / 1909م⁽⁴⁾.

وأنشأ السيد محمد بن أحمد بن عبدالرحمن السقاف سنة 1331هـ / 1912م مدرسة السقاف في حي قلام حيث القصر السلطاني ومسجد السلطان⁽⁵⁾.

(1) بن يحيى، محمد بن عقيل (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل)، ط1، تريم للدراسات والنشر، 1427هـ / 2006م، ص51.

(2) بكر، الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا، ص197.

(3) الجنيد، العقود العسجدية، ص167.

(4) بن يحيى، العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل، ص51.

(5) المرجع السابق: ص100.

وأنشأ السيد عبدالرحمن بن جنيد بن عمر الجنيد مدرسة الجنيد الإسلامية سنة 1346هـ / 1927م⁽¹⁾.

كما يوجد في سنغافورة مدرسة المعارف والعلوم الدينية، كمدرسة عليا لتخريج رجال الدين. كما يتلقى بعض علماء الدين الإسلامي دراساتهم بإندونيسيا والبلاد العربية⁽²⁾.

الأنشطة الثقافية والاجتماعية للحضارم بسنغافورة:

إن الجهود الحضرمية برزت في سنغافورة عبر جملة من الأنشطة الثقافية والاجتماعية التي كان لها دور كبير في خلق نهضة علمية أدبية شاملة في مناحي متعددة من الحياة ومن أبرزها:

تأسيس الجمعية الإسلامية في سنغافورة في ضمن سلسلة النهضة الإصلاحية سنة 1325هـ / 1908م، وكان من أبرز مؤسسيها السيد العلامة محمد بن عقيل بن عبدالله بن يحيى والسيد الفاضل محمد بن أحمد السقاف وانتخب السيد محمد السقاف لمجلس إدارتها⁽³⁾.

كما أسس الحضارم النادي الأدبي العربي في أوائل أربعينيات القرن الرابع عشر الهجري وكان من أبرز مؤسسيه السيد الوجيه عبدالرحمن بن شيخ الكاف والذي ترأسه عند بداية تأسيسه كما عمل الحضارم فرع لجمعية الرابطة العلوية بسنغافورة وترأسها السيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف⁽⁴⁾.

(1) الجنيد، العقود العسجدية، ص 263.

(2) بكر، الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا، ص 197.

(3) بن يحيى، العتب الجميل، ص 51.

(4) الكاف، علي بن أنيس (عميد الأسرة الكافية عبدالرحمن بن شيخ الكاف) ط 1، تريم للدراسات والنشر، 1429هـ / 2008م، ص 52.

وعمل الحضارم مؤتمر (الإصلاح الحضرمي الثاني) في سنغافورة بتاريخ 25 شوال سنة 1346هـ 17 ابريل سنة 1927م حتى 10 ذي القعدة سنة 1346هـ وعين رئيساً للوفد الجالية الحضرمية بسنغافورة السيد عبدالرحمن بن شيخ الكاف⁽¹⁾. وغيرها الكثير من الأعمال الثقافية التي نطلع عليها وما هذا إلا غيض من فيض.

الدور الصحفي للحضارم بسنغافورة:

إن للنشاط الثقافي الكبير الذي قام به الحضارم أثر كبير في احداث نشاط صحفي كبير فمن أهم الصحف التي أصدرها الحضارم في على النحو التالي:

1 - صحيفة الإمام:

تعتبر أول صحيفة حضرمية أصدرها الحضارم بسنغافورة وتولى رئاسة تحريرها السيد العلامة محمد بن عقيل بن يحيى سنة 1319هـ / 1902م. واستمرت ست سنوات حتى توقفت سنة 1326هـ / 1908م وتعتبر صحيفة أدبية دينية اسبوعية⁽²⁾.

2 - صحيفة الأيام:

تعتبر ثاني صحيفة صدرت للحضارم بسنغافورة بعد صحيفة الأيام وأصدرها الإمام العلامة محمد بن عقيل بن يحيى وقد صدر العدد الأول منها في جماد الثاني سنة 1324هـ / 1906م وتوقفت نهائياً بعد سنتين من العطاء في ذي الحجة سنة 1326هـ / 1909م وقد اتسمت هذه الصحيفة بأنها واقعية واهتمت بكثير من القضايا⁽³⁾.

(1) الكاف، عميد الأسرة الكافية عبدالرحمن بن شيخ الكاف، ص 52.

(2) الزين، عبدالله يحيى (النشاط الثقافي والصحفي لليمنيين في المهجر إندونيسيا - ماليزيا - سنغافورة 1900م - 1950م)، ط 1، دار الفكر المعاصر دمشق، شوال سنة 1423هـ/ كانون الثاني يناير 2003م - 2003م، ص 203 - 204.

(3) المرجع السابق، ص 205 - 206.

ثم صدرت صحف أخرى أمثال الإصلاح والوطن والعرب والهدى والهدف وصوت حضرموت وغيرها من الصحف⁽¹⁾.

ولهم مساع خيرية في تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي والذي تولى رئاسته محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى، وله يد في إصدار جريدة الإصلاح في سنغافورا، وترأس تحريرها بلدرم ومجلة الامام بلغة الملايو. أسس جمعية إسلامية في سنغافورا تولى رئاستها السيد محمد بن أحمد السقاف (ت: 1350هـ / 1932م)⁽²⁾.

وقد بنى السيد حسين بن أحمد العطاس في سنغافورا وقف بيتا مأوى للغرباء وله أعمال كثيرة⁽³⁾.

كما تولى السيد عبدالرحمن بن شيخ بن عبدالرحمن بن أحمد الكاف (1304 - 1367هـ) شؤون أعمال السادة الكاف وممتلكاتهم في سنغافورا وجاوا وله عناية بالشؤون الخيرية والاهتمام بالمحتاجين وإكرام الضيف وإنهاض الشعب...، وسبق له أن ترأس جمعية الرابطة العلوية فرغ سنغافورا، وكان من العاملين في مؤتمر الإصلاح الحضرمي الذي عقد في سنغافورا يوم الثلاثاء 25 شوال 1346هـ / 1928م، له صلات حسنة برجال الإصلاح وبالعلماء والصلحاء، شارك في بعض المشاريع الخيرية، وكان هو عميد الأسرة، بذل الكثير فيما ينفع العموم⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق، ص 209 - 210.

(2) المشهور، عبد الرحمن بن محمد بن حسين، شمس الظهيرة في نسب أهل البيت من بني علوي، تحقيق: محمد ضياء بن شهاب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع جدة السعودية، 1404هـ / 1984م، 1 / 322، بتصرف.

(3) بن شهاب، أبو بكر بن علي رحلة الأسفار ص 94 (مخطوط).

(4) المشهور، شمس الظهيرة، 2 / 416.

وقد أنشأ السيد محمد بن أحمد السقاف جمعية (وقف أموال المسلمين) التي أصبحت اليوم أكبر ملجأ للمساجد والأوقاف الإسلامية، بالإضافة إلى ملجأ الأيتام المسلمين الذي بلغ ثمن بنائه آنذاك (سبعين ألف دولار) يقيم فيه الأيتام أكليين شاربين، ويتعلمون في (مدرسة السقاف العربية)، كل ذلك مجاناً. كما أنشأ هذا السيد (دار العيادة الطبية المجانية) مع صيدليتها العصرية المجانية أيضاً، وبها طبيب خاص لمعالجة الفقراء مجاناً⁽¹⁾.

وكان السيد العلامة عمر بن علي بن هارون الجنيد (ت: 1269هـ / 1853م)، صاحب مكانة مرموقة بين الدعاة العرب في جنوب شرق آسيا، وكان من أوائل العرب الذين وصلوا إلى سنغافورا، وكان له دور كبير في بناء المدارس والمساجد والأربطة والملاجئ للفقراء والمحتاجين والغرباء والمنقطعين، وقد خلدت الحكومة السنغافورية الأعمال التنموية لهذا العلامة بأن أسمت عدد من الشوارع باسمه، كما وضعت نبذة عن حياته في كتب التاريخ المدرسية تقديراً لجهوده الاجتماعية والاقتصادية⁽²⁾.

ومن أشهر أوقافه بسنغافورا:

1. (مدرسة الجنيد الإسلامية) الواقعة في وسط مدينة سنغافورا وأهم أحيائها، تشغل هذه الأرض ما مساحته (إيكر ونصف = تقريباً فداناً ونصف).
2. المسجد الكائن بحي (كامفوغ ملاكا)، الموجود والمعمور الآن بالعبادات وعليه أوقاف تصرف غلتها عليه.

(1) باذيب، محمد بن أبي بكر بن عبدالله، السيد أحمد عمر بافقيه من رواد الصحافة العربية في القرن العشرين، ط 1، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، 1428هـ / 2008م، ص 452 - 453.

(2) المشهور، شمس الظهيرة، 2 / 517 - 519.

3. المسجد الكائن بحي (بغكولو) الموجود والمعمور الآن بالعبادات وعليه أوقاف.

4. المسجد الكائن بحي (سوسو)، الموجود والمعمور الآن بالعبادات وعليه أوقاف.

5. المقبرة المعروفة بحي (كامفوغ كلم) في وسط سنغافورا، الموقوفة لدفن أموات المسلمين، ولو جاز أن تباع أرضها لأتت بأكثر من مليون دولار.

6. المقبرة المعروفة باسم (بوكت وقف) الموقوفة مقبرة لعامة المسلمين، والتي هي أكبر ما يكون من نوعها في سنغافورا، وتبلغ مساحتها أكثر من عشرة (إيكر/ فدان).

7. الأرض الكبيرة الواسعة ذات الموقع الصحي الموقوفة، والتي عليها الآن المباني الكبيرة للمستشفى الخيري للفقراء بشارع (ولمن رود) والتي تمتد حتى شارع (تومسون رود) من الشمال، وشارع (بلستررود) من الجنوب.

8. الأراضي الكبيرة التي هي في وسط سنغافورا، والموقوفة لتكون غلتها مما يصرف على ذلك المستشفى الخيري العام، ولو بيعت هذه الأراضي لأتت بملايين الدولارات⁽¹⁾.

وللسيد محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن علوي السقاف، العديد من الأعمال الخيرية والمستشفيات والمدارس ودور الحضانة وأسس صندوق السقاف (وهو وقف عائلي) لمساعدة الفقراء من أسرته وأقاربه في سيئون الذي أنشأه عام 1321هـ/ 1904م، أما إحسانه المتعدي لسائر أهل الإسلام فحدث ولا حرج.

وقد لقب هذا العلم البارز بـ: (أمير الإحسان)، وتوفي في عام 1323هـ/ 1906م وتم دفنه بمقبرة السقاف في سنغافورا.

(1) المشهور، شمس الظهيرة، 1/ 266.

وأدت العلاقة الحميمة التي ربطت المهاجر الحضرمي بالبحر، كمصدر للرزق منذ الأزل من خلال عملهم في التجارة وقيادة السفن والمراكب إلى اكتسابهم خبرة كبيرة بالمران والممارسة، مما دفع السلطات الهولندية للاستفادة منهم فاستخدمت بعضهم في تسيير مراكبها البخارية وسفنها الشراعية، من مصبات الأنهار إلى معظم الموانئ، ولقد اختارتهم؛ لأنهم كانوا أكثر من غيرهم خبرة ومعرفة بالتعاريج والمنعطفات والمواضع التي يكون فيها الماء غزيراً أو رقيقاً⁽¹⁾

كما أدت مهاراتهم في صناعة السفن من خشب الساج إلى امتلاكهم لعدد كبير من هذه السفن التي كانت تستطيع أن تحمل من 150 إلى 500 طن إلى احتكاكهم لجزء كبير من التجارة مع سنغافورة عام 1245هـ/ 1830⁽²⁾.

كانت سفن الحضارمة هي المفضلة من قبل الحجاج حيث كانت الكثير منها يتواجد في ميناء أشيه أو سنغافورة لنقلهم حيث كانوا يثقون في القباطنة والبحارة الحضارمة أكثر من البحارة الإنجليز أو الهولنديين. وكانت السفن التي تقوم بنقل الحجاج من سنغافورة إلى جدة لديها فروع في إندونيسيا ومسؤولين على هذه الفروع ينظمون أو يقومون بتسجيل الناس الراغبين في الذهاب إلى الحج على السفن الحضرمية. وممن اشتهر من الحضارمة في النقل البحري للحجاج أحمد بن عبد الله السقاف الذي اشترى عدد من السفن التجارية لنقل الحجاج إلى جدة ففي عام 1290هـ/ 1874م حملت أربع سفن تجارية 3476 حاج من سنغافورة إلى جدة وبعد موته عام 1875م واصل ابنه محمد العمل في المجال نفسه، ولكنه اشترك مع تجار صينيين في ذلك⁽³⁾.

(1) الحداد، مدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، ص 63.

(2) غالب، الهجرات اليمنية الحضرمية إلى اندونيسيا، ص 198.

(3) المرجع السابق، ص 199.

وهكذا أدت الإجراءات الهولندية المتعسفة ضد المهاجرين الحضارمة إلى دفعهم إلى البحث عن مساندة دولية خارجية، يمكنهم من خلالها الضغط على الاستعمار الهولندي ليعيد النظر في معاملته لهم؛ ولم يكن أمامهم سوى خيارين: إما السلطات البريطانية التي تحتل بلدهم ولم يكن ذلك ممكناً لأن بريطانيا دولة مستعمرة وتربطها بهولندا علاقة استعمارية تكون المصلحة الثنائية لهما هي القاسم المشترك، ولذلك فلن تقف إلى جوارهم على حساب علاقتها مع هولندا، أو التوجه ناحية الإمبراطورية العثمانية. وقد عبر الحضارمة عن توجههم بالولاء ناحية الإمبراطورية العثمانية من خلال إرسال شكاوهم من سوء المعاملة الهولندية لهم في عام 1289هـ/ 1873م حيث كتبت مجموعة مؤلفة من أربعين فرداً رسالة للسلطان العثماني يخبروه فيها أن أعضاء جاليتهم في (باتافيا) و (سمارانغ) قد تم اعتقالهم من قبل السلطات الهولندية وأنه لو كان هناك ممثل عثماني في باتافيا لما تجرأ الهولنديون على عمل ذلك⁽¹⁾ وقد شجعهم على ذلك قيام الإمبراطورية العثمانية بتعيين قنصل عثماني من الجالية الحضرية في سنغافورة سنة 1280هـ/ 1864م وهو السيد عمر بن علي الجنيد. والذي استمر حتى سنة 1297هـ/ 1880م ثم تولى هذا المنصب من بعده السيد محمد بن أحمد السقاف الذي حصل على وسام الشرف العثماني تقديراً على خدماته للبلاط العثماني. وبعد تتويج السلطان عبد الحميد الثاني في عام 1292هـ/ 1876م ومحاولته العمل على تقوية مركز الإمبراطورية العثمانية في العالم الإسلامي من خلال سعيه إلى تجديد الخلافة وإقامة الجامعة الإسلامية، حيث أعلن أنه ولي أمر جميع المسلمين في مختلف أنحاء العالم سواء داخل الأراضي التابعة للدولة العثمانية أو المحتلة من القوى الأوروبية وبالتالي فإن مصالح المسلمين في جاوا وأشييه وسنغافورة وفي أماكن

(1) غالب، الهجرات اليمنية الحضرية إلى اندونيسيا، ص 287.

أخرى من جزر الأرخبيل الإندونيسي دخلت ضمن الحماية العثمانية⁽¹⁾.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، أدركت الحكومة العثمانية مدى أهمية المجتمع الحضرمي الثرى في باتافيا فقامت بتعيين قنصل لها في هذه المدينة إضافة إلى قنصلها في سنغافورة⁽²⁾.

وقد استطاع القنصل العثماني أن يحقق نجاحا كبيرا في كسب دعم الكثير من الأثرياء الحضارمة فيما يتعلق بالقضايا العثمانية وخصوصا في تقديم التبرعات المالية لدور الأيتام ولجرحى الحرب وكذلك للمشاريع التي تقوم بها الدولة العثمانية، ومن ضمنها سكة حديد الحجاز، بينما كان هدف الحضارمة من التواصل مع القناصل العثمانيين في سنغافورة وبتافيا تعليم أبنائهم في المدارس العثمانية وكذلك ثقتهم بأن التوجه نحو اسطنبول التي تعد المركز الثقافي والسياسي للعالم الإسلامي سوف يقوى موقفهم في إيقاف المعاملة السيئة من الحكومة الهولندية ضدهم⁽³⁾.

كما كان للمهاجرين دورا مهما في مساندة الإمبراطورية العثمانية من خلال إظهار الولاء والتبعية لها أو من خلال تولي مناصب باسمها والتي كان من أهمها شغل منصب القنصل في سنغافورة، وكان لهم دورا بارزا في إنشاء بعض الجمعيات والمنظمات في سنغافورة.

ومن أعمال أسرة (السقاف) في سنغافورة إنشاء هيئة اتحادية للأعمال الخيرية عام 1321هـ/ 1904م، وهو أول اتحاد إسلامي في سنغافورة لخدمة حاجات المسلمين ولشؤونهم الدينية، واشترك في تأسيس الاتحاد أسر أخرى من غير آل

(1) المرجع السابق، ص 290.

(2) المرجع السابق، ص 288.

(3) المرجع السابق، ص 289.

السقاف منها أسرة (عيديد وأنغوليا) ومحبوب بن فضل والحاج محمد بن حكيم وغيرهم. وكان هذا الاتحاد يقوم بعمارة المساجد والمقابر والتعليم، والإنفاق على دار الإحسان للبنات، وأخرى للبنين والفقراء، وبنوا منزلين لسكنى أيتام المسلمين وتجهيز الموتى وتربية اللقطاء... إلى غيرها من الأعمال الخيرية على الجزيرة.

ونجد أن أسرة السقاف استمرت حتى الجيل الثالث، ونبغت في الأعمال الخيرية، وبرز من أفرادها (داتو السيد إبراهيم) ابن السيد عمر بن أحمد السقاف، والذي كان قنصل شرف لحكومة العراق، ثم في أواسط السبعينيات قنصلاً أول للمملكة العربية السعودية⁽¹⁾.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فأحمد الله تعالى وأشكره إذ وفقني لإعداد هذه البحث والانتهاء من كتابته عن الوجود والأثر الحضري في سنغافورة ودورهم في نشر تعاليم هذا الدين الحنيف في الأراضي السنغافورية، وقد خرجت - بحمد الله - من هذا البحث بنتائج أهمها:

1 - إن الوجود الحضري في بلاد سنغافورة قديماً. إذ يعد السيد محمد بن هارون بن علي الجنيد أول من دخل سنغافورة من الحضارم وذلك في حدود سنة 1232هـ/ 1817م تقريباً. أما ثاني حضرمي يصل إلى سنغافورة فهو السيد عبدالرحمن بن علوي السقاف فقد كان وصوله إلى سنغافورة سنة 1239هـ/ 1824م.

2 - أن من سافروا من حضرموت إلى مناطق العالم وخاصة القدماء يقرنون سفرهم بأمرين هما:

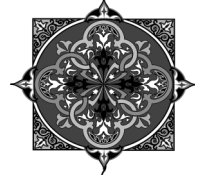
(1) الحداد، المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، ص 100.

- 1 - الدعوة إلى الله ونشر الإسلام.
- 2 - العمل بأسباب الكسب والعيش التي هي التجارة.
- 3 - كان الحضارم من أوائل من قاموا ببناء المساجد بسنغافورة حيث بناء السيد عمر بن علي بن هارون الجنيد سبعة مساجد في سنغافورة. كما أنشاء السيد محمد بن عقيل بن يحيى أول مدرسة إسلامية في سنغافورة اطلق عليها (الإقبال).
- 4 - إن الأثر الحضرمي برز في سنغافورة من خلال جملة من الأنشطة الثقافية والاجتماعية حيث تم تأسيس الجمعية الإسلامية في سنغافورة سنة 1325هـ/ 1908م. كما أسس الحضارم النادي الأدبي العربي في أوائل اربعينيات القرن الرابع عشر الهجري.

قائمة المصادر والمراجع:

1. باذيب، محمد بن أبي بكر بن عبدالله، السيد أحمد عمر بافقيه من رواد الصحافة العربية في القرن العشرين صفحات من حياته ونماذج من مقالاته، ط1، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، 1428هـ/ 2008م.
2. بكر، سيد عبد المجيد، الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا، ب. د. ب. ت.
3. الجنيد، عبدالقادر بن عبدالرحمن، العقود العسجدية في نشر مناقب بعض أفراد الأسرة الجنيدية، ط1، شركة مطبعة كيودو سنغافورة المحدودة، سنغافورة، 1414هـ/ 1994م.
4. حامد، أحمد، هكذا دخل الإسلام 36 دولة، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، 1401هـ.
5. الحداد، علوي بن طاهر، المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، ترتيب وتحقيق وتعليق السيد محمد ضياء شهاب، ب. ت. (ب. د.).
6. الزين، عبدالله يحيى (النشاط الثقافي والصحفي لليمنيين في المهجر اندونيسيا- ماليزيا - سنغافورة 1900 - 1950 م) دار الفكر المعاصر دمشق، ط1، شوال سنة 1423هـ/ كانون الثاني يناير 2003م.
7. السقاف، أحمد، أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية، ط4، مطبعة الأنباء، الكويت، 1985م.
8. بن شهاب، أبو بكر بن علي، رحلة الأسفار (مخطوط).
9. غالب، يحيى محمد أحمد، الهجرات اليمنية الحضرية إلى اندونيسيا، ط1، تريم للدراسات والنشر، المكلا، 2008م.
10. الغوري، إبراهيم حلمي، أطلس الوطن العربي والعالم، دار الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، د. ب. ب. 1423هـ/ 2003م.
11. الكاف، علي بن أنيس (عميد الأسرة الكافية عبدالرحمن بن شيخ الكاف)، ط1، تريم للدراسات والنشر، المكلا، 1429هـ/ 2008م.

12. المشهور، عبد الرحمن بن محمد بن حسين، شمس الظهيرة في نسب أهل البيت من بني علوي، تحقيق محمد ضياء بن شهاب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع جدة السعودية، 1404هـ / 1984م.
13. بن يحيى، محمد بن عقيل (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل)، ط1، تريم للدراسات والنشر، المكلا، 1427هـ / 2006م.



علاقات دول الجوار مع دول الإقليم

(العلاقات السورية - التركية أنموذجاً)

د.حنان أحمد أبوبكر المرقشي⁽¹⁾

الملخص:

تُعَدُّ العلاقات السورية - التركية من أكثر العلاقات توترًا من بقية دول الجوار العربي بحكم الموقع الجغرافي والتاريخي ومشكلات أخرى معقدة، والتحالف التركي الإسرائيلي وأثره من سورية. وأثر اندلاع ثورات الربيع العربي، والتي أرادت فيه تركيا أن تقدم نفسها زعيمًا إقليميًا للتوجهات الديمقراطية في عديد من البلدان العربية وفي مقدمتها سوريا، ومن هنا كان الموقف التركي تجاه الأزمة السورية تحكمه اعتبارات عديدة داخلية وخارجية أي مرتبط بالقرارات الإقليمية.

إلا أن العلاقات السورية - التركية حاليًا انتقلت إلى وضع مختلف كليًا على ما كانت في السابق، وعليه شهدت العلاقات السورية التركية تطورات سياسية نشطة تدرجت من التقارب حذر، ثم إلى الدخول في مسار متسارع لبناء علاقات متميزة.

(1) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد. كلية الآداب / جامعة عدن.

كلمات مفتاحية: علاقات دول الجوار، دول الإقليم، سوريا، تركيا، الصراعات الإقليمية.

Summary:

Syrian - Turkish relations are among the most tense among the rest of the neighboring Arab countries due to the geographical and historical location and other complex problems, as well as the Turkish - Israeli alliance and its impact on Syria. Following the outbreak of the Arab Spring revolutions, in which Turkey wanted to present itself as a regional leader of the democratic trends in many Arab countries, most notably Syria, the Turkish position towards the Syrian crisis was therefore governed by several internal and external considerations, that is, linked to regional decisions. However, Syrian - Turkish relations have now moved to a completely different situation than they were in the past, and accordingly Syrian - Turkish relations witnessed active political developments that graduated from a cautious rapprochement, then to entering an accelerated path to building distinguished relations..

المقدمة:

يحد عالمنا العربي عدد كبير من دول العالم، والتي تصل إلى أحد عشر دولة تتفاوت العلاقات مع هذه الدول وتأخذ طابع التوتر أحياناً والهدوء حيناً آخر، ولكن أكثر العلاقات التي لها تأثير في المنطقة هي تركيا، وإيران وإثيوبيا، ويعود سبب اختياري في هذا البحث عن العلاقات التركية السورية كونها ومنذ وطأت أرضنا العربية، وهي لم تترك العرب بحالهم وهذا ما حصل عندما سيطرت الدولة العثمانية على عالمنا العربي تحت تسمية الإسلام وعاثت فيه خراباً إلى أن سقطت

وتفوقعت وأعلنت الدولة التركية بعد الحرب العلمية الأولى وجرى تقاسم نفوذها بين الدول الاستعمارية على إثر توقيع اتفاقية سايكس بيكو عام 1916م.

لقد حاولت الباحثة في هذا البحث تقديم نبذة تاريخية عن الأطماع التركية منذ زمن بعيد إلى وقتنا الراهن، والذي نعيش فيه أزمة وتدهور في العلاقات السورية التركية على إثر اندلاع ثورات الربيع العربي أو ما يسمى بالربيع العربي، والتي أرادت فيه تركيا أن تقدم نفسها زعيمًا إقليميًا للتوجهات الديمقراطية في عديد من بلداننا العربية وفي المقدمة منها سوريا، وأبدت اهتمامًا خاصًا بالأزمة السورية، وأظهرت ومنذ البداية عدم الاستعجال في نهايات سريعة للأزمة، وتجنبت في البداية الصدام العسكري المباشر، حتى لا تقع في مستنقع يهدد الأمن القومي التركي، والموقف التركي من الأزمة السورية تحكمه اعتبارات عديدة بعضها داخلي وبعضها خارجي؛ أي مرتبط بالقرارات الإقليمية.

لقد جرى تنافس بين إيران وتركيا على صياغة مستقبل المنطقة وتشكيله. وما قامت به تركيا من فرض عقوبات على سوريا كان له انعكاسه المباشر والكبير على المواطن السوري، وهو من دفع الثمن؛ إذ أقدمت على تجميد جميع التعاملات الاقتصادية وتجميد أموال أي مسؤول سوري، ووقفت المعاملات جميعًا مع البنك المركزي السوري، وعلقت تعاونها مع دمشق في مجال الطاقة وتزويدها بالكهرباء، واحتواء المعارضة السورية ودعمها بالسلاح واستضافتها في إسطنبول، هذا إلى جانب قيام الجيش التركي بنشر مدافع وصواريخ مضادة للطائرات في جوار مراكز حدودية مع سوريا؛ بل وصل الأمر إلى اجتياح الأراضي السورية بالدبابات التركية والاعتداء على سيادة الأراضي السورية.

أما أهمية البحث وأهدافه فتكمن في إبراز علاقة دول الجوار بعالمنا العربي؛ لما تركه من آثار سلبية في حالة التوتر الإقليمي عمومًا، وبصفة خاصة إبراز العلاقة

التركية السورية، كما اعتمد البحث في تناوله ذلك على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، وقسمت البحث على مقدمة وأربعة محاور وخاتمة وقائمة المراجع، وهي كالتالي:

المحور الأول: نبذة تاريخية.

المحور الثاني: الخلافات والنزاعات التركية السورية في تسعينات القرن العشرين.

المحور الثالث: حزب العدالة والتنمية ورؤيته السياسية للمنطقة.

المحور الرابع: التقارب التركي الإيراني ومستقبل تسوية الأزمة السورية.

المحور الأول: نبذة تاريخية

منذ أن احتل العثمانيون القسطنطينية ازداد اهتمامهم بالسلطنة المملوكية، واتخذ ذلك مظهر العداء أو الدعم بحسب الظروف، وحدث بين الطرفين صراع على النفوذ في إمارة البستان، التي امتدت على الفرات الأعلى بين مرعش وملاطية، وهي واحدة من إمارات تركمانية عديدة، (مثل الحمل الأسود والحمل الأبيض) نشأت في مناطق الثغور بسبب تجمع التركمان فيها. وسميت هذه الإمارة (بالبستان) نسبة إلى عاصمتها، ودُعيت كذلك بإمارة ذي القدر أو القدرية، على اسم أسرة تركمانية حكمتها في المدة 1353م / 1522م حين احتلها العثمانيون، وقد حصل تدخل من العثمانيين والمماليك في شؤون هذه الإمارة، وأيد كل منها أميراً تركمانياً، ومارس النفوذ عبر الانتماء إليها، ونتج عن هذا اقتتال بين أفراد الأسرة الحاكمة في إمارة البستان وتأزم في العلاقات التركية المملوكية.⁽¹⁾

اتجهت العلاقات إلى التحسين بين العثمانيين والمماليك في العقد الأول من

.F.Taschner, El, S.V, Albitan: tt. Mordmann – (V Menage) E – L S V. Dal kady (1)

القرن السادس عشر بسبب تهديد البرتغاليين الخطر الأول للدولتين، والصفويين والخطر الثاني. وقد أدى تدخل البرتغاليين في البحر الأحمر إلى طلب المماليك الدعم من العثمانيين، وفي عام 1511م نجح العثمانيون بإيصال مساعدات إلى المماليك كما أرسلوا قبيل عام 1512م عددًا من ضباط البحرية إلى مصر للإشراف على نفسها، وزود العثمانيون المماليك بالخشب والقطران والحديد، لصناعة السفن. والخطر الآخر الذي قرب بين العثمانيين والمماليك في القرن السادس عشر هو الخطر الصفوي، عندما هاجم الشاه إسماعيل إمارة البستان وأخضعها لنفوذه.

لقد أثار تبني الصفويين المذهب الشيعي رسميًا قلق جيرانهم العثمانيين والمماليك، وزاد في الأمر محاولة الشاه إسماعيل إيجاد حلفائه في أوروبا وعثور المماليك على مكاتبات بينه وبين البنادقة بهذا المعنى.⁽¹⁾ وهذا يهدد مصالح العثمانيين والمماليك على حد سواء؛ لكن المماليك لم يدعموا العثمانيين حين هاجموا الصفويين، وانتصروا عليهم في معركة (جالديران)، وحاول المماليك التفاهم مع الصفويين واستاء العثمانيون، واتهموا المماليك بالتآمر عليهم، واصطدم الجيشان العثماني، والمملوكي، في 23 آب 1516م في مرج دابق.⁽²⁾

أسفرت معركة مرج دابق شمال حلب في 24 أغسطس 1516م عن هزيمة السلطان المملوكي قنصوة الغوري، وسيطرة السلطان العثماني سليم الأول على بلاد الشام، ومما أعان العثمانيين على هذا الانتصار خيانة بعض أمراء المماليك للسلطان المملوكي. وقسم بلاد الشام على ثلاث باشويات قائمة بنفسها، وهي:

(1) شمس الدين، محمد بن علي أحمد بن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 201. 343. محمد بن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 3، 5، الطبعة الثانية، القاهرة، 1960م، ج4، ص 191، 205.

(2) عبد الكريم رافع: العرب والعثمانيون 1516 - 1916م، دمشق، ط2، 1993، ص 61.

1 - باشوية دمشق أو سوريا (الشام).

2 - باشوية حلب.

3 - باشوية طرابلس.

في أواخر العصر الثاني اتسعت باشوية حلب بضم بضع مناطق إليها كانت من قبل خارجة عن التشكيل الإداري لسوريا في الرها والرقّة ومرعش وعيتاب والبستان؛ ولكنها لم تبق تابعة لسوريا بعد انتهاء الحكم العثماني؛ فقد عادت إلى الحكم العثماني الجمهورية التركية وألحق بها لواء الإسكندرونة.⁽¹⁾

إن شعور السوريين بشخصيتهم أمر لا شك فيه ولكن المسألة ليست مجرد شعور أو عواطف؛ بل إن الظروف الاجتماعية والاقتصادية، التي مرت بالمنطقة هي التي دفعتها إلى الشعور بشخصيتها المتميزة وبالشكل الذي شعرت به، وقبل غيرها من الأقاليم العربية لقد باتت سوريا مثل بقية أقاليم الدولة العثمانية، تخضع للحكم التركي، ولكن قربها من أوروبا ساعدها على الاحتكاك بحضارة الغرب قبل غيرها من الأقاليم، وجاء القرن التاسع عشر ليزداد النفوذ الغربي في المنطقة، نتيجة لتركيز الاستعمار الغربي في الهند والشرق الأقصى، وسلوكه طريق سوريا والشرق الأدنى للوصول إلى ميدان الاستعمار والاستغلال في الشرق الأقصى، وقعت سوريا على طريق المواصلات الإمبراطورية، ومرت فيها التجارة بين الشرق والغرب؛ فساعد هذا على معرفتها بالشرق والغرب في الوقت نفسه.⁽²⁾

هنا ظهرت طبقة برجوازية تجارية، وهذه الطبقة حاولت أن توجد مجاًلاً حيويّاً لها؛ فحصل صدام مع الطبقة الإقطاعية القديمة، التي احتفظت بالأرض وبحلفائها

(1) عبد الكريم رافع: المرجع السابق، ص 38 - 87.

(2) جلال، يحيى: العالم العربي الحديث والمعاصر، ج 2، الإسكندرية، 2003م، ص 201.

العسكريين والمدنيين من الأتراك والمتركين بروز هاتين الطبقتين أدى إلى التنافس فيما بينها في المجال الحيوي لكل منهم، وكان من الطبيعي أن تنتج طبقة البرجوازية في كسب أبناء الأقاليم أكثر من نجاح الطبقة التركية.

- الأتراك اعتمدوا على الإسلام في وجودهم في سوريا.

- السوريون بدأوا يؤمنون بمذهب جديد نتيجة احتكاكهم بالغرب، وهو مبدأ: (الدين لله والوطن للجميع)؛ أي: فصل الدولة عن الدين وتوحيد صفوف أبناء البلد، وهذا الاتجاه العلماني ساعد على نمو الطبقة البرجوازية.

- البعثات التبشيرية ساعدت على نمو الشخصية العربية من عدد من رجالها بدراسة أحوال المنطقة ودراسة التراث العربي وتعددت البعثات، وأصبحت تنافس بعضها بعضاً، وهذا ساعد على قيام حكومة مدنية لا تفرق بين المسلم والمسيحي أمام القانون.

وعمل البروتستانت على محاولة كسب العرب وإحياء التراث العربي أكثر من الكاثوليك؛ فاضطر الكاثوليك إلى النزول إلى الميدان والتنافس مع البروتستانت، وهذا التنافس ساعد على اهتمام العرب بتراثهم وشخصيتهم العربية؛ بعيداً عن شخصية الأتراك.⁽¹⁾

مع انتشار (مذهب الدين لله والوطن للجميع) تحولت الأنظار إلى أوروبا تنشد الحرية والمساواة؛ هروباً من الكبت الذي عاشته، وعندما انعقد المؤتمر العربي الأول في باريس عام 1913م جاءت قراراته مثبتة للنمو الفكري والاجتماعي والاقتصادي في منطقة الشرق العربي عامة والشام خاصة، وهنا تظاهرت الدولة العثمانية بمحاولة إرضاء هذه الشخصية العربية المناهضة لسياستها.

(1) جلال يحيى: المرجع السابق، ص 206.

مع ازدياد النفوذ الألماني في الدولة العثمانية، ازداد ميل العرب إلى الحلفاء الغربيين، ومع إعلان الحرب، انظم العرب إلى البريطانيين والفرنسيين، وشهروا السلاح في وجه الأتراك.

كان الأتراك مخلصين في كفاحهم ضد الاستعمار وباسم الإسلام، وفي الوقت نفسه كان العرب مخلصين في كفاحهم ضد الحكم التركي، وكان جمال باشا قد أرسل نسخة من اتفاقية سايكس بيكو إلى الأمير فيصل في العقبة في أول العمليات السورية ونشر البلاشفة هذه الاتفاقية، وشرح جمال باشا خطورة الموقف، وطلب الالتفاف من العرب والمسلمين حول الخلافة وتوحيد الجهود ضد الاستعمار وإخراجه من الأراضي العربية، والتوقيع على تحالف عربي تركي والنزول إلى الميدان من أجل الوطن والإسلام، وقال إنه مستعد للاعتراف باستقلال الدول العربية، لكن فيصل لم يتمكن أن يأخذ أي قرار بهذا الشأن.⁽¹⁾

المحور الثاني: الخلافات والنزاعات التركية السورية في التسعينات

لم تكن العلاقات السورية التركية طبيعية منذ استقلال سوريا عام 1946م؛ بل سادت حالة من العداء والتأزم مجمل هذه المدة وذلك في ضوء عديد من الاعتبارات؛ ولعل أهمها العداء التاريخي كهيمنة تركيا في ضمها لمقاطعة لواء الإسكندرونة عام 1939م، وليس هذا فحسب ولكن تركيا اختارت أن تكون متحالفة مع المعسكر الغربي وعملت على حصار المد القومي العربي، وهذا ما أدى إلى توتر في العلاقات بين البلدين وحشد تركيا قواتها العسكرية على الحدود السورية عام 1957م بعد تأسيس حلف بغداد وانضمام سوريا إلى مصر

(1) جلال، يحيى: المرجع السابق، ص 220 - 221.

في شجب هذا الحلف وإدانة سياساته.⁽¹⁾

وبعد نقل فيصل مقر قيادته إلى الشرق من عمان، والتي بدأت قواته تتمركز في شهر سبتمبر 1918م، ثم قطع مواصلة السكة الحديد قبل بدأ الهجوم الإنجليزي شمالاً بثلاث أيام، وجاءت قوات عثمانية كبيرة لإصلاح هذه السكة الحديدية؛ وذلك أفسح المجال أمام الإنجليز في الهجوم نحو الشمال، وقطع خط الرجعة على الأتراك إذا ما حاولوا الرجوع غرباً، واستخدم اللمبي الخديعة؛ فأوهم الأتراك بأنه سيهجم وسط الجبهة، ثم ركز هجومه على السهل الساحلي، وتمكن من التغلب على مقاومة الأتراك في هذا القطاع، واستمر تقدمه شمالاً، في حين عجز الأتراك من التحرك نتيجة لوجود القوات العربية على جناحهم الآخر، وفي الوقت نفسه فجرّ عرب فلسطين الثورة ضد الأتراك وتشتت القوى العثمانية وانتهت أيامهم في فلسطين.⁽²⁾

الاستيلاء على سوريا

لم يبقَ أمام الأتراك إلا محاولة الاحتفاظ بسوريا؛ إذ بدأوا يسحبون قواتهم من عمان ومعان في 22 من سبتمبر 1918م، واسرع الإنجليز بإرسال قواتهم لاحتلال عمان. ودخلت القوات العربية واحتلت (معان) في 23 سبتمبر ثم سارت القوات العربية شمالاً، وتقدمت وحدات بريطانية نحو دمشق، والقوات العربية وصلت دمشق في 30 سبتمبر في العام نفسه، وأرسلوا مندوبهم طالبين الأهالي القيام بالثورة،

(1) برهان، غليون: العلاقات السورية التركية، درس الديمقراطية، الحوار المتمدن، العدد 2792 / 7 / 10، 2009م.

<https://www.ahewar.org>

(2) جلال، يحيى: العالم العربي الحديث، ج1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص 2001م، ص 549.

وإعلان الحكومة العربية، ودخلت القوات العربية المدينة، وكان علم الثورة مرفوعاً في المدينة؛ إذ دخلها الشريف ناصر على رأس قواته مع وحدة من الفرسان البريطانيين، وبعد يومين حضر اللمبي وفيصل، ودخلا عاصمة الأمويين وأعلننا نهاية أربعة قرون من الحكم التركي العثماني. واستولوا على كل سوريا في نهاية شهر أكتوبر في العام نفسه، واحتل العرب مواصلة السكة الحديدية السورية مع سكة حديد بغداد في يوم 19 أكتوبر وفي اليوم التالي وقعت تركيا على هدنة مودريس.⁽¹⁾

ومن أهم النزعات والخلافات التركية السورية كانت:

أولاً: لواء الإسكندرونة

يقع لواء الإسكندرونة المسمى باللغة التركية (هاتاي) في الجانب الجنوبي من تركيا، على ساحل البحر المتوسط، وقد ضُمَّ اللواء إلى تركيا عام 1939م بموافقة فرنسا، التي كانت متتدبة على سوريا آنذاك، وقبل هذا الإجراء التركي باحتجاج عام في سوريا، ولم تعترف أي من الحكومات السورية المتعاقبة في ضم اللواء إلى تركيا، واستمرت سوريا في إبقاء رسم اللواء في الخرائط السورية الرسمية، وفي كتب التعليم جزءاً من أراضيها، ولكن وفي الوقت نفسه وعلى الرغم من اعتراف سوريا بضم لواء الإسكندرونة إلى تركيا، إلا فهي لم تتقدم إلى أي جهة دولية بطلب رسمي بهذا الشأن.⁽²⁾

ثانياً: مشكلات تتعلق بالمياه

أنشأت تركيا سلسلة من السدود الكبرى على نهر دجلة والفرات، وهذا أدى إلى حجز القسم الأعظم من مياه النهرين، وحجزت مياه نهر الخابور بأكملها حتى جف وأوقفت جريانه في الأراضي السورية؛ فقد بدأت تركيا تسحب المياه فعلاً،

(1) جلال، يحيى: المرجع السابق، ص 552.

(2) سامية، بيربرس: مرجع سابق، ص 165.

وذلك أثار الشكاوى من جانب سورية، ومن جانب العراق الذي أنشأ سد الحبانية. وعلى إثر ذلك طلبت سورية تأليف لجنة ثلاثية لوضع اتفاق نهائي ينظم التوزيع العادل بين الدول الثلاث طبقاً للعرف الدولي⁽¹⁾، إلا أن تركيا تمسكت بموقفها بأن الفرات ودجلة من الأنهار العابرة للحدود وليست من الأنهار الدولية، وهو ما يعطيها الحق في إقامة السدود التي تريدها، ورفضت تركيا طلب سوري عراقي بتقسيم مياه الفرات ودجلة على حصص متساوية، وقد رفضت تركيا أيضاً اتفاقية دولية بشأن استخدام المجاري المائية الدولية في الأغراض غير الملاحية، التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في 21 مايو 1997م. متذرة بأن هذه الاتفاقية مجحفة في حق الدول، التي بنت سدوداً في أراضيها، وهذا ما أدى بسوريا أن تواجه أزمة انخفاض تدفق المياه إليها بسبب السدود.⁽²⁾

ثالثاً: التعاون التركي الإسرائيلي

وصل التعاون التركي الإسرائيلي إلى مرحلة متقدمة، وهذا أدى إلى مزيد من التآزم في العلاقات، وعدت دمشق هذا التحالف الإستراتيجي بينهما ضعفاً إستراتيجياً عليها في كل المجالات، وأيضاً عدته خطراً على الأمن القومي العربي.⁽³⁾ لقد شهدت العلاقات التركية الإسرائيلية في مدة التسعينات تطوراً كبيراً عندما جرى الإعلان عن عودة العلاقات الدبلوماسية فيما بينهم، وتوقيع اتفاقية بين

(1) محمد، زهير دياب: العلاقات السورية - التركية حسن جوار أم عداء؟، مجلة الدراسات الفلسطينية، م7، العدد 28، (خريف 1996م)، ص32.

(2) جلال، معوض: الجديد في العلاقات التركية العربية، بحث مقدم إلى ندوة العلاقات العربية بدول الجوار المتغيرات الراهنة، والرؤى المستقبلية، مركز البحوث والدراسات، جامعة القاهرة، 1998م. ص51.

(3) عمر، كوش: العلاقات السورية التركية، من التآزم إلى التعاون. الجزيرة نت:

<https://www.Aljazeera.net>

وزير الدفاع للبلدين تنص على التعاون في مجال الدفاع، أضيف إلى ذلك تأسيس مجمل رجال الأعمال التركي الإسرائيلي في مارس 1993م، وفي نوفمبر 1993م وقع الطرفان مذكرة تفاهم بشأن إنشاء لجان مشتركة بهدف التصدي للتحديات الإقليمية، مثل: الإرهاب والتطرف، وبلغ ازدهار العلاقات ذروته عام 1996م عندما تم توقيع للتعاون العسكري والإستراتيجي بينهم في 23 فبراير 1996م.⁽¹⁾

رابعاً: حزب العمال الكردستاني

في أوائل التسعينات قامت حكومة الحكم الذاتي للأكراد في إقليم كردستان العراق، وهذا الأمر ولّد قلقاً كبيراً لدى الأتراك، ولم تكن موافقة على قيام هذا الحكم الذاتي؛ خشية أن يطالب أكراد العراق بالحقوق نفسها، وكانت تركيا قد قامت بعمليات عديدة شمال العراق هادفة إلى تدمير قوات حزب العمال الكردستاني التركي (PKK)، وهذا الحزب يشنّ بحرب العصابات من أجل حصوله على الاستقلال منذ عام 1984م، وتتمركز قواته في منطقة اسمه (جبال قنديل) تقع بين إيران وتركيا والعراق، وبطبيعة الحال من المعروف أن تركيا لا تعترف بوجود قومية تركية، وتسمي الأكراد (أتراك الجبال)، وتحظر عليهم استخدام لغتهم المحلية.⁽²⁾ هذا إلى جانب إعلان تركيا قيام المنطقة الأمنية في شمال العراق في 22 أكتوبر 1997م، وأكدت نفياً في القيام بالعمليات العسكرية في حربها ضد الأكراد.

وأيضاً فيما يتعلق بمسألة الأكراد فقد وجهت أنقرة الاتهامات إلى النظام السوري بتوفير كل المساعدات اللازمة للأكراد، وقالت إن سوريا تهدف بذلك إلى زعزعة

(1) جلال، عبدالله معوض: صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية التركية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أغسطس، ط1، 1998م، ص 63.

(2) سامية، بيرس: الأبعاد الإقليمية والدولية لأزمة حزب العمال الكردستاني، ملف الأهرام الإستراتيجي، العدد 156، السنة الثالثة عشر، 2007م، ص 35.

الأمن القومي التركي، وهذا أدى إلى بلوغ الأزمة التركية السورية ذروتها وعملت تركيا على إرسال حشود عسكرية كبيرة على الحدود في أكتوبر 1998م، وأعلنت عزمها على اجتياح الحدود السورية إذا لم تلتزم سوريا بمطالب تركيا في وقف الدعم لحزب العمال الكردستاني وتسليم زعيمه عبدالله أوجلان.⁽¹⁾

لقد تفجرت الأزمة السورية التركية في بداية تشرين الأول 1998م؛ وذلك عقب تصريحات كبار المسؤولين العسكريين والمدنيين الأتراك ضد سورية؛ فقد هدد الرئيس التركي سليمان ديميرتل بالانتقام من سورية لدعمها (PKK)، في حين كان الطرف السوري تعامله هادئاً جداً مع الأزمة. وكادت تلك الأزمة أن توصل البلدين إلى حرب عسكرية لولا التعامل العقلاني للقيادة السورية، وجهود الوساطة التي قامت بها مصر وإيران لتطويق الأزمة.⁽²⁾

وعلى أثر ذلك بدأت وساطات إقليمية بين البلدين أدت إلى انتهاء الأزمة، وتوقيع اتفاقية أمنية في أضنة في 20 أكتوبر 1998م، جرى خلالها تعهدات باتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع العمليات التي تسمى إرهابية أو أعمال العنف، وبعد توقيع اتفاق أضنة دخلت العلاقات التركية السورية مرحلة جديدة من التقارب، خاصة بعد أن زار الرئيس التركي سوريا في يونيو 2000م؛ من أجل تقديم واجب العزاء في وفاة الرئيس السوري حافظ الأسد، وفي عام 2002م زار رئيس الأركان السوري العماد (حسن توركماني) تركيا ووقع اتفاقاً للتعاون الأمني تضمن تبادل المعلومات والمساعدات التقنية والتدريب وإمكانية القيام بمناورات مشتركة.⁽³⁾

(1) Patricin Carley, Turkeya Role in The Middle EasT, P,cit

(2) حامد، محمد طه السويداني: العلاقات التركية السورية 1998 / 2011م، مركز الدراسات الإقليمية.

(3) عقيل، محفوظ: العلاقات السورية التركية التحولات والرهانات. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، يناير 2011م، ص 20.

المحور الثالث: حزب العدالة والتنمية ورؤيته السياسية للمنطقة

شهد العام 2000م بداية لمرحلة من السياسات الانتقالية، التي أدت إلى تعزيز اتجاهات التحول في العلاقات؛ انطلاقاً من تغيرات داخلية. فقد عبر الرئيس بشار الأسد عن رغبة أكيدة في التعاون مع تركيا، وقد شهدت تركيا نمواً متزايداً لاتجاه الأسلمة والمنافسات الداخلية في شأن الهوية واتجاهات السياسة الخارجية.

وعلى أثر ذلك في 19 يونيو 2002م زار رئيس الأركان السوري العماد حسن توركماني تركيا، ووقع اتفاقاً للتعاون الأمني تضمن تبادل المعلومات والمساعدات التقنية والتدريب وإمكان إجراء مناورات مشتركة... إلخ⁽¹⁾.

وعند وصول حزب العدالة والتنمية في تركيا إلى السلطة في 3 نوفمبر 2002م محطة فاصلة بين مرحلتين، وبعدها كانت لاعباً إقليمياً داخل محور الغرب والأطلسي؛ حاولت تركيا مع حزب العدالة والتنمية أن تؤسس لنفسها حيثية لا تتعارض مع انتمائها الأطلسي، لكنها تتيح لها أن تعبر أكثر عن البعد الأيديولوجي لحزب العدالة والتنمية.

وهذا ما جعل تركيا تضع أمامها هدف أن تكون لاعباً أساسياً مؤسساً لنظام إقليمي جديد وعلى وفق ما كان يكرره دائماً وزير الخارجية التركي أحمد داوود أوغلو. هذا لم يكن متاحاً من دون أدوات تجعل منها قوة اقتصادية كبيرة من جهة، وأنموذجاً يقتدى به من جهة أخرى، وكان على رأس هذه الأدوات اتباع سياسة الانفتاح على دول الجوار القريب والبعيد، وهو ما عرف بسياسة تصفير المشكلات، وفعلاً قدمت هذه السياسات خدمة لتركيا ما لم تقدمه لها سياسات سابقة فتحولت علاقاتها إلى علاقات إستراتيجية مع دول كانت إلى الأمس القريب عدوة أو مصدر تهديد مثل سوريا، إضافة إلى العراق وإيران ولبنان وبلدان الخليج،

(1) الجزيرة نت، الدوحة، 29 يونيو / يوليو 2002م.

وانتقلت صورة تركيا البلد المعادي لمحيطه والحليف لإسرائيل والمهدد للأمن القومي العربي إلى بلد ينظر إليه بإعجاب.⁽¹⁾

لقد كانت زيارة الرئيس بشار الأسد إلى تركيا في 6 يناير 2004م بداية مسار نشط نحو تفكيك عدد من العقد والهواجس العميقة في العلاقات الثنائية، والانطلاق في سياسة تقارب متسارعة نسبياً استغرق الإعداد لها زمناً طويلاً، ربما بسبب القضايا الخلافية، التي وجد الطرفان صعوبات في التوصل إلى تفاهات سابقة في شأنها. ومن ثم عُدَّت الزيارة تاريخية ومؤشراً إلى أن الطرفين قررا في المضي في علاقاتهما لمواجهة التحديات ومصادر التهديد القائمة.⁽²⁾

وبذلك عبر الرئيس التركي آنذاك أحمد نجات للرئيس السوري بشار الأسد عن أهمية الزيارة بقوله: "أن زيارتكم لها صبغة تاريخية ومغزي خاص كونها أول زيارة رسمية لبلادنا لرئيس للجمهورية العربية السورية، مشيراً إلى أن الزيارة تعدُّ مؤشراً على أعلى مستوى إلى التطور السريع للعلاقات الثنائية في المرحلة الأخيرة على أساس الاحترام المتبادل والفهم والحوار المشترك."⁽³⁾

دخلت تركيا من جديد إلى المنطقة بثقلها السياسي والاقتصادي والثقافي والإعلامي، وهذا أعطى أملاً للبدء بمرحلة جديدة وصولاً إلى الحديث عن محور ثلاثي أو رباعي يضم تركيا وسوريا وإيران والعراق، غير أن عاملين أثرا سلباً في هذا النهج التفاعلي بين تركيا ودول الجوار ولا سيما المباشر منها، وهما:

- (1) محمد، نور الدين: تركيا والمنطقة، المأزق المستمر، مدير مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، شؤون عربية، العدد 151، 2012م، ص 49.
- (2) عقيل، مخفوض: العلاقات السورية - التركية التحولات والرهانات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، يناير، 2011م، ص 20.
- (3) حسن محلي: الأسد في أنقرة وجهة مشتركة، جريدة المستقبل، بيروت، 7 يناير 2004م.

العامل الأول: الاعتداء الإسرائيلي على سفينة مرمرة في نهاية مايو 2010م والذي استهدفت دور تركيا المتعاضم بعد نجاح تركيا مع البرازيل في التوصل إلى إعلان طهران قبل ذلك في أيار 2010م بشأن البرنامج النووي الإيراني، فكان ضرب مرمرة رسالة من الغرب فتفهما تركيا.

العامل الثاني: تمثل في ما يسمى الربيع العربي فقد وجدت فيه تركيا نفسها قادرة على أن تكون اللاعب الإقليمي الأوحده، وهذا يتطلب إضعاف إيران تحديداً ومن معها.⁽¹⁾

الأحداث المتسارعة التي جرت في تونس، وأدت إلى الإطاحة بالزعماء العرب في تونس ومصر وليبيا، ووصول الإخوان المسلمين إلى السلطة في مصر، كل هذا شجع تركيا أن تذهب بعيداً في الرهان على إسقاط النظام السوري.

هذا التوجه التركي عبرت عنه النزعة التي يحاول حزب العدالة والتنمية أن ينكرها، وهي نزعة العثمانية الجديدة التي ظهرت في السنوات الأخيرة.

وهذا ما عبر عنه أحمد داوود أوغلو؛ إذ قال: "سوف تقود تركيا موجة التغيير في الشرق الأوسط، وسنستمر في أن يكون طليعة موجة التغيير هذا أن تركيا لن تكون فقط دولة صديقة وشقيقة لمجتمعات الشرق الأوسط؛ بل أيضاً صاحبة فكر جديد يحدد مستقبله وبلده هو طليعة النظام الإقليمي الجديد، وللمتقدين لهذه السياسة عليهم أن يفكرون تجاه السياسة الخارجية التركية بالنسبة إلى سوريا".⁽²⁾

الثورة السورية: هل هي استثناء من الربيع العربي؟

الكاتب اللبناني حسام عيتاني قال إن اندلاع الثورة في مارس 2011م تركت

(1) محمد، نورالدين: المرجع السابق، ص 50.

(2) محمد، نورالدين: المرجع السابق، ص 52.

توقعات عند مؤيديها ومناصري الحكم في دمشق عن مواعيد قريبة لانتهاؤها؛ ولكن هذه التوقعات لم تكن دقيقة. وكان هناك تصورات لمؤيدي الثورة بأن التظاهر السلمي والتحركات الشعبية والعمل الإعلامي والديمقراطي، سيؤدي في نهاية المطاف إلى سقوط نظام بشار الأسد؛ لكن الاحتجاجات الشعبية لم تنجح والمفاوضات، التي كانت تسعى إليها المعارضة بنقل السلطة إلى مجلس حكم مؤقت إلى حين إجراء انتخابات نزيهة وشفافة فشلت في أعقابها؛ فشلت حكومة وطنية جديدة أيضًا لم تنجح، واختار النظام طريق الاعتقالات والقمع والاقصاء، والحال أن النظام لجأ في أسلوبه إلى ما مارسه منذ نهاية السبعينات وطول الثمانينات من القرن الماضي ونجح بوساطته من تطوير الانتفاضة.

تشكل سوريا عقدة إستراتيجية بالغة الأهمية في الشرق الأوسط مقارنة مع الأهمية لكل بلدان الربيع العربي كمصر وموقعها بين قارتين وحيازتها لقناة السويس، إضافة إلى ثرواتها الأخرى من سياحة وزراعة وطاقات بشرية، ومثل ليبيا الغنية بالنفط وذات المساحات الشاسعة جغرافيًا والقريبة من أوروبا، تتضاعف أهمية الموقع السوري الذي اعتد مدة عديدة من القرن العشرين، ومصدر أهميتها الوحيد فتوسطها منطقة الشرق العربي وتشاركها بالحدود مع العراق، وتركيا، ولبنان، والأردن، وفلسطين، إضافة إلى امتلاكها منفذًا بحريًا مهمًا يضعها في موضع المؤثر والمتأثر بما يجري في هذه البلدان.

ومن اللافت للنظر أنه وبعد اندلاع الثورة في سوريا واتساعها وما صاحبها من عنف فما زال النظام السوري يتلقى دعمًا ماليًا وعسكريًا صريحًا من حلفائه الخارجيين على نحو يجعله قادر على البقاء والقتال بغض النظر عن التكلفة البشرية والمادية، التي تتحملها سوريا، وهذا استثناء للثورة السورية.

ومن هنا يمكن القول إن الثورة السورية اتسمت بسمات الحرب الباردة الجديدة

بين معسكرين دوليين كبيرين يتواجهان مواجهه غير مباشرة على أرض سورية، وهذا أيضًا ما يميزها من باقي الثورات.

المحور الرابع: التقارب التركي الإيراني ومستقبل تسوية الأزمة السورية

تعود العلاقات التركية الإيرانية إلى قرون مضت في عهد الإمبراطورية العثمانية؛ فقد عرف العهد الصفوي - العثماني صراعات دموية مريعة بين الطرفين على الخلفية المذهبية الشيعية - السنية، إلى أن حسم العثمانيون الصراع لمصلحتهم في معركة (جالديران) عام 1514م؛ إذ هزموا الفرس الصفويين بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي وأعلنوا الريادة في منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، ومنذ تأسيس تركيا الحديثة على يد (كمال أتاتورك) انتقلت العلاقات بينهما إلى مرحلة الهدنة؛ حيث طريق الإصلاحات التركية التي قام بها (أتاتورك) فيما يتعلق بنهجه للعلمانية وانفتاحه على الغرب لتحقيق الحداثة. انتباه الشاه الإيراني: (رضا بهلوي)، وجعلته يقوم بمثل هذه الإصلاحات في بلاده.⁽¹⁾

دخلت إيران في حلف عسكري مع انقرة عام 1955م اسمي ب (حلف بغداد) وهذا رسخ العلاقة بين البلدين، ومع قيام ثورة (آية الله الخميني) الثورة الإسلامية عام 1979م، انقطعت فجأة هذه العلاقات، وتخوف الأتراك من تصدير الثورة الإسلامية الإيرانية إلى بلد إسلامي مثل تركيا، ومن الجانب الآخر أبدى الإيرانيون قلقهم من العلمانية التركية، ومع الغزو الأمريكي للعراق تحسنت العلاقات من أجل تحقيق المصالح المشتركة؛ إذ تخوفت تركيا من إنشاء الأكراد لدولة في شمال العراق، ويمكن القول إن هناك ثلاثة عوامل تحكم العلاقات بين البلدين، وهي:

(1) سامية، بيبس: مستشار أول الأمانة العامة لجامعة الدول العربية - القاهرة، شؤون عربية، العدد 161، 2015م، ص 192.

التوازن الإقليمي: هناك تنافس بين كل من تركيا السنة وإيران الشيعة، وإسرائيل اليهودية على منيكون المركز في الدولة الإقليمية.⁽¹⁾

المصالح الاقتصادية: يوجد تبادل تجاري اقتصادي كبير بين إيران وتركيا يصل إلى 25 مليار دولار قابل للزيادة في الأعوام القادمة إلى 35 مليار دولار، ويعدّ الغاز والنفط الإيراني الجزء الأكبر من صادرات إيران إلى تركيا.

الاعتبارات الجيوبوليتيكية: تنظر تركيا إلى إيران بوصفها جزءاً من الأمن القومي التركي بسبب الامتداد الكبير للحدود بينهما، وخاصة لما يمثله الأكراد وحزب العمال الكردستاني الذين يوجدون على الحدود بين البلدين ويشكلون تهديداً للأمن القومي التركي.⁽²⁾

الثورة السورية وتوتر العلاقات التركية - الإيرانية

شكل اندلاع الثورة السورية في عام 2011م على أثر ما يسمى بالربيع العربي، وكيفية تعامل النظام السوري معه، والتي اتصف بالعنف وفي قمع الاحتجاجات، شكل تهديداً وتوتراً في العلاقات مع تركيا على خلفية التناقض بين البلدين تجاه الأزمّة السورية، وانطلقت تركيا وإيران بالنظر إلى ما يجري في سوريا من مصالحة الخاصة ومشروعه الإقليمي في المنطقة؛ إذ رأت إيران أن ما يجري في سوريا قد ينتقل إلى إيران ويؤثر في أمنها الوطني، ولهذا أعلنت دعمها الكامل للنظام السوري،

(1) الحافظ، النويني: العلاقات التركية الإيرانية بين التعاون والتنافس وانعكاساتها على الشرق الأوسط، موقع الحوار المتحدّث:

<https://www.ahewar.org>

(2) محمد، السلمي: قراءة في التقارب السياسي بين إيران وتركيا، 28 / 11 / 2013م، شؤون عربية مجلة قومية فصلية تصدر عن الأمانة العامة للجامعة العربية، العدد 161، 2015م، ص 194.

وقد تمت كل ما يلزم لحماية بشار الأسد وأعلنت أنه إذا فرض عليها الخيار بين تركيا وسوريا فإنها ستختار سوريا، وأعلنت أن الإطاحة بنظام بشار الأسد خط أحمر. من الجانب الآخر عدت تركيا أن ما يجري في سوريا إنجاز من إنجازات حزب العدالة والتنمية في ضوء ما يتبناه من إستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط.⁽¹⁾

دعمت تركيا دفاعاً عن مشروعها الإقليمي من أجل الإطاحة بنظام لشار الأسد التنظيمات المعارضة لنظام الأسد والسماح لها بعقد لقاءات على أراضيها وقد استخدمت نبرة شديدة اللهجة بدت واضحة في التصريحات، التي أدلت بها عديد من القيادات التركية بشأن الأزمة السورية، هو الأمر الذي جعل نظام الأسد يستاء من التصريحات التركية ومن موقفها الرافض لوجوده في السلطة، وحذرت إيران تركيا أنه في حالة استخدام أمريكا القواعد الموجودة في تركيا لضرب سوريا، فإن هذه القواعد ستكون هدفاً إلى إيران، وهذا زاد من التوتر بين البلدين.⁽²⁾

عندما وصل الرئيس: (حسين روحاني) عام 2013م إلى سدة الحكم في إيران، الذي كان أكثر انفتاحاً على العالم بدأ التقارب التركي الإيراني من جديد، وهذا يعود إلى الدوافع الآتية:

ما شهدته الأزمة السورية من تطورات متصاعدة منذ ظهور التوافق الأمريكي - الروسي على تفكيك ترسانة الأسلحة الكيماوية السورية بديلاً للخيار العسكري الأمريكي ضد النظام السوري، الذي كانت تركيا تراهن على سقوطه، وهنا

(1) صافيناز، محمد أحمد: إيران وتركيا، من ينتزع أوراق الآخر الأقلية، شؤون عربية، العدد 161، 2015م، ص 197.

(2) Khorshid Patim, Tur key – Iran relations and the Syrian dilemma middle EST

Monitor 30 – 1 – 2014

<https://www.middlcasTmon-itor-.com>

أدركت تركيا أن رهان إسقاط النظام السوري غير وارد. وهذا يتطلب تبني أنقرة توجهاً جديداً.⁽¹⁾

1 - توقيع إيران الاتفاق النووي مع الدول الكبرى في 23 نوفمبر 2013م أكد إقرار الغرب وخاصة أمريكا دور إيران الإقليمي.

2 - القبول بدور إيران ودورها الرئيس في حل للأزمة السورية.

3 - حرص أنقرة على إعادة جزء من التوازن في علاقاتها بالمنطقة.

وجود بواعث قلق مشترك بين طهران وأنقرة من تزايد الطابع الطائفي للحرب الدائرة في سوريا، الذي أصبح تداعياته تمتد نحو أنقرة وبغداد وطهران، وما تمثله الحرب من خطر متزايد يتجاوز حدود المنطقة، وهذا يتطلب جهود مشتركة للحيلولة من دون تحول الصراع في سوريا إلى صراع طائفي.⁽²⁾

4 - نفوذ الجماعات الإرهابية التي أصبحت تواجهها الدولتان.

عجز أنقرة على تحجيم قوة (حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي) السوري ونفوذه، وإصرار الحزب بمشاركة بعض الأحزاب الكردية على تنفيذ مشروع الإدارة الذاتية المؤقتة في غرب كردستان، وهو الأمر الذي يشكل تهديداً كبيراً للأتراك.⁽³⁾

أي تقارب بين طهران وأنقرة من المرجح أن يحدث معادلات إقليمية جديدة في منطقة الشرق الأوسط، وهذا سيكون على حساب الدول العربية، وخاصة دول

(1) محمد، سعيد إدريس: فرص التقارب التركي مع إيران والعراق، جريدة الخليج الإماراتية، 8 / 11 / 2013م.

(2) إبراهيم، العلي: التقارب التركي الإيراني على طريق خارطة سياسية جديدة في المنطقة، مسار للتقارير والدراسات، 29 نوفمبر 2013م.

(3) Khorshid Dali – Turkey – Iran relations and the Syrian dilemma, opcit

الخليج، وخاصة أن النظام الإقليمي العربي الراهن سيظل عاجزاً عن الوقوف في وجه هذا التقارب في ظل غياب مشروع عربي قادر على تأسيس كتلة متماسكة قادرة أن تنافس القوى الإقليمية الكبرى.⁽¹⁾ ولا شك أن التقارب التركي الإيراني يتخلله الإسهام في التوصل إلى حل سياسي حقيقي للأزمة السورية.⁽²⁾

الخاتمة

لم تترك الدولة التركية، التي حلت محل الدول العثمانية من دون تدخل؛ بل عمدت إلى الاحتفاظ ببعض الأراضي السورية عندما جرى تخطيط الحدود التركية السورية في إطار اتفاق (فرانكلين بويلون) عام 1921م، وحينها استقطعت تركيا أجزاء من الأراضي السورية، وأهمها منطقة (كليكا) وثبت ذلك في معاهدة لوزان 1923م، ثم تبع ذلك ضم لواء الإسكرونة عام 1923م بعد استفتاء صوري، نظمت الدولة المنتدبة فرنسا، قابلة رفض شعبي حتى نيل سوريا الاستقلال الشكلي عام 1943م، والاستقلال النهائي عام 1946م.

شهدت العلاقات التركية السورية مداً وجزراً منذ الاستقلال، وحتى يومنا هذا تارة هدوء، وتارة أخرى توتر وهذا هو حال علاقات دول الجوار، فسوريا قدمت كل التنازلات اللازمة من أجل الحفاظ على أمنها الإقليمي وتحسين العلاقة مع تركيا؛ ولكن تركيا ما دامت تخلق الذرائع للتدخل في الشؤون السورية؛ ولعلّ أبلغ مثل على ذلك ما جرى بعد ما يسمى الربيع العربي في سوريا والدعم والاحتواء للمعارضة السورية سياسياً وعسكرياً في مواجهة النظام السوري؛ بل أكثر من ذلك

(1) هاني، زايد: محللون يحذرون من التقارب التركي الإيراني، جريدة الوطن، 31 / 4 /

2014م. <https://www.alwatan.com>

(2) عمر، كوش: التقارب التركي الإيراني وتصحيح المسار، الجزيرة نت، 5 / 12 / 2013م.

<https://www.aljazeera.net>

دخول الأراضي السورية عسكرياً والاعتداء على سيادتها وأمنها.
لن يكون سلام لأي دولة تعيش مشكلات مع دول الجوار، خاصة إذا كان بهذه
الدولة أطماع أو تقوم بتنفيذ أجندات خارجية، وهذا هو ما حصل اليوم.
سوريا لا يوجد لها أي أطماع في تركيا أو الأراضي التركية، وتنازلت عن لواء
الإسكندرونة، وسلمت زعيم الأكراد أوجلان من أجل أن تنهي صفحة الخلافات
مع تركيا؛ ولكن تركيا هي من عادت لتفتح صفحة خلافات جديدة.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

1. إبراهيم، العلي: التقارب التركي الإيراني على طريق خارطة سياسية جديدة في المنطقة، مسار للتقارير والدراسات، 29 نوفمبر 2013 م.
2. ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي أحمد: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
3. برهان، غليون: العلاقات السورية التركية، درس الديمقراطية، الحوار المتمدن، العدد 2792 / 10، 2009 م. <https://www.ahewar.org>
4. جلال، عبدالله معوض: صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية التركية، مركز دورات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، آب/ أغسطس 1998 م.
5. جلال، معوض: الجديد في العلاقات التركية العربية، بحث مقدم إلى ندوة العلاقات العربية بدول الجوار المتغيرات الراهنة، والرؤى المستقبلية، مركز البحوث والدراسات، جامعة القاهرة، 1998 م.
6. جلال، يحيى: العالم العربي الحديث، ج1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص 2003 م.
7. جلال، يحيى: العالم العربي الحديث والمعاصر، ج1، الإسكندرية، 2001 م.
8. الحافظ، النويني: العلاقات التركية الإيرانية بين التعاون والتنافس وانعكاساتها على الشرق الأوسط، 1 / 3 / 2013 م. <https://www.alhewar.org>
9. سامية، بيرس: مستشار أول الأمانة العامة لجامعة الدول العربية - القاهرة، شؤون عربية، العدد 161، 2015 م.
10. سامية، بيرس: الأبعاد الإقليمية والدولية لأزمة حزب العمال الكردستاني، ملف الأهرام الإستراتيجي، العدد 156، السنة الثالثة عشر، 2007 م.
11. صافيناز، محمد أحمد: إيران وتركيا، من يتزعزع أوراق الآخر الأقلية، شؤون عربية، العدد 161، 2015 م.
12. عبدالكريم رافع: العرب والعثمانيون 1516 - 1916 م، دمشق، ط2، 1993 م.

13. عقيل، محفوظ: العلاقات السورية التركية التحولات والرهانات. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، يناير 2011م.
14. عمر، كوش: التقارب التركي الإيراني وتصحيح المسار، الجزيرة نت، 5 / 12 / 2013م. <https://www.Aljazeera.net>
15. عمر، كوش: العلاقات السورية التركية، من التأزم إلى التعاون. الجزيرة نت 12 / 11 / 2009م. <https://www.Aljazeera.net>
16. محمد بن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، الأجزاء 3، 5، الطبعة الثانية، ج2، القاهرة، 1960م.
17. محمد، السلمي: قراءة في التقارب السياسي بين إيران وتركيا، 28 / 11 / 2013م، شؤون عربية مجلة قومية فصلية تصدر عن الأمانة العامة للجامعة العربية، العدد 161، 2015م.
18. محمد، زهير دياب: العلاقات السورية - التركية حسن جوار أم عداء؟، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 7، العدد 28، (خريف 1996م).
19. محمد، سعيد إدريس: فرص التقارب التركي مع إيران والعراق، جريدة الخليج الإماراتية، 8 / 11 / 2013م.
20. محمد، نور الدين: تركيا والمنطقة، المأزق المستمر، مدير مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، شؤون عربية، العدد 151، 2012م.
21. هاني، زايد: محللون يحذرون من التقارب التركي الإيراني، جريدة الوطن، 31 / 4 / 2014م. <https://www.alwala.net>

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1. F.Taschner, El, S.V, Albitan: tt. Mordmann - (V Menage) E - L S V. Dal - kady.
2. Patricin Carley, Turkeya Role in The Middle EasT, P,cit
3. Khorshid Patim, Tur key - Iran relations and the Syrian dilemma middle EST Monitor 2014 - 1 - 30 <https://www.middlcasTmon-itor-.com>.
4. Khorshid Dali - Turkey - Iran relations and the Syrian dilemma, opcit.

